** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

كتب الجوائز العالمية
بوليتزر

جورج آبلى الراحل

تأليف
جون ماركاند

ترجمة
محمود حسن حلمى

www.ibtesama.com

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com

جوائز عالمية

بوليتزر

مورجن آبلي الراحل

تأليف جون ماركاند

ترجمة محمود حسن حلمي

www.ibtesama.com

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com

المؤلف

ـ ولد جون فيليبس ماركاند فى عام ١٨٩٣ ، وتخرج فى جامعة هارفارد الامريكية فى عام ١٩١٥ وهى تقع فى كانبردج بولاية ماساشوستس بنيو انجلاند مسرح حوادث الكتاب .

ـ كاتب ساخر ذو قلم لاذع ، وهو مؤلف كتاب « جورج آبلى الراحل » (عام ١٩٣٧). وقد حاز عنه جائزة بوليتزر كما أخرج هذا الكتاب كمسرحية ناجحة ، ثم كفيلم سينمائى أصاب رواجا كبيرا فى العالم أجمع

ـ من مؤلفاته الشهيرة الأخرى .

× نقطة ديكتورد « عام ١٩٣٩ »

× السيد بولهام المحترم « عام ١٩٤١ »

× لم يعد هناك وقت « عام ١٩٤٣ »

× بلا عودة « عام ١٩٤٩ »

www.ibtesama.com

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com

تقديم

فازت قصة « جورج آبلى الراحل » للكاتب الأمريكى جون ماركاند بجائزة البوليتزر الأمريكية عام ١٩٣٨ (١) وضربت رقما قياسيا فى عدد النسخ التى بيعت منها حين صدورها لأول مرة ، واستقبلها النقاد استقبالا حماسيا ، ووصفوها بانها من أحسن القصص التى تتغلغل فى أغوار النفس الانسانية وتعرض أسرارها فى صدق وسخرية معا • كما أن هذه القصة حولت الى مسرحية اخرجتها مسارح برودواى بنيويورك بنجاح منقطع النظير •

وقد كتبت قصة « جورج آبلى الراحل » فى صورة خطابات ومذكرات ، ومن خلال هذه المذكرات والخطابات نقف على أدق أفكار بطل القصة ومشاعره ، منذ كان طفلا صغيرا حتى اصبح رجلا له مركزه الاجتماعى الكبير ، بل نعرف أيضا تفاصيل كثيرة عن أجداده وابنائه ، وعن تاريخ أسرته كلها •

---

(١) صدرت هذه الرواية عام ١٩٣٧

www.ibtesama.com

والقصة يرويها المؤلف على لسان المستر « ويلى » صديق جورج آبلى ـ وقد كان المستر « ويلى » صديقا حميما لجورج آبلى طوال حياته ، فلما توفى هذا الأخير ، طلب ابنه «جون» من المستر « ويلى » أن يكتب تاريخ حياة والده من واقع الخطابات والمذكرات التى خلفها بعد موته ، وقد أضاف اليها المستر « ويلى » الكثير من لمساته التى ألتت مزيدا من الضوء على حياة صديقه الراحل .

وتقع الأحداث الرئيسية لهذه القصة فى أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . بعدما هاجر جد الأسرة الأول منذ عدة قرون من انجلترا الى أمريكا ، واستوطن مدينة بوسطن ، ومارس أحفاده التجارة هناك وكانت لهم سفن تسير عبر البحار وتأتى بالبضائع من افريقية ومن الصين ، فجمعوا من وراء ذلك ثروات طائلة استغلتها الأسرة فى بناء مصانع للنسيج تدر أرباحا خيالية .

ويمثل « توماس آبلى » فى هذه القصة الجيل المحافظ الذى يضع نصب عينيه مبادىء خاصة فى السلوك والأخلاق ، يمارسها باخلاص ، ويحاول أن يجعل ابنه جورج آبلى يحذو حذوها .

ولكن جورج آبلى يمثل جيلا أكثر تحررا ولكنه مع ذلك يحتفظ بكثير من المبادىء السامية التى لقنها له أبوه ،

www.ibtesama.com

ويحاول ان يلقنها بدوره لابنه جون آبل الذى يجد نفسه فى عالم متطور له أفكار جديدة وحياة جديدة •

وهكذا تجد فى هذه القصة صراعا اجتماعيا طريفا بين ثلاثة أجيال ، وهو صراع يتميز بأنه يدور فى رقة متناهية أحيانا ، وفى عنف شديد أحيانا أخرى ، ومهما يكن من أمر هذا الصراع فانه يمثل فى الواقع الصراع الخالد بين القديم والجديد فى مختلف صورهما ، وبين مفاهيم الآباء والأبناء وافكارهم نتيجة لتغير الظروف الاجتماعية والاقتصادية فى كل عصر ، وتطور نظرة الانسان ، تبعا لذلك ، الى الحياة ومختلف مظاهرها •

www.ibtesama.com

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com

فهرس

مضمون الكتاب

الفصل الأول	تمهيد واعتذار	١١
الفصل الثاني	أصل الأسرة	١٦
الفصل الثالث	الوالدان	٢٣
الفصل الرابع	عهد الطفولة	٢٧
الفصل الخامس	شارع بيكون وأيام الدراسة ..	٣٥
الفصل السادس	ذكريات شائقة	٤٥
الفصل السابع	أيام جامعة هارفارد	٥١
الفصل الثامن	فترة الانتقال	٥٧
الفصل التاسع	أوربا	٦٣
الفصل العاشر	مدرسة الحقوق	٧٠
الفصل الحادى عشر	الزواج	٧٧
الفصل الثانى عشر	عمل رائع	٨٤
الفصل الثالث عشر	مشاكل ..	٨٩
الفصل الرابع عشر	أعباء جديدة	٩٨
الفصل الخامس عشر	أيام جزيرة بيكود	١٠٤
الفصل السادس عشر	صورة رجل جنتلمان	١١١
الفصل السابع عشر	حنان الأبوة وحنين الطيور ..	١١٩
الفصل الثامن عشر	الوحدة ..	١٢٥

www.ibtesama.com

الفصل التاسع عشر	هارفارد مرة أخرى ، ثم انجلترا	١٣٣
الفصل العشرون	أيام الحرب	١٣٨
الفصل الحادى والعشرون	الحرب تدق على الأبواب	١٤٦
الفصل الثانى والعشرون	وليام آبلى	١٥٧
الفصل الثالث والعشرون	يقظة اب	١٦٤
الفصل الرابع والعشرون	الابن فى الجبهة	١٦٩
الفصل الخامس والعشرون	الحواجز المحطمة	١٧٧
الفصل السادس والعشرون	انطباعات جديدة	١٨٤
الفصل السابع والعشرون	العشرينات المضطربة	١٩٤
الفصل الثامن والعشرون	الأزمة	٢٠٢
الفصل التاسع والعشرون	سنة التطور	٢٠٩
الفصل الثلاثون	الرحلة الأخيرة	٢١٧
الفصل الحادى والثلاثون	جورج آبلى يودع الحياة	٢٢٤

www.ibtesama.com

الفصل الأول

تمهيد واعتذار

ولد جورج آبلى فى دار جده لأمه « وليام ليدز هانكوك » الذى يقع على الجانب المنحدر من شارع مونت فرنون فى بيكون هيل فى مدينة بوسطن يوم ٢٥ من يناير عام ١٨٦٦ . وقد مات فى منزله الذى يطل على نهر شارل والمتنزه العام يوم ١٣ من ديسمبر عام ١٩٣٣ . وكان هذا هو الاطار الذى تحركت فيه حياته ، والذى أحاط بصورته كرجل.. حتى انه قال ذات مرة عن نفسه : « اننى هذا الرجل الذى كان لابد ان اكونه ، لأن البيئة منعتنى أن أكون شخصا آخر » .

والآن فان مهمتى التى قبلتها فى ظروف غير عادية نوعا ما ، هى ان أصور حياة هذا الصديق العزيز من خلال كتاباته نفسها .

وأود قبل أن أبدأ فى ذلك أن اقدم تفسيرا قد يبدو شخصيا الى حد ما . فقد كان من حسن حظى فيما مضى أنى كتبت الكثير من مذكرات وخطابات بعض الرجال البارزين فى مدينة برسطن بناء على طلب أسرهم . وفى مثل هذه الحالات كان رأى الاسرة له الاعتبار الأول . اما فى حالة « جون آبلى الراحل » فان رأى الأسرة يبدو غير عادى .

فبعد فترة قصيرة من الخطاب الذى القيته فى تابين جورج آبلى فى الاجتماع السنوى لنادى بيركلى ، حيث كنا نشيد عادة بمآثر أعضائه الراحلين وهو شىء كان محببا لى ، بالنسبة للصداقة التى كانت تربطنى بهم ، تلقيت خطابا أثار دهشتى من ابنه جون آبلى يعقب فيه على الخطاب الذى القيته .

وهذا هو نص خطابه :

عزيزى المستر ولنج :

« .. لم تكن هناك فسحة من الوقت لكى أشكرك فى الليلة الماضية على عبارات التقدير التى ضمنتها خطابك الذى القيته فى نادى بيركلى .

www.ibtesama.com

وانك لجدير بأن تفخر بهذا الخطاب وكذلك الرجل العجوز . وليس لدى من نقد سوى هذه الملحوظة : ذلك أنى أم استطع أن اتحاشى التفكير ـ وأنا جالس فى الجانب المعتم من الغرفة وأنت جالس على المنصة بجانب السكرتير مع اوراقك ـ فى جميع هؤلاء الأشخاص الذين سبق أن سمعت منهم عبارات التأبين الطنانة المعتادة من فوق هذه المنصة ذاتها . وربما أكون قد احتسيت كمية كبيرة من الشمبانيا فى حفل الغداء الذى أقيم فى الردهة مما جعل ادراكى ، من غير شك ، أكثر حدة ، أو جعلنى أرى الشىء الواحد أكثر من شىء مزدوج ، ومهما يكن الامر فقد خيل الى حين ذاك أنى أرى ، عبر السنين ، صفا من أعضاء النادى بأوسمتهم وأحزمتهم الملونة ينهضون من القاعة المظلمة ويتجهون واحدا واحدا الى المنصة ، وأوراقهم فى أيديهم ، كما خيـــل الى أنى أسمعهم يلقون خطب التأبين المعتادة والمتشابهة . وقد جعلت والدى يبدو مثل الآخرين ، يامستر ولنج . فقد أغفلت مسألة المدعى العام « أوريلى » وغيرها من المسائل التى نعرفها . وتحدثت عن الجمعية التاريخية وعن الكفاح ضد تزيين الساحة العامة باللافتات الكهربية ولكنك لم تذكر شيئا عن النزاع الذى كان بينه وبين « مور » و « فيلدز » ولقد تكلمت عما فعله من أجل متحف الفن ولكنك لم تقل شيئا عن صفقة البرونز التى خدعه فيها أحد تجار نيويورك . كما تكلمت عن لطف شمائله كمضيف فى حفلات الغداء التى كان يقيمها أيام الآحاد فى ميلتون ، وحينما كان نادى « الاثنين » يعقد اجتماعاته فى منزلنا بشارع بيكون . هل تذكر المقاعد الذهبية فى الغرفتين العلويتين ، والمحار بالكريمة ، والقهوة ، اللذين كانا ينتظران المدعوين فى قاعة الطعام الى أن ينتهى الخطيب من كلامه ؟

لقد ذكرت كل هذه الأشـــياء ولكنك لم تقـل كلمة واحدة عما سببناه ، أنا واليانور ، من خيبة أمل له ولامى .

وربما كنت أنت على حق ، اذا وضعنا فى الاعتبار الزمان والمكان ، لكنى أشك فى أن والدى كان يمكن أن يقبل ذلك . وأنت تستطيع على أى حال أن تجيب عن ذلك أفضل ممـا أستطيع أنا ، لأنك كنت تعرفه أكثر منى .

وأنا نفسى أعتقد أنه كان يفضل الحقيقة وحدها . وأنا أقول هذا لا لأنى كنت أحبه . فقـــد كان عطوفا على وأنا صغير ، ولن أنسى قط الرحلات التى كنا نقوم بها على شاطىء البحر والأيام التى كنا نشاهد

www.ibtesama.com

في خلالها المبـــاريات الرياضيـة بين جامعتى « هارفارد » و « ييل » بالولايات المتحدة الامريكية ٠

لقد كان والدى يبـــدو دائما هادئا ، ولم نتشاجر مطلقا بصورة جدية حتى فى داخل العائلة ، ولكنى أذكر شـــيئا واحدا قاله ذات مرة مع ان الكثير من نصائحه كان يدخل فى احدى أذنى لكى يخرج من الاذن الاخرى ٠ فقد كان فى ذلك الوقت غاضبا معى بسبب رفض العمـل فى شركة « آبلى ريد » وكان يؤمل أن يؤدى قبولى العمل فيها تحويلها الى شركة « آبلى وريد وآبلى » وهذا ما قاله لى حينئذ : « لن يكون لك أب غيرى كما انه لن يكون لى ابن غيرك ٠ فدعنا نحاول ألا ننسى ذلك »٠

انك الآن عميد الادب فى مدينة بوسطن يا مستر ولنج ، ومقدرتك فى اعداد مذكرات الشخصيات البارزة وتنسيقها أمر يعترف به الجميع ٠ وان شعورى بالواجب نحو أبى ، يدفعنى أنا وبقية أفراد الاسرة الى أن نطلب منك أن تراجع مذكرات وخطابات والدى وتنسيقها ، اذا وجدت لديك وقتا وميلا ، وأنت تعرف أنه كان قد جمعها قبيـــل وفاته بفترة قصيرة . اننا سنكون فخورين جدا ومعترفين لك بالجميل اذا استطعت تحقيق هذه الامنية لنا ٠

وربما تكون عمتى « اميليا » قد تحدثت معك من قبل فى هـــذا الموضوع ، اذ انها يساورها اعتقاد بأنها رأس العائلة ، وحارسة وثائقها ومستنداتها ، ومع هذا فان طلبى سيكون مختلفا عن طلبها فى جوهره ، أو بالأحرى فانه لن يكون طلبا ، انما مجرد اقتراح متواضع ٠ الاترى أنه من الممكن أن تكتب تعقيبا على خطابات والدى وأن ذلك قد يكون عملا أعظم أثرا من الكلمة التى ألقيتها فى نادى بيركلى ؟ ألاتوافقنى على أن هذه الخطابات يمكن أن تقول الحقيقة عنه ؟ ولست أقصد بذلك أنك لا تقول الحقيقة دائما ، وانما أقصد أنك ستسجل أشياء ربما كان يدفعك ضميرك أو وفاؤك الى اغفالها ٠

وهل ترى أنهناك أى ضرر من نشر كتاب بذلك فى نطاق أعضاء الأسرة المباشرين فقط بحيث لا يتجاوز عدد نسخه خمسة عشر كتابا ؟ ربما يضايقك هذا لأنه سيحرمك نشر الكتاب بين الجمهور والفوز باعجابه، وهذا شىء أنت جدير به لما تتصف به من مقدرة وبراعة ٠ ولكنى مصمم على أن أدفع قيمة جهدك كما لو كان الكتاب سينشر على أوسع نطاق ، كما أنك ستشعر فى الوقت نفسه بمتعة الفنان التى يندر أن يحس بها ـ كما سمعتك مرارا تقول ـ الشخص يريد أن يعيش على الادب ، اذ انك

www.ibtesama.com

سنكتب هذا الموضوع بصدق ، ومن أجل الحقيقة وحدها . ويبدو لى أن هذه فرصتك وفرصتى لكى نقوم بآخر محاولة لانصاف والدى ، واعتقد أن والدى كان سيقدر مثل هذا العمل أعظم تقدير لو كان حيا . فهل تفكر فى هذا الموضوع تفكيرا جديا يا مستر ولنج ؟ يسرنى أن اتشاور معك فى التفصيلات فى أى وقت تشاء .

ان أعظم ما يهمنى هو أن يتمخض هذا العمل عن ابراز الحقيقة ، وأنت تعلم ، وأنا أعلم أن والدى كان «جدع» .

المخلص

جون

والحق : ان خطاب جون آبلى قد أثار حماستى ، وان كان أسلوبه جعلنى أتساءل : هل هناك خطأ فى التعليم فى جامعتى هارفارد وجروتون اللتان درس فيهما جون آبلى ؟ ان أى خريج من أية مدرسة انجليزية عامة، وأى صحفى بريطانى ، أكثر تمكنا منه فى بناء الاسلوب وتوخى الدقة فى التعبير اللغوى ، لقد أحزننى أن أجد جون آبلى ، بوصفه انتاج أعظم معهدين تعليميين فى أمريكا كان لهما الفضل فى بث أصول الثقافة فى خلال أجيال كثيرة ، يلجأ أخيرا الى كلمة « جدع » الدارجة ذات المقطع الواحد ، لكى يعبر عن المعنى الذى يقصده . قد يبدو ذلك أمرا تافها لكنه عظيم الاهمية فى نظرى . وقد يرجع هذا الى تمرد الشباب الدائم ضد التقاليد . ان جورج آبلى الراحل ، والد جون كان على عكس ذلك ، كان رجلا شديد التمسك بالنظام والعرف لا يحيد عنهما قيد شعرة . وقد حفزنى خطاب ابنه الى أن أكشف النقاب عن هذا الخلق القوى .

والآن يبرز سؤال هام لابد أنه أثار حيرة كثير من كتاب الشخصيات : ما الحقيقة فى حياة شخص ما ؟ فلرسم خلق مثل هذا الشخص وتحديده ينبغى ابراز بعض الصفات الفنية ، ولكن هل تكون هذه هى الصفات الجوهرية ؟ من ذا الذى يستطيع أن يزعم أن له الحق فى أن يجزم بذلك ؟

لم تكن من عادة أسرة آبلى ، مثلها فى ذلك مثل كثير من الأسرات المحافظة المتمسكة بالتقاليد ، أن تمزق أوراقها وخطاباتها وتدمرها . وكان من حسن الطالع ، نتيجة لذلك ، ان استطاع جون آبلى أن يسلمنى حافظة مليئة بالاوراق التى تشرح حياة والده ، وقد بدأت بالخطابات التى كان يرسلها وهو شاب صغير لأبيه توماس وأمه اليزابيث آبلى .

www.ibtesama.com

ثم تستمر الخطابات تتدفق على مدى حيـــاته ، مع رســائل للأقارب والاصدقاء ومذكرات لشركائه فى العمل ، وملاحظات عن طائفة كبيرة من المسائل ، مثل توسيع المنتزه العام فى المدينة ، وعرض الانوار الكهربية فى الساحة العـــامة • كما أن جورج آبلى احتفظ بمقتطفـــات من بعض أعماله ، مثل الخطاب الذى ألقاه فى المدرسة التى تعلم فيها ، بمناسبة مضى أربعين عاما على انشائها ، والخطاب الذى ألقاه فى نادى خريجى جامعة هارفارد ، بمناسبة احتفالها بالعيد المئـــوى ، وطائفة أخرى من الخطب التى ألقاها فى مناســـبات مختلفـة فى نادى يوم الاثنين وفى الجمعية التاريخية •

وقد تبدو مثل هذه الاشياء ، اذا نظر اليها نظرة عابرة ، لاتستحق عناء الاحتفاظ بها • وقد يكون هذا صحيحا اذا نظر الى كل شيء منها على حدة ، ولكنها كمجموعة موحدة يمـــكن أن تكشف روح الرجل ومدى تأثيره على الحياة حوله كما انهـــا يمكن أن تكشف عن الروح الحقيقية لمدنيتنا • ولزمننـــا هـــذا ، اذ أن جورج آبلى جزء هام من كليهمـــا على التحقيق •

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com

الفصل الثانى

اصل الأسرة

ان كتابة تاريخ الشخصيات فن له قواعده وأصوله ، مثله فى ذلك مثل أى فن آخر · وعادة ما يبدأ الكاتب بالجدود الأولين ويتتبع منشأ الاسرة لكى يجيب عن هذا السؤال : ما العوامل التى ساعدت على صنع هذا الرجل ؟ ونحن فى حالتنا هذه نشعر بحسن الطالع ، لان الرجل ذاته قدم لنا جواب هذا السؤال فى أوراقه المتناثرة ، وليس ثمة أفضل من أن ندعه يتكلم بقلمه هو نفسه ، عن أسرة آبلى طبقا لما جاء فى رسالة كتبها لابنه جون وابنته اليانور من مكتبة منزله بشارع بيكون · ولقد أمضيت معه هناك أمسيات كثيرة حيث كنا نجلس معا فى حجرته الأنيقة التى تقع على رأس الدرج فى الطابق الثانى التى تكسو جدرانهـــا الكتب القيمة ذات الأغلفة المصنوعة من الجلد ، والتى تزدان برســوم السفن المبحرة الموضوعة على الأرفف ، وكانت تحتها المجموعة التى يعتز بها من أوعية حلاقة الذقن · لقد كانت اهتماماته متنوعة ، ولكن حصافته وحسن ادراكه كانا ثابتين لا يتحولان ·

وهذا هو نص الخطاب :ـ

عزيزى جون وعزيزتى اليانور

فى الليـــلة الماضية ، حينما كنت هنا فى حجرة المكتبة ، تركت الباب نصف مفتوح ، بقصد التهوية ، وليس بقصد التجسس على شئون جيل آخر ·

وربما لا يخطر ببالكما كيف تصعد الاصوات عبر الدرج ، وبخاصة الاصوات التى لها « لكنة » أفراد أسرة آبلى ، وقد سرنى أن الاحظ أن فى صوتكما هذه اللكنة ، ولقد سمعتكما تتحدثان مع أصدقائكما من أفراد أسرة « بوريج » عن عمكما « وليام » · لقد كنتما تتـــحدثان عن أثاث منزله الكائن فى شارع فيرفليد ، وسمعتكما تقولان انه كان يستطيع ،

www.ibtesama.com

بالنسبة لدخله الكبير ، أن يدخل كثيرا من التجديدات على أثاثه ورياشه . وقد يبدو غريبا لكما أن هذه الفكرة أدهشتني لانها بدت لي جديدة .

ان منزل عمكما الكبير « وليام » كان يبدو لي دائما جزءا منه ، وبناء على هذا ، فهو غير قابل للتغيير . واذا كان أثاث منزله يبدو بسيطا ، وأدوات منزله : المائدة عتيقة ومستهلكة ، وغطاء المائدة مرتقا ، فان كل هذا يبدو لي مجرد تعبير عن خلقه وعن قيمة صفاته الكامنة . ان عمكما « وليام » يستطيع ، اذا شاء ، أن يعيش في أبهة المحدثين من الاغنياء ، لكنه لا يريد ذلك . فهو يكره المظاهر الخارجية التي يحبها الآخرون ممن تجرى الاموال بين أيديهم مثله .

وهو لا يزال يذهب الى مقر الشركة في عربات « الترولي » وربما يشترى حلة واحدة في العام ، كما سمعتكما تقولان . وانى أعقب على ذلك بأنه لا ينبغي لكما أن تنسيا كرمه وسخاءه مع الآخرين . لقد رأيتما مجموعة لوحات « مبرانت » الثمينة التي أهداها الى متحف الفنون ، ولكنكما لا تعرفان أنه تبرع ، من غير أن يذكر اسمه ، بمبلغ ثلاثة ملايين دولار للملاعب الرياضية في « ساوث بوسطن » وأنه ظل في خلال العشرين عاما الماضية يشارك في مختلف أعمال البر .

وانني لا أعترض على ما تبديانه من سخرية وتهكم بالعم «وليام» فقد كنت أفعل مثل ذلك في شبابي ، ولكن الشيء الوحيد الذي يدهشني هو اعتقادكما بأنه ينبغي أن يتغير ، مع أن تقتيره جزء من كرمه .

ان الاسراف في مظاهر « الفخفخة والأبهة » لم يعد بالفائدة على مجتمع منذ عهد الامبراطورية الرومانية حتى وقتنا هذا . وعمكما يدرك أن ثمة أشياء أهم من الرياش الحديث والاثاث العصري ، وانى لأؤمل أن تدركا أنتما أيضا ذلك في الوقت المناسب . وفضلا على هذا فان وليام آبلي يحب الموسيقى ، ويملك مجموعة من أعظم وأكبر مجموعات الخزف الصيني في أمريكا . لقد سمعتما عن مجموعة روكفلر ، ولكن اسألا عمكما عن مجموعته .

وقد تطرق حديثكما عن عمكما الى الحديث بطبيعة الحال عن الأسر وبخاصة اسر بوسطن . لقد سمعتكما تضحكان على ما يشعر به بعض أقاربنا من كبرياء لانتسابهما الى شجرة عائلتنا . وقد سمعتكما تقولان اننا جميعا ننحدر من أسرة انجليزية صغيرة تتألف من الفلاحين وأصحاب الحوانيت . لقد كنتما محقين في هذا ولكني دهشت فقط لأنكما

www.ibtesama.com

لم تكتشفا هذه الحقيقة من قبل . ان بساطة نشأتنا هى التى تفسر بساطة حياة عمكما وليام ، ولكن لا تنسيا أن هؤلاء الاجداد الذين كنتما تتحدثان عنهم كانت لهم معتقداتهم وأفكارهم الخاصة .

ان اسرة آبلى نشأت فى الاصل فى مدينة توتسولد ـ فيرنج فى اقليم ساسكس فى انجلترا منذ زمن بعيد جدا . ولا يزال بعض أفراد الاسرة يعيشون هناك حتى الآن ، وقد تحققت ذلك بنفسى فى خلال الرحلة التى قمت بها أنا وأمكما فى الريف الانجليزى . وأول شخص من أسرة آبلى هاجر الى أمريكا كان يدعى « جوردمان آبلى » وقد استقر فى مدينة روكسبرى عام ١٦٣٦ .

واذا راجعتما التاريخ الامريكى فى عهوده المبكرة لوجدتما أن هذا التاريخ يعاصر رحلة الهجرة الكبرى من الوطن الأم (انجلترا) ولم يكن المهاجرون الانجليز مجرد أشخاص يكافحون ، بسبب الفقر ، للعثور على مأوى جديد ، مثل الايرلنديين الجياع الذين غمروا أمريكا فى منتصف القرن الماضى ، ولكنهم كانوا مواطنين لهم شأن وقيمة ، وكان كثير منهم يقتنون الممتلكات والاموال وقد أرادوا اتخاذ موطن جديد لأسباب تتعلق بالضمير والعقيدة . وقد استقر كثير منهم فى مدن : سالم ، وروكسبرى ، ووترتاون ، حيث أنشئوا هناك مجتمعات راقية مهذبة . واننى أنا نفسى لا أعتقد أن كثيرا من الامريكيين فى منطقتنا يستطيعون التفاخر بأجدادهم مثلما يفعل أحفاد هؤلاء المهاجرين الانجليز ، ولكن هذه مسألة خارج موضوعنا على أى حال .

وقد ترك توماس آبلى حين وفاته عام ١٧٦٢ منزلين ، وخمسة عشر غدانا ، وحق الرعى فى المراعى العامة لأربعين رأسا من الماشية ، وفراشين من الريش « وسطلين » من الفضة ، وعبدا هنديا يدعى تومفرى ، وقد تزوج فى خلال حياته ثلاث مرات وأنجب عشرين طفلا مات نصفهم وهم صغار . ويبدو أن أحدا من الذين كتب لهم البقاء استطاع أن ينشىء لنفسه اسما ومركزا . فيما عدا جدكما جون آبلى ، وهو الابن الثانى من زواجه الثانى ، والذى اختاره والده لكى يكون كاهنا . وقد تلقى جون آبلى علومه فى جامعة هارفارد وتخرج منها عام ١٦٦٢ وبهذه المناسبة أقول لكما ان جامعة هارفارد كانت تضم دائما واحدا من أسرتنا فى كل جيل على مدى العصور .

وقد أصبح جون آبلى فيما بعد كاهن مدينة بارنستابل ، وكان له فى المنطقة نفوذ كبير ، واستطاع أن يقنع كثيرا من الهنود الحمر باعتناق

www.ibtesama.com

المسيحية وقد أدى مرة الصلاة بلغتهم فى احدى المناسبات حينما اجتمع عدد كبير منهم على الشاطىء لكى يلعبوا لعبة اسمها (كرة القدم) ٠

واننى لا أعرف نوع هذه اللعبة معرفة تامة فيما عدا أن عدة مئات منهم اشتركوا فى لعبها ، ولكننى كثيرا ما أشعر بالسرور كلما فكرت فى أن جون آبلى كان يجد متعة فى هذه اللعبة لانها كانت تبهجنى وتفتننى دائما ٠ ويجب أن تتذكر أن مركز الكاهن فى ذلك الوقت كان عظيما جدا من الوجهة الاجتماعية ، ولهذا فلا عجب اذا كان قد استطاع أن يصاهر أسرة « دادلى » الرفيعة الحسب والنسب ، اذ تزوج احدى بناتهـا وهى « مارتا دادلى » ٠

وقد أنجب جون آبلى عدة أبناء كان أكبرهم ناثانيال آبلى ، الذى تخرج من جامعة هارفارد عـــام ١٦٨٧ ، وأصبح اســـمه يقترن بكلمة « مستر » التى كانت تشير الى ارتفاع مكانة الشخص فى المجتمع فى ذلك العهد الذى كان الناس ينقسمون فيه الى خاصة وعامة ٠ وقد ترك أمريكا فى هذه الفترة المضطربة الى انجلترا لمدة سنتين بسبب قرابته للمحافظ « دادلى » ولكنه لم يلبث حتى عاد وتزوج « ماريا جوكين » وكانت تنتمى الى احدى الأسر الراقية ٠

وقد اشتغل ناثانيال بالتجارة ، وكانت له مغامرات كثيرة فى هذا المجال فى جزر الهند الغربية ، حيث كان يقوم بالمقايضة فيعطى السكان الوطنيين الخشب والأسماك ويأخذ منهم السكر ٠ وفى ذلك العهد كانت تجارة الرقيق تجارة شريفة ومحترمة ، وقد أثرى منها واشترى منزلا فى الطرف الشمالى من شاطىء مدينة بوسطن ٠

وقد دخل ابنه جوزيف ، الذى تنتسب أسرتنا اليه ، جامعة هارفارد عام ١٧٣٣ ، ولكنه طرد منها بسبب استخدامه ألفاظا مبتذلة فى اجتماع عام ٠ وفى أثناء زيارته لمدينة بورتسمورث تعرف الى فتاة رائعة الحسن تدعى اليزابيث برينجل وتزوجها ٠ وصورتها المعلقة فى حجرة المائدة بالطابق الاول لا تنصف جمالها كما ينبغى لان الذى رسمها فنان جوال كان يطوف بلاد الساحل الشرقى ٠

وتخرج ابنهما «جون» من جامعة هارفارد عام ١٧٥٧ وله صورة ، وهو فى سن السابعة والثمانين ، رسمها له الفنان الذائع الصيت «كوبلى» آلت الى عمتكما أميليا حين تقسيم تركة جدكما ٠ وقد استطاع الرسام «كوبلى» أن يبرز فى هذه الصورة كل مواهبه وأن يعبر فيها من غير رحمة

www.ibtesama.com

عن كل طباع جدكما وخلقه ، فهى صورة واقعية بكل ما فى هذه الكلمة من معنى .

ومع أن عواطف جدكما قبل الثورة الامريكية كانت مع الملكيين ، فقد عرف فيما بعد ، حينما اندلعت الثورة ، انه كان يشارك سرا فى دفع ثمن البارود والسلاح للثوار عشية معركة (بنكر هيل) ومع ذلك فانه حينما انتهت الحرب الثورية كان دائم الشكوى من الفوضى التى كانت سائدة حينئذ .

ولا أعرف لماذا تشاجر جدكما جون آبلى مع ابنه جورج ، حتى انه لم يخصه فى وصيته الا بشلن واحد امعانا فى النكاية به ، الا أن جورج تزوج من خارج محيطه الاجتماعى . فقد وقع ، وهو فى سن السادسة عشرة ، فى غرام «ماريا كابوت» من مدينة بيفرلى ، وكانت أسرتها رقيقة الحال تعمل فى الملاحة الساحلية ولكن على نطاق ضيق . ولما أصر الشاب جورج على الزواج منها طرده والده ونشأت بينهما قطيعة دائمة .

واشتغل جورج وزوجته « ماريا » بالزراعة فى منطقة (سادبرى) حيث اقتنيا مزرعة تبلغ مساحتها ثمانين فدانا قرب مستنقعات نهر (سادبرى) وعاشا حياة صعبة أنجبا فى خلالها خمسة أبناء .

وقد جاء مولد هؤلاء الابناء فى خلال الفترة الحرجة من التاريخ الامريكى وهى فترة التعمير ، وعاشوا مع أبيهم فيما بعد حياة تتسم بالكفاح لكى ينتزعوا من الارض ما يمكن أن تجود به من غلة قليلة . لقد قلت لكما من قبل ان أسرة آبلى تتألف من قوم بسطاء . ولكنى أردت أن أوضح لكما هذه النبذة أن الاصل الطيب يظل أثره باقيا على مدى الزمن .

وكان أحد هؤلاء الابناء الخمسة هو موسى آبلى (جدكما الاكبر) وقد غادر المزرعة وهو فى سن الرابعة عشرة ليعمل فى مكتب دربى للتجارة فى مدينة سالم ، ويبدو أنه استطاع الالتحاق بهذه الوظيفة نتيجة لعلاقة المصاهرة التى تربط والده بأسرة كابوت التى تزوج منها . وتاريخ حياة موسى آبلى محفوظ الآن فى المكتبة ، أما خطاباته وتفصيلات أعماله فمحفوظة بمعهد اسكس بمدينة سالم . وقد ظهر موسى آبلى فى حقبة نادرة من تاريخ العالم انتشرت فيها الحروب التى قلبت الحضارة رأسا على عقب ، وفى سن الخامسة عشرة أقلع على السفينة (ستيلا) وهو فى وظيفة كاتب ، الى بحر البلطيق . وفى سن الثامنة عشرة تولى منصب

www.ibtesama.com

القبطان في السفينة (جود هوب) التى اقلعت الى مدغشقر والصين وعليها شحنة من البضائع تقدر قيمتها بمبلغ خمسة عشر الف دولار · وكانت هذه هى بداية تجارتنا مع الشرق · وحينما سلم ، وهو فى مدغشقر ، بنشوب الحرب بين فرنسا وانجلترا بادر هذا الصبى (وهناك فى هذا العالم صبيان ينضجون بسرعة وان لم يدخلوا جامعة هارفارد) الى بيع حمولة السفينة بثلاثة اضعاف ثمنها وحصل على المبالغ بالعملات الذهبية التى كانت تساوى أيضا ضعف ثمنها · ولما وصل الى ميناء كانتون فى الصين ملأ السفينة بشحنات من الشاى بأسعار زهيدة ، لانه تصادف حينئذ أن انتحر الوكيل البريطانى لاستيراد الشاى فى مصانع كانتون ، وخشى المصدرون الصينيون الذين أصابهم الفزع مايترتب على هذا الحادث من صعوبات تجارية ·

وفي أثناء عودة جدكم الاكبر « موسى » الى أمريكا عن طريق رأس الرجاء الصالح استطاع أن يحصل فى منطقة (فرناندو ـ بو) البرتغالية على الساحل الافريقى ، على صفقة من العاج مقابل كميات من (الروم) كان قد اشتراها فى كانتون من قبطان سفينة بريطانية كان مصابا بنزيف دموى ويوشك على الموت · وكانت الاحوال فى ذلك الوقت مضطربة والبحار مملوءة بالسفن البريطانية والفرنسية المسلحة التى تغير على السفن التجارية وتستولى على ما فيها من بضائع · ولذلك اضطر موسى آبلى أن ينتظر فى (فرناندو ـ بو) فترة من الوقت ، وأخيرا عاد الى مدينة سالم ، بعد رحلة استغرقت عامين واجه فى خلالهما كثيرا من الاخطار · وهذا الجانب من تاريخ حياة جدكما عولج بتفصيل أوفى فى الكتاب الذى يحوى تاريخ حياته ، وقد أردت فقط بهذا الموجز أن أوضح لكما كيف استطاع موسى آبلى ، بفضل قوة عزمه ورجاحة عقله ، أن يصبح من أكبر رجال السفن التجارية ثراء فى مدينة بوسطن ، وأن يصبح الصديق المبجل المحبوب لدى شركتى (بيبودى ، وبيركنز) للملاحة البحرية · وخلاصة القول : ان موسى حينما وصل الى أمريكا استطاع أن يسلم لدار (دربى) التجارية التى كان يعمل لحسابها ـ ولم يكن قد بلغ بعد سن الرشد القانونى ـ شحنات من البضائع تقدر قيمتها بأكثر من مائة وخمسين الف دولار · وكان نصيبه من هذا المبلغ ، بصفته قبطان السفينة ، كافيا لكى يشترى لحسابه السفينة بريتى بيرل (الجوهرة الجميلة) وهو اسم عاطفى كما ترياق ، ومع انه قيل انه أصبح أكثر تهورا فيما بعد فى معاملاته التجارية ، فان استقامته ونزاهته لم تكونا محل نقاش ·

www.ibtesama.com

وان المبلغ الذى تبرع به (لمؤسسة آبلى للبحارة) وقدره مائتا الف دولار وهو مبلغ عظيم القيمة فى تلك الايام ، ينهض دليلا على اتجاه ميوله نحو الخير ٠

وهناك قصة ربما لم تسمعاها عنه ، ولكن يبدو انها تستحق ان اسردها لكما ٠ ذلك انه حينما اشتد المرض بأبيه ، وأصبح قاب قوسين أو أدنى من الموت ، استدعى موسى لكى يكون الى جوار أبيه الذى أثر المرض أيضا فى قواه العقلية ٠ وكان الأب قد أوصى بكل ممتلكاته الى أبنائه الاربعة الآخرين ، وأراد أن يوضح لموسى أنه لم يفعل ذلك الا لانه يعلم أنه نجح فى أعماله وأصبح غنيا فلم يعد فى حاجة الى مال جديد ٠ وحينئذ قال له موسى :

لا تقلق يا أبى : ٠٠٠ فان لى سفينة رست توا فى الميناء وعليها بضائع تكفى لشراء مدينة (سادبرى) كلها ٠٠٠ وحينئذ زمجر الأب المريض غير مصدق ، وأدار وجهه نحو الحائط وقال :

ـ كأنك تريد أن أموت وقد ثبت فى يقينى أن ابنى كذاب !

اننى لم أعرف موسى آبلى الا من صورته المعلقة فى قاعة الاستقبال بمنزل عمكما وليام ، فقد مات قبل أن أولد ، بعد أن أنجب سبعة أطفال٠ ولكننا مدينون له بالشكر لان الفضل يرجع اليه فيما نتمتع به الآن من حالة مالية حسنة ، ويحق لنا أن نفخر به لهذا السبب ٠ وحين تزوران عمكما وليام مرة أخرى ، اطلبا من الخادمة العجوز (بريد جث) أن تريكما الصورة ، وهى ستفهم غرضكما اذا انتما طلبتما منها ذلك بصوت مرتفع ٠ فان الصورة تستحق أن تشبعا نظركما بها ٠

www.ibtesama.com

الفصل الثالث

الوالدان

على الرغم من أن ممتلكات جدكما الاكبر كانت شاسعة الاطراف فانها تعرضت مع ذلك لبعض الخسائر بسبب تدهور الملاحة فى ميناء يوسطن وأيضا نتيجة لحريق شب فى هذا الميناء · ومع هذا فانه لما قسمت التركة حصل والدى على نصيب طيب أتاح له أن يعيش فى يسر ورخاء · وقد استطاع بذكائه وحصافته أن يحافظ على ممتلكاته وأن ينميها حتى أصبحت بالصورة التى هى عليها اليوم · وكان والدى يستطيع أن يعيش على دخله ، ومع ذلك فقد ظل طيلة حياته ينهض من النوم فى الساعة الخامسة والنصف صباح كل يوم · وفى الساعة التاسعة من المساء كان يأخذ شمعته ويصعد الى الطابق الثانى · لقد درس القانون فى جامعة هارفارد ، كما فعلت أنا ، ولكن اهتمامه كان متجها بصفة خاصة الى التجارة · ولما ألف شركة بينه وبين عمكما وليام ـ لكى يديرا أملاكهما وأملاك اخوتهما وأخواتهما التى آلت اليهما من تركة جدكما الاكبر موسى آبلى ـ صرفا النظر عن العمل فى البحر · وفى هذه الايام العصيبة ، التى ساد فيها الكساد قبيل نشوب الحرب الاهلية الامريكية ، أدركا أن مستقبل اقليم «نيوانجلند» يكمن فى الصناعة ·

وأن مصانع آبلى الموجودة فى مدينة (آبلى فولز) هى نتيجة مباشرة لبعد نظر جدكما ، والدى ، ورجاحة عقله · فهو الذى أشرف على انشائها وعلى تمويلها ، وهو الذى تولى تدبير العمال اللازمين لهـا من بين أفواج الايرلنديين المهاجرين الذين كانوا يتدفقون على ميناء بوسطن · وقد زعم بعض الأدعياء الحاقدين فى الجنوب أن العمال فى مصانع آبلى يعيشون فى حالة سيئة ، وقد أثار هذا التشهير ألم جدكما وغضبه أيضا · وقد نشر هؤلاء الحاقدون ، الذين يؤيدون استخدام الرق فى الجنوب الامريكى ، تقارير جاء فيها أن العبيد فى مزارع الجنوب يحصلون على طعام أكثر وعناية أكبر مما يحصل عليه العمال فى مصانع آبلى ، وانهم

www.ibtesama.com

يستمتعون بسعادة وهناء لا يشعر بهما عمالنا · وقد ظل والدى حتى آخر أيامه يدحض هذا الزعم الباطل وينكره أشد الانكار ·

ان العمال الايرلنديين فى مصانعنا ، الذين كانوا يعملون فى بلادهم كفلاحين فى ظروف يكادون يموتون فى خلالها جوعا تحت سيطرة ملاك الارض الذين كانوا يعاملونهم كالعبيد ، حصلوا عندنا على منازل من القرميد يعيشون فيها ، وعلى عمل منتظم يقيهم شر الحاجة ، وعلى أجر لا يقل عن الاجور التى يمكن أن يحصلوا عليها فى أى مكان آخر · ومع أن معظمهم كان أميا لا يقرأ ولا يكتب الا أنه كان يستمتع بحرية الفكر والعمل · وأتيحت لاطفاله فرصة الانتظام فى المدارس العامة ·

وكان هؤلاء العمال يشعرون بالامتنان لكل ذلك · وأذكر يوم زرت مصانع آبلى ، وكنت حينئذ فى السابعة من عمرى ، أنى رأيت صفين من المنازل الصغيرة التى يعيشون فيها · وفى المساء ، حينما انتهى العمل ، جلس الرجال مع زوجاتهم عند عتبات المنازل فى هدوء وسلام لا يشغلهم شىء سوى انتظار العشاء الطيب الذى سيتناولونه ، والاجر الذى سيحصلون عليه لقاء عملهم فى اليوم التالى · وكنت أسير فى هذا اليوم بين والدى وعمى ، ولا أنسى قط نظرات الحب التى كان العمال يرمقونهما بها وهم يخلعون قبعاتهم تحية وترقيرا فى حين كانت نساؤهم ينحنين فى أدب وامتنان · لقد كانوا ينظرون الى عمى والى أبى كصديقين وكحاميين وفرا لهم المأوى وأسباب الحياة ، وقدما لهم النصيحة والمساعدة فى مشكلاتهم العائلية · ولم يكن هناك فى مصانع آبلى فى تلك الايام شىء يسمى اضطرابات العمل ، لانه لم تكن هناك أفكار متطرفة ، أو رغبة فى الترف والكماليات ، لان هذه الاشياء لم تكن موجودة فى ذلك العهد وقد تمنيت كثيرا أن يظل الحال كذلك حتى الآن ·

وكان عمى ووالدى يشعران بمسئولياتهما تجاه عمالهما وأسرهم ، ولذلك كان من الطبيعى ألا يضمرا شيئا من الحب لمروجى الافكار المتطرفة فى ذلك الوقت ، وكان والدى يلعن حركة تحرير العبيد ، ويكرهها ، لانه كان يرى ، كما كان يرى كثيرون غيره من كبار رجال الاعمال ، أنها ستؤدى الى صراع سياسى مرير بين الشمال والجنوب ·

ولا شك فى ان والدى قد شعر بالألم لانه اضطر الى اتخاذ هذا الموقف الصعب ، لانه كان رجلا متحررا فى نواح كثيرة ، وكان يؤيد حرية الانسان فى العمل · وكان فى أوقات فراغه يهتم بالفنون ، وكان يتحدث باحترام عميق عن الفنانين والكتاب ، وحتى عن الروائيين ، وان كان

www.ibtesama.com

يعتقد أن الرواية أقل أنواع الفنون شأنا وأشدها تفاهة · ولم تكن لديه ميول متطرفة تجعله يرتبط ارتباطا شديدا لا مبرر له بالجمعيات الادبية، وقد عبر لى مرة عن آرائه فى هذا الشأن بالعبارات التالية :

« ان الشاعر والكاهن والقصاص ليسوا رجال أعمال · وهم جميعا فاشلون فشلا ذريعا فيما يتعلق بالتجارة وميدان البنوك · وانى لأعجب أشد العجب ، وهم يعانون كل هـذا الفشـل ، كيف تكون لآرائهم الاقتصادية أو السياسية أية قيمة · »

ولما بدأ نشوب الحرب الاهلية ، تزوج جدكمـا من « اليزابيث هانكوك » عن حب ، وكانت تجمع بينهما أيضا ميول مشتركة فيما يتعلق بالمصالح والأصدقاء ، وعلى الرغم من أنه كان اتحـاديا متحمسا ، فانه لم يستطع الاشتراك فى هذه الحرب ، فقد كان حينئذ زوجا شابا يوشك أن يصبح أبا ، فضلا عن أنه كان مسئولا عن شركات تجارية كبيرة يعتمد عليها مئات الناس فى كسب رزقهـم اليومى · ولهـذا فقد اضطر أن يستأجر شخصا آخر لكى يشترك فى الحرب بدلا منه ، وكان هناك فى ذلك الوقت قانون يبيـح ذلك · وكان هـذا الشخص هو (كلارنس كونكورانز) رئيس عمال الحديقة فى منزله الريفى فى (هيلكرست) · وقد ظل طوال الفترة ، التى كان فيها فى الميدان ، يتلقى مرتبه الشهرى المعتاد ، كما تعهـد له والدى بأنه سيعنى بأسرته اذا وقع له حادث فى خلال الحرب · وقد رأيت بعض الخطابات التى كتبها له والدى حينئذ ، وكانت كلها تفيض بالحب والمرح ، وكان يضمنها دائمـا بعض المبالغ المالية ·

وقد عاد (كلارنس) لحسن الحظ سليما من الميدان ، ونشأت بينه وبين والدى صداقة وطيدة اسـتمرت حتى بعد أن أخطر كلارنس أن يغادر (هيلكرست) بسبب ادمانه على الشراب وفشله فى حب وصيفة جدتكما · وقد ظل كلارنس ، وأولاده من بعده ، يتلقون من أسرة آبلى معاشا شهريا منتظما حتى وقتنا هذا ، وقد دفعت أخـيرا لحفيدة جون كوركو رانز نفقات الدراسة فى جامعة بوسطون ثم فى كلية الحقوق فى مدينة سافولك ·

لقد كان جدكمـا يحب كل شـجرة وكل جحر فى ضيعته بـ (هيلكرست) وقد ورثت أنا أيضا هذا الحب · وكثيرا ما وقفت معه وأنا طفل ، فى أمسيات الربيع ، نتطلع الى أشجار القرنفل والازهار البيضاء المتسلقه على أعمدة الشرفة ، وحينما كانت احدى الاشجار يصيبها الذبول

www.ibtesama.com

والمرض فانه كان يشعر بالضيق والكمد ، كما لو كان أحد أفراد الاسرة يعانى سكرات الموت .

وقبل أن يقيم جدكما فى منزله الحالى بشارع (بيكون) كان قد اشترى دارا فى حى (ساوت اند) الهادىء به ، ولما فعل ذلك اعتقد كل الناس أن هذا الحى سيصبح منطقة سكنية رائعة يقطنها علية القوم . ولكن ذات صباح أطل والدى مصادفة من الشرفة ليلقى نظرة على وعلى أختى أميليا ، وعمتكما ، ونحن نصعد العربة التى ستنقلنا الى المدرسة الابتدائية ، فرأى فى الدار المقابلة شابا يشمر أكمام قميصه ، فصاح قائلا : ياللرعد ! وأيقن أن هذه المنطقة ستتجه بعد زمن قصير بالعـــامة والدهماء ، فباع المنزل فى اليوم التالى مباشرة واشترى منزلنا الحالى فى شارع بيكون .

ولن أحدثكما طويلا عن أمى ، جدتكما ، ليس لأنى لا أستطيع ذلك وانما بسبب الذكريات العاطفية التى يحتفظ بها قلبى تجاهها ، والتى يمنعنى الحياء من التكلم عنها ، حتى لأولادى . لقد كانت أسرتنا تعيش فى نظام دقيق يطبقه والدى ، ولكن هذا النظام لم يكن قاسيا أكثر مما ينبغى ، على ما أعتقد ، وكانت أمى تمـلأ المنزل مرحا وسرورا ، وكانت زوجة محبة ، وصديقا عطوفا على كل انسان ، وكانت متمسكة بمعتقداتها ، ومحسنة للضعفاء ، وكان حبها عظيما للأدب والموسيقى والرسم ، ولكنها لم تنغمس فى أى من هذه الفنون انغماسا شديدا خوفا من أن يصرفها ذلك عن مسئولياتها تجاه بيتها .

لقد أطلت فى الحديث بعض الشىء أكثر مما كنت أتوقع ولكن هذا جعلنى أمضى أمسية سارة . وعلى أى حال فان هدفى هو اطلاعكما على نبذة من تاريخ الاسرة ونشأتها ، وعلى خلق الاشخاص الذين انحدرتمـا من أصلابهم . لقد كانوا قوما بسطاء غير معقدين ، وهم يستحقون الفخر الذى تشعران به تجاههم . لقد سمعت عمتكما أميليا ذات يوم تقول :

« اننى حينما أشـــعر بالضيق أتذكر أسرة آبلى » . وقد شعرت بالغبطة لهذه الملاحظة ، على الرغم من سوء تركيب هذه العبارة . فان عمتكما كانت تشعر بأهميتها بصورة مفرطة ، وكان هذا الشعور يبعث التسلية فى نفسى . ولكن مع ما قد يبدو فى مثل هذا الشعور من حماقة فان مما يثير الزهو فى النفس أن يحس الانســـان بأنه يستند الى عدة أجيال من القوم الشرفاء المجدين العاملين .

www.ibtesama.com

الفصل الرابع

عهـــد الطفولة

سنتحدث الآن ، بعد أن تكلمنا عن منشأ الاسرة ، عن طفولة جورج آبلى ومطلع عهد شبابه والاشياء التى تفتحت عليها عيناه لأول مرة فى مدينة بوســطن ، ومثل هذا الحــديث شيء لاغنى عنه لكى نستطيع ان نفسر ونفهم خلقه .

ان بوسطن عام ١٨٧٠ ، حينما كان جورج آبلى طفلا شيء مختلف عن بوسطن الآن ، فقد حدثت منذ ذلك العهد تطورات مادية ضــخمة لم يشهد التاريخ لها مثيلا من قبل ، ولا بد أن تترك مثل هذه التطورات تأثيرا جسيما فى نفس الانسان وعقله ، وقد كان لها هذا التأثير من غير شك فى جورج آبلى .

ومع أن والدى جورج آبلى كانا ، حين مولده فى حالة طيبــة من اليسر فانهما كانا يعيشان حياة بسيطة . وكانا يمضيان فترة الصيف فى ضيعتهما فى « هيلكرست » التى كانت تبعد عن المدينة كثيرا . وكانت هذه الضيعة ، التى تكثر فيها أشجار الدردار ، تضم دارا يرجع عهدها الى عام ١٨٤٠ وكان أطفال أسرة آبلى يمضون أوقاتهم فيها تحت اشراف أمهم ورعايتها . وكانت هى التى تجعلهم يتذوقون الأدب ، وتسترعى نظرهم الى ما فى الريف من ألوان الجمال . وهناك أتيحت لهؤلاء الأطفال الفرصة لكى ينشئوا صداقات ظلت قائمة مدى حياتهم .

فقــد تعرفوا الى أطفــال اسرة (كالدرز) التى تقيم فى الناحية اليمنى من الضيعة ، والى أطفال اسرة (برومفيلد) التى تقيم فى الناحية اليسرى وحينمــا كان أطفــال الأسرات الثلاث ، من صــبيان وبنات ، يلعبون معــا فانهم كانوا يحــدثون كثيرا من الضوضــاء والصــخب ، وخصوصا حينما كانوا يجولون فى الأراضى الفسيحة ، وليس فى ذلك عجب ، فقد كانت هذه هى مملكة طفولتهم التى لا ينازعهم فيها أحد .

www.ibtesama.com

ان كل الذين عرفوا اليزابيث آبلى ، سعيدة كيلكرست الشابة ، أجمعوا على أنها تمتاز بخلق عظيم ـ لقد كانت ربة منزل بكل ما فى هذه الكلمة من معنى فقد كانت تشرف على كل جانب من جوانب الضيعة ، من الحظائر والمطبخ حتى حجـرات الأطفـال . وكانت ذواقة للأدب ، وتقرض الشعر ، وقد نشرت لهـا صحيفة « فلانفيك » الشهرية قصائد كثيرة من بينها قصيدة (التل الأزرق) التى تصور فيها انطباعاتها عن المناظر الطبيعية فى نيو انجلند قبيل الغروب ، وتتحدث عن صفاء الهواء هناك وعن السكون العجيب الذى يسمع فيه الانسان حتى حفيف أجنحة الطيور المتجهة الى الجنوب والمقطع الأخير من هذه القصيدة الذى يتسم بالبساطة والاخلاص يقول (ولعل أصواتنا أيضا تصعد صافية نقية الى الله) .

• ولم تكن براعة هذه الأم الشـابة مقتصرة على الشعر وحده ، فقد تحدث الرسام الشهير (هانت) عن مهارتها كذلك فى الرسم بالألوان المائية ، ولوحاتها المعلقة فى قاعة قصر (هيلكرست) تثبت انه لم يكن مبالغا فيما قال . وكان حبها للموسـيقى أيضا عظيما . وقد تحدث جورج آبلى عن الساعة التى تسبق موعد النوم فقال ان أمه كانت ، وهو لا يزال طفلا ، تملأ جو البيت فى تلك الساعة بنغمات الموسيقى المنبعثة من عزفها على البيانو . وكان الدين أيضا جزءا من الحياة فى هيلكرست ، وكان جميع أعضاء الاسرة يؤدون طقوسه بانتظام . ومع مثل هذه الام كانت الأحاديث تدور دائما ، كما هو متوقع ، على مستوى عال . وكانت تعنى بأن يكون لكل طفل من أطفالهـا هواية عملية يمارسها ، وكانت تخصص لكل منهم جانبا معينا فى الحديقة يعنى فيه ليس فقط بالازهار ، ولكن أيضا بزراعة الخضراوات ، وكانت تحاسب كلا منهم حسابا دقيقا عن نتائج عمله فى القسم المخصص له فى الحديقة ولعل هذا هو السبب فى اهتمام جورج آبلى بالأزهار وشغفه بها طيلة حياته حتى انه اختير فى منصب نائب رئيس الجمعية الزراعية فى مدينة بوسطن .

وكان جمـال اليزابيث الهادىء وحسن استقبالها لكل ضـيوف القصر من غير تمييز ، واهتمامها الصادق بشـئون الآخرين ، وفتنتها التى تنبع من ذكائها ورقتها ، كل ذلك جعل من صالونها ، طيلة حياتها ، ملتقى مشاهير الرجال والنساء ، وفى أيام الآحاد كانت أجمل الاحاديث فى بوسطن تدور عادة حول مائدة الشاى التى تضم ضيوفها الكثيرين من علية القـوم . فقد كان يغشى صالونها بانتظام الدكتور هورسفورد ، وشارلس اليوت نورتون ذو الوجه اللطيف الطيب ، وشايلدز ، وتشيلر ،

www.ibtesama.com

الاستاذان بجامعة هارفارد ، والشاعرة شيليا ناكستن ، والشاعرة مسز جوليا واردهاو صاحبة « نشيد معركة الجمهورية » المشهور . وكانت مسز آبلى تستطيع ، بفضل شخصيتها الساحرة ، أن تدفع كلا منهم الى الحديث وكشف مكنون صدره ، وأن تحث كلا منهم على ابراز نبوغه الكامن ومواهبه الدفينة . وكان من بين الذين جذبتهم شخصيتها الرقيقة التى جمعت الكثيرين حولها ، القس « ناتان بشنجيل » من كنيسة بوسطن ،وهو رجل دين لامع ، وقد ربطت الصداقة روحيهما برباط متين ظل قائما حتى الموت .

وكان توماس آبلى ، الزوج الذي يتميز بخلق عظيم وادراك سليم وان يكن يبدو للبعض من الظاهر على شيء من البرود والصلابة ، يثق فى زوجته ثقة مطلقة تنم عن الفخر العميق ، ويرقب نشاطها المتعدد النواحى بزهو واعجاب ، لقد كان رجلا متواضعا على الرغم من منزلته الكبيرة وكلمته المسموعة فى دوائر الاعمال والحكومة ، وكان يجلس فى معظم الأحيان فى مثل هذه الاجتماعات التى تعقد في منزله ظهر أيام الآحاد ، صامتا يستمع الى ما يدور من أحاديث ومناقشات .

وكان توماس آبلى وزوجته اليزابيث يشجعان أطفالهما ، وهما بنتان صغيرتان وغلام صغير وهو جورج آبلى ، على مشاركتهما فى الاستمتاع بمثل هذه الاجتماعات والحفلات ، لقد كان رب الاسرة يؤمن بأنه فى النظام الديمقراطى لأسرته لا توجد للسن حواجز أو قيود ، ولهذا فانه كان يدعو أطفاله الى قاعة الاستقبال بعد الظهر أيام الآحاد حيث يصافحون من يكون موجودا فيها من الضيوف ويتبادلون معهم بعض الملاحظات ، ثم يجلسون بعد ذلك بعيدا على مقاعد تغطيها الوسائد ويلزمون الحكمة القائلة : انه ينبغى على الاطفال اذا كانوا فى حضرة ضيوف ألا يسمع أصواتهم أحد . وكانت اليزابيث آبلى تعتقد أنه يجب أن يشارك الاطفال بنصيب من المسئولية فى حفلات الشاى التى تقام يوم الأحد بعد الظهر ، ولهذا فقد كانت تدعو احدى الفنانين لالقاء أغنية ، وكانت الأم تصاحبها فى العزف على البيانو ، وكان جورج الصغير يدعى أحيانا لالقاء مقطوعة درامية ويدعى أحيانا أخرى لالقاء مقطوعة فكاهية ، كما كان يلقى فى بعض الاحيان خطاب (بيرك) المشهور عن الثورة الامريكية ويختمه بالعبارة الخالدة :

« انكم لا تستطيعون أن تقهروا أمريكا » وقد لقنه أبوه هذا الخطاب المؤثر الذى كان الطفل يلقيه مع بعض الاشارات والحركات المناسبة .

www.ibtesama.com

وقد قال جورج آبلى فيما بعد عن هذه المرحلة من حياته : لم يكن من السهل على الاطفال ، وهم فى السـابعة من عمرهم ، أن يقفوا أمام أشـخاص كبار فى السن لكى يلقوا خطابا حماسيا ، كم من مرة كان صوتى يهتز فى البداية ، واننى لأتذكر جيدا الصمت المقرون بالاهتمام الذى كانوا يحيوننى به • وكان والدى يرقبنى حينئذ وهو ينقر باصبعه على لحيته السوداء • وكانت أمى أيضا ترقبنى وهى تتبادل النظرات مع القس (بتنجيل) الذى كنا نسميه (العم ناتانيل) وهناك مناسبة لاتزال عالقة بذهنى حتى الآن ، كأنها حدثت بالأمس فقط ، فقد تناولت ذات مرة وجبة غداء ثقيلة جدا تتكون من اللحم المشوى وكمية كبيرة من حساء البطاطس ، وشعرت بعدها بأنى لست على مايرام • ولكن والدى ناداني وطلب منى أن ألقى أمام الحاضرين نشيد الثورة الامريكية • ولما بدأت أتكلم أحسست بأنى أوشـك أن ألفظ معدتى وتوقفت ، وحينئذ نهض والدى بهدوء وأخذ بيدى وخرجنا من القـاعة ، وقلت له ونحن نصعد الدرج ، انى أشعر بأنى مريض • فقال لى : « يجب أن تتعلم كيف تفعل أشياء كثيرة لا تحبها » يقصد بذلك أن أتخلى عن ملء معدتى بالطعام مهما يكن لذيذا • وكان ماقاله هو عين الصواب •

ولم تكن الحياة فى قصر هيلكرست تسير دائما على مثل هذا النمط الرسمى • فقد كان هناك أشـخاص ظرفاء يعطون للصورة لونا آخر ، مثل (تيم) السائق الذى يحب أن يروى القصص الايرلندية عن الأرواح السوداء والارواح البيضاء والعفاريت ، و (بريجيت) الطباخة التى تحب أن ترفع عقيرتها وهى تغنى بعض الأغنيات • وكانت احدى هذه الاغنيات تروى قصة شاب ايرلندى حاد الطبع خرج ذات مرة للنزهة مع صديقة له ، ولسبب لم يفهمه جورج آبلى ـ الذى كان يسـتمع الى الاغنية ـ ضرب الشاب صديقته بهراوة على رأسها فقتلهـا ، والقى بجثتها وراء الشجيرات ذات الأشواك التى تستخدم كسور فى المنطقة • وتنتهى القصة بأن تتهم أخت الفتاة هذا الشاب بالقتل ويقدم للمحاكمة •

ولما كانت هذه القصة قـد حيرت جورج آبلى كثيرا واستعصى عليه فهم مراميها ، فقد لجأ الى المصدر الوحيد الذى يستطيع أن يحل غوامضها، وهو أمه • وبعد أن استمعت اليزابيت آبلى اليه باهتمام ، ذهبت به الى والده الذى كان يرتب حينئذ الكتب فى المكتبة ، وطلبت منه أن يعيد سرد القصة ، وانصت اليه توماس آبلى أيضا فى اهتمام ، ولكنه لم يعقب بشىء • وعلى أى حال فان (بريجيت) لم تعد تسـتمتع بعد ذلك أبدا بتحربة مواهبها فى الغناء •

www.ibtesama.com

ان مثل هذه التفصيلات عن الحياة فى هيلكرست قد تبدو قليلة الأهمية ، ولكن الواقع أن مثل هذه الاشـــياء البسيطة هى التى تشكل نسيج الحياة . وتثبت هذا الخطابات التى كتبها جورج آبلى ، بعد ذلك بنحو أربعين عاما ، الى السيدة رودورا ، فهى على الرغم من طول هذا الزمن تعطى صورة مرحة أحيانا ، وقاتمة أحيانا أخرى لحيـــاة الطفولة الحرة المنطلقة . وهذه مقتطفات من أحد هذه الخطابات :

عزيزتى رودورا :

علمت أن صحتك ليست على مايرام ، كما علمت أن صديقك العجوز جروجى بورجى يكتب اليك . اننى أتذكر أنه ، ونحن أطفال ، قبل طفلة وراء السور ، وأنها لم تصرخ مستنكرة . وأنت ، ولقد اســتولى عليك الفزع حينما خدشك (جوبرومفيلد) هل تذكرين ؟ اننى أستعيد هذه الذكريات الآن وأتمنى أن نجلس لنرويها معا من جديد مع زوجك شارل، لكى نضحك عليها . هل تذكرين ساعة تناول العشاء فى غرفة الاطفـــال حينما كنت تحضرين للعب بالدمى والعرائس مع اميليا وجين ؟ هل تذكرين لعبة « الاستغماية » التى كنا نلعبها فى القاعة العليا حينما كانت جدتى تخفينى وراء ثوبها وهى جالسة تطرز قطعة القماش ؟ يالهذه الايام الجميلة التى كانت تجمع « شلتنا » فى خلالها صداقة متينة بقيت صامدة قوية مع الايام .

هل تتـــذكرين الطاهى ذا الأنف الأحمـــر ، والسائق الذى كان يغنى دائما وهو فى الاسطبل ؟ لعله من الفكاهة أن نتذكر أننا استقينا حينئذ كثيرا من ثقافتنا فى المطبخ والحظيرة مع اننا كنا نقـــابل أناسا عظماء ، يتحكمون فى العالم بنفوذهم ، ولكن عالمنا لم يكن تحت سيطرتهم .

وكتب جورج آبلى الى رودورا خطابا آخر جاء فيه :

عزيزتى رودورا :

لقد أهاج خطابك ، الذى بعثت به الى ردا على خطابى ، كامن ذكرياتى. نعم .. اننى أذكر هذا اليوم الذى هربت فيه من مربيتى (نورا) وذهبت الى الغدير حيث أخذت أمسك الضفادع الصغيرة، وظللت على هذه الحال فترة من الوقت الى أن جاء البستانى وأعادنى الى المنزل . كما أذكر ليلة أن تلوثت ملابسنا من البترول الذى انسكب علينا فى حجرة المصابيح . كما أذكر أيام الآحاد بعد الظهر وهى أيام لم تكن ممتعة فى منزلنا بقدر ما كانت ممتعة فى منزلكم . فقد كنا نخشى والدى فى هذا اليوم أكثر مما

www.ibtesama.com

كنا نخشاه في اى يوم آخر · فقد كان من الممكن أن يضحك ضحكا عاليا، وأن يلعب معنا ، ولكن لم يكن من الممكن أن يعمل ذلك فى يوم الاحد ، ولا نحن أيضا · وفى هذا اليوم كان يستدعينى بعد تناول الافطار الى المكتبة حيث يسألنى عن كل شيء فعلته وتعلمته في خـــلال الاسبوع ، ثم يبدأ يتحدث معى في موضوع مشـــوق يكون قد أعده هو نفسه فى الليلة السابقة · وقد يكون هذا الموضـوع عن نظرية داروين في التطور مثلا ، أو نبذة عن التاريخ الرومانى · وبعد الانتهاء من ذلك ، كنا نذهب أنا وأمي واخوتى وأبى لنستقل العربة الى الكنيسة ، وكنت أمضى فى الكنيسة حينئذ ساعة ونصف الساعة فى حالة استسلام تام ، وكانت هذه الفترة بصراحة أشد الفترات التى عشتهـا بعثا للسأم والملل فى نفسى ·

ولا بد انك أيضا يا رودورا قد حسست قبل ذلك بالسأم والملل، فقد كنت أراك واقفة فى الردهة بعيدا عن القاعة الكبرى · واننى لأتذكر جيدا حتى الآن رائحة الكنيسة ··· ترى : مامبعثها ؟ ربما يكون سببها هو أن الكنيسة تظل مغلقة طوال الاسبوع · لقد كانت تتصاعد رائحة خاصة من الوسائد وكتب التراتيل ممتزجة بأزيج الازهار وعبق العطور فى ثياب رجال الدين · هل تتذكرين حفيف الثياب الحريرية التى تشبه صوت حركة أوراق الخريف حينما كان القوم ينهضون ؟ لقد كنت أتمنى حينئذ أن يعفينا الأب (بتنجيل) من مهمة ترتيل الاناشيد · فقد كان يلذ له كلما جلسنا واسترحنا أن يجعلنا نقف مرة أخرى وكنا حينئذ نقف من جديد لصق ثياب أمهاتنا الطويلة ونحاول ألا ندوس أطرافها عفوا · ثم كنا نعود الى المنزل لنتناول غداء يوم الأحد ونســـتقبل ضيوف يوم الأحد ، لقد كنا نتضايق من أعباء هذا اليوم ، ولكنى مستعد الآن أن أدفع نصف ما أملكه من مال لكى أعود الى الوراء اربعين عاما وأعيش هذا اليوم من جديد · ياللذكريات !· لقد أسهبت كثيرا فى التحدث عنها ، ولكن خطابك هو السبب ، فقد أثار لواعج الشجن ·

انني أرجو أن تتماثل صحتك بسرعة للشفاء ، وأن تاتى لزيارتنا فى هيلكرست · لقد جاءت كاترين فى هذه اللحظة وسألتنى : لمن تكتب هذا الخطاب ؟ وقد طلبت منى أن أضم تحياتها الى تحياتى ، وهى تتمنى ان تسير الامور معك على مايرام ·

لقد كان جورج آبلى يشغل فى خلال العشرين عاما الاخيرة منصبا دينيا فى كنيسة كنج ، حيث كان يحضر الطقـوس الدينية بانتظام فى خلال الشتاء ·

www.ibtesama.com

وقد كتب مرة الى ابنه يقول : « ليس هناك مايعدل نظام الكنيسة انه شيء طيب يفيد الروح ، وانني لأتساءل : ما الذى يمنعك من ادراك ذلك ؟ »

وكانت حياة جورج آبلى فى هيلكرست ، حينما كان غلاما صغيرا ، تتخللها زيارات يقوم بها لأعضاء الاسرة الآخرين ولا سيما لعمته (جين برنت) التى تقيم فى ضيعة (برنت) وكان أفق حياته قد بدأ يتسع شيئا فشيئا ، وبدأت اتصالاته وعلاقاته مع الناس تزداد • ونحن نلمس بداية هذا التطور من خطاب كتبه الى أمه من ضيعة عمته فى صيف عام ١٨٧٤، وكان هذا الخطاب من بين أول الخطابات التى كتبها فى حياته ، وقد حرره بخط جميل مرتب يوحى بدقة النظام فى مدرسة (هومسون) فى بوسطن التى تلقى تعليمه الابتدائى فيها :ـ

أمى العزيزة :

ان صحتى جيدة وأرجو أن تكون صحتك كذلك جيدة ••• كنت أنظف أسنانى بالفرشاة كل مساء كما كنت أواظب على الصلاة ، اننى العب طوال اليوم مع أبناء عمى • وأنا أحب البحر • لدى عمى «هوراشيو» زورق • وعنده أيضا كلب • وعنز تجر عربته • ونحن نضع الازهار فى القاموس لكى نضغطها ، هل يأذن والدى بأن يرسل لى عشر سنتات(١) لك تحياتى وحبى •

وقد رد عليه والده توماس آبلى بخطاب هذا نصه :

عزيزى الرجل الصغير :

أرسل لك مع هذا مبلغ عشر سنتات الذى طلبته ، وأرجو ألا تنسى انه مبلغ كبير من المال • ونستطيع أن نفكر فيه بهذه الطريقة : فانت يمكنك أن تشترى به عشرة أقلام رصاص ، أو دوامتين (نحلتين) مع خيطهما ، أو ما يكفى من الحلوى لكى يجعلك مريضا ! أرجو أن تحاول التفكير جيدا فيما تريده قبل أن تنفقه ، لانه ليس هنـــاك ما يبعث على السرور مثل أن ينفق الانسان ماله بحكمة وتعقل ، كما انه ليس هنـاك ما يبعث على الحزن مثل شعور الانسان بأنه أضاع نقوده فيما لا جدوى منه • اننى مسرور لأنك تحب البحر •

وأحيانا كان جورج آبلى يذهب لزيارة أسرة خاله هنرى هانكوك فى

---

(١) المعروف أن الدولار يعادل مائة سنت •

www.ibtesama.com

مدينة (ناهانت) وقد أرسل من هناك خطابا لوالدته ، كتبه فى صيف عام ١٨٧٦ :ـ

أمى العزيزة :

أرجو أن تكون صحتك جيدة وكذلك صحة الجميع • اننى بخير • اننى أحب خالى هنرى • انه يجعلنى أضحك • اننى أحب خالتى (مابل) أيضا • انها سمينة • اننى أذهب مع ابن خالى (توم) لصيد السمك من البحر عند الصخور • ان خالى هنرى يلعب الورق • متى سيأتى والدى لكى يأخذنى ؟ لك تحياتى وحبى •

وقد ردت اليزابث آبلى على هذا الخطاب بما يأتى :

ولدى العزيز الصغير :

لقد أصبحت كبـــيرا الآن • ويجب أن تتعود على رؤية أشياء قد لا يوافق عليها والدك موافقة تامة . فاذا كان خالك يلعب الورق فهذا من حقه ، وليس لى اعتراض على ذلك فيما عدا اعتقادى بأن لعب الورق مضيعة للوقت • وهذا هو السبب فى أنى ووالدك لا نلعب الورق • اننى مسرورة لأن خالك هنرى يجعلك تضحك • ليس هناك أجمل من الفكاهات اللطيفة • ليس هناك ملحوظة أخرى بشأن مظهر الناس الآخرين ، ولاسيما أقاربك • ان خالتك (مابل) ستكون مستاءة جدا اذا علمت أنك كتبت أنها سمينة • والدك سيذهب ليحضرك يوم الاثنين •

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com

الفصل الخامس

شارع بيكون وأيام الدراسة

أصبح باديا للعيان بوضوح أن عالم جورج آبلى تتسع آفاقه رويدا رويدا وكانت الخطابات التى كتبها تشير الى أنه يعيش فى عالم يتسم بالهدوء النفسى والنظام • وقد أخذ هذا العالم يربطه بقيود غير منظورة ، مثل غيره من الاطفال ، بأشخاص كثيرين ، وبشكل ذوقه وعلاقاته ، كما أعطاه مركزا خاصا بحكم المولد •

ان سكان بوسطن يفخرون بالهدوء الذى يسود مدينتهم ، وهو هدوء يفتقر اليه غيرها من المدن • ولهذا فلا عجب اذا كان كل بوسطنى يشعر بحنين قوى للالتصاق ببيئته ولا يحس بالسعادة فى أى مجتمع آخر • ان الفتى هناك يبدأ حياته فى نطاق الأسرة ومع أصدقائه المباشرين ثم ينتقل الى المدرسة التى يتردد عليها هؤلاء الاصدقاء أنفسهم فتزداد صلته بهم توثقا، وتتسع آفاقه بعد ذلك فيحضر الحفلات الراقصة التى تنظمها المدرسة ، والاجتماعات التى تنظمها المدرسة بعد ظهر أيام الخميس وفى مساء أيام الجمعة . والفتاة تشجع على الاندماج فى المجتمع وحين يشتد عود الفتى يأخذه أبوه معه الى ناديه الملحق بجامعة هارفارد . ان الحياة هنا تتسم بالبساطة التى تنبع ، على ما أعتقد ، من تشابه الأفكار التى تشكل الحياة فى بوسطن .

ان المشاعر المشتركة التى تربطنا ، وتقديرنا لكل ما هو جميل ولطيف ، منحنا مجتمعا حقيقيا واحساسا بالاستقرار والامن فى أمة تسودها الفوضى والتوتر . فاذا كان هذا المجتمع قد صاغ حياة فرد ما طبقا لمبادئه فليس فى هذا غرابة ، اذ لابد أن يتلاءم كل انسان مع المطالب الاجتماعية للجماعة التى ينتمى اليها، مهما يكن نوع هذه الجماعة. واذا كان جورج آبلى قد فشل فى مواجهة بعض المصاعب والعقبات التى تحدته ، فينبغى أن نعترف بأننا جميعا قد فشلنا فى ناحية من النواحى ، ويجب أن نتذكر أننا كلنا أعضاء فى أسرة واحدة .

www.ibtesama.com

وقد وجد جورج آبلى نفسه معرضا فى دار أبيه توماس آبلى ، بصورة غير مباشرة ، للأحداث التى تحيط بحياة أبيه النشيطة. وبفضل عادات حياته المنتظمة كان يحس بمسئوليته الخاصة ، كما كان يدرك ، ولو بشكل غامض ، الأحداث الفامضة لهذا العصر الذى كان يسميه الكاتب كلود باورز : « العصر المفجع » لقد كان توماس آبلى ، مثل أى رجل آخر من رجال الصناعة فى اقليم نيو انجلند بالولايات المتحدة ، يشق طريقه فى ميدان الأعمال المالية فى ظروف صعبة مليئة بالمخاطر ، تمتزج فيها السياسة بأعمال البنوك .

وقد كان من حظ جورج آبلى أن يشاهد فى خلال صباه فى دار أبيه بشارع بيكون رجالا من ذوى الشخصيات البارزة فى عالم الأعمال السياسية ، يختلفون فى بعض النواحى عن العلماء والأدباء الذين كانوا يترددون على دار الأسرة ، ويجدون متعة فى التحدث الى والدته .

وقد كتب مرة يقول : « لقد كنت اتمنى أن ازداد تقديرا وقربا من هؤلاء الرجال ذوى القبعات العالية واللحى التى تغطى جانبى الوجه، الذين تعبر وجوههم عن أمارات العزم والتصميم نفسها التى تبدو على وجه أبيه ، وعلى الرغم من أن هيئة رجال المال والأعمال هؤلاء تبدو غريبة فى نظرى اليوم ، فقد كانت لديهم حيوية لا أستطيع أن انساها . لقد كانوا طرازا من الرجال لا يوجد مثيل لهم فى بوسطن اليوم . وانى لأتساءل أحيانا : أين ذهب هذا النوع ؟

وكان توماس آبلى — مثل كل رجل آخر من رجال المال — رجلا محافظا فيما يتعلق بمعتقداته السياسية ، وكانت هذه المعتقدات تهدف بصفة رئيسية الى تلبية حاجات صناعة النسيج ، وتحقيق النمو الصناعى والرخاء فى اقليم نيو انجلند ، وقد دفعته قوة الأحداث الى أن يكون من أنصار الحماية التجارية ولا سيما فيما يتعلق بمنتجات الجلود والمنسوجات . ومع انه لم يطمع فى اى منصب سياسى ، فان نفوذه ، الذى كان يفوق ما يظنه الكثيرون ، كان يدعم قضية تهدف الى تحقيق التقدم فى منطقته نيو انجلند ، ومن امثلة ذلك انه كان مساهما متحررا فى صندوق الحملة الجمهورية .

وتصور هذه المقتطفات من خطاب أرسله الى أخيه وليام ادراكه المنطقى لمثل هذه المسائل :

« يبدو انك تشعر بالقلق للموقف الذى اتخذه (بادى) فى مجال

www.ibtesama.com

السياسة . ولكنى لا اشاطرك هذا الفزع . ولكن الذى يقلقنى حقا هو ما قلته عن وجود عناصر معينة فى مدينة آبلى فولز تنشر افكارا خاطئة بين عمال مصانعنا وانى أؤمل أن تستطيع قريبا معرفة اسماء زعماء المحرضين وأن تطردهم من المصانع .

أما فيما يتعلق بمسألة الأسهم والسندات فأعتقد ان الأمور تسير على ما يرام ، ولكنى أرجو أن تترك لى مهمة تدبير هذا الموضوع. واذا حاول رجال المال فى (وول ستريت) دفع الأمور أكثر مما ينبغى ، فانهم سيندمون على ذلك لا محالة. وابلغك بهذه المناسبة اننى اشتريت عدة آلاف من أسهم مناجم (أجاسيز) للنحاس . وقد فعلت هذا من قبيل المجاملة للصداقة التى تربطنى بأسرة عالم الطبيعة الكبير أجاسيز ، اذ أنى كما تعلم لا أهتم كثيرا بالمضاربة فى المناجم . ومع هذا فان هذه الصفقة تحوى عناصر قد تهمك .

هذه لمحة من حياة توماس آبلى ، الذى كان يعتبر من أبرز الرجال فى عصره وأكثرهم تمتعا باحترام أبناء جيله . لقد كان رجل عمل يستيقظ فى الساعة السابعة صباحا ولا يعود الى داره الا بعد نوم أطفاله ، وقد يبدو نتيجة لذلك أن تأثيره على الأسرة كان بسيطا ، ولكن الواقع أن تأثيره كان عظيما ، فقد كان هو الرمز ، والمثال .

ولما بلغ ابنه جورج آبلى التاسعة من عمره أدخله مدرسة هوبسون فى شارع مارلبوروه ، وهى المدرسة التى كان لها الفضل على كثير منا فى تعليمنا المبكر .

وفى هذه المدرسة عرف جورج آبلى أصدقاءه الذين ظلت علاقته بهم قائمة بعد ذلك مدى الحياة ، وفيها تعرف به كاتب هذا الكتاب .

وقد يكون من المناسب تقديم نبذة عن مدرسة هوبسون . لقد كانت بمثابة معهد للفكر الحر . وعلى الرغم من أن ملاعبها كانت قليلة وهواءها ليس منعشا ، فقد استعاضت عن ذلك بالنظام الدقيق الذى لاينحرف عن السبيل القويم. وكانت المدرسة تشغل الطابقين السفليين من منزل المستر هوبسون نفسه ، وكانت الفصول عارية من كل شىء فيما عدا المقاعد والسبورة . وكانت الروح العبقرية المسيطرة على المدرسة هى هوبسون نفسه ، أو (هوبى العجوز) كما كنا نسميه . لقد كان رجلا صلبا ، سوداوى المزاج ، له عينان رماديتان نافذتان ، وكانت ثيابه لاتتغير ابدا : جاكتة سوداء من طراز الأمير البير ، ورباط عنق

www.ibtesama.com

أسود ، وحذاء من طراز (كونجرس) الذى لا يحدث ضوضاء . وكان له مساعدان تخرجا حديثا من جامعة هارفارد ، أحدهما هو المستر (ويمز) الذى كان يشرف على الفصل الأول وكان يرتدى (صديريا) ورباط عنق يبدوان فى نظرنا ، كأطفال ، غير لائقين . وكان يركب بعد ظهر يوم السبت دراجة ذات عجلة عالية ، وكان يميل فى تصرفاته الى الزهو والتأنق . أما الآخر وهو المستر (جود فرى) فقدكان طويلا ضخما . وكان عقب تخرجه من جامعة هارفارد قد التحق لمدة عام بجامعة اكسفورد الانجليزية حيث اكتسب فيها لكنة خاصة كانت موضع تسليتنا نحن الأطفال ولا سيما اننا كنا نعتقد ، من غير حق ، أن الانجليز هم أعداؤنا الوراثيون (بسبب الحرب التى خضناها ضدهم لتحرير أمريكا من احتلالهم) وكنا لهذا نطلق عليه من قبيل الفكاهة اسم (جون بول) كما كنا نقلد صوته ومشيته خفية .

وكان جورج آبلى يشاطرنا خبث الطفولة ، وان كان خبثا من النوع غير الضار . وكانت قوته ، التى لا يستطيع اظهارها فى المنزل ، تجد لها متنفسا فى مدرسة هوبسون ، وقد أكسبته احتراما بين أقرانه. وكان فى علاقاته مع سلطات المدرسة سليط اللسان ، وكانت نزعته شبه العدوانية من النوع الذى لم يكن من الممكن أن تتغاضى هذه السلطات عنه ، بل كانت تميل الى معاقبته بسببها . ومؤلف هذا الكتاب ، الذى كان صديقا له فى المدرسة ، يذكر هذه الحادثة الطريفة، على سبيل المثال : ـ

كان المستر هوبسون قد وضع قانونا يقضى بعدم السماح ، فى اثناء ساعات الدراسة بالصفير واحداث ضوضاء على درج المدرسة أو فى الردهات فى خلال خروج التلاميذ من فصل الى فصل آخر. وذات مرة ، وكنت انا وجورج نصعد الدرج ، بدا جورج يصفر ، وفجأة ظهر امامنا المستر هوبسون ، كما يفعل ذلك عادة ولا نعرف من أين جاء ، وقال :

ـ لقد سمعتك تصفر يا آبلى .

ـ واجاب آبلى :

ـ كلا يا مستر هوبسون ، لم أكن أصفر وانما كنت انفخ الهواء من بين اسنانى فقط . اننى أعرف انه من الخطأ الصفير فى الفصل ، ولكن أحدا لم يخبرنى بأن اخراج الهواء من بين الأسنان يعتبر خطأ .

www.ibtesama.com

وليس من الصعب أن يدرك الانسان رد الفعل الذى أحدثه الرد فى نفس المستر هوبسون.

ولكن مثل هذه المصادمات والمساجلات، مهما تبدو سخيفة، فانها لعبت دورا هاما فى بث الثقة فى نفس الفتى جورج آبلى واشعاره بلذة الانتصار وزيادة معرفته بالطبائع البشرية .

وهناك حادثة اخرى رواها جورج آبلى بنفسه فى كلمة ألقاها فى نادى (يوم الاثنين) بعنوان (ذكريات عهد الصبا فى بوسطن) فقال :

لقد كنت بطل حادثة فى مدرسة هوبسون لا أستطيع أن أفخر بها قط ولا تزال تؤلمنى ذكراها حتى اليوم .

فذات يوم رأينا امامنا فى المدرسة مدرسا جديدا فرنسى الأصل يدعى المستر (تريت) وقد جاء من بلاده لكى يعلمنا اللغة الفرنسية . ولست أعرف ماذا يغرى دائما الفتيان الانجلو سكسون بالضحك كلما رأوا رجلا فرنسيا . وكل الذى أعرفه هو أن سترته الضيقة ، وما يلقاه من صعوبة حينما يتكلم اللغة الانجليزية ، وما يبديه من أدب شديد وما يتميز به من طباع حادة ، كل هذا كان يجعلنا نفرق من الضحك كما كنا نفعل حينما نرى حمل زميلتنا مارى يتبعها الى المدرسة . ومما زاد الطين بلة أن المستر « تريت » كان يفتقر الى روح النظام ، وأغرانا وجود هذه النقيصة فيه على جعل حياة هذا المدرس المؤدب الطيب لا تطاق ، واغاظته بشتى الأساليب ، وقد دفعتنى « شقاوتى » الى منافسة أقرانى الآخرين فى هذا المجال واستفزازه الى أقصى حد بمختلف الوسائل ، وأخيرا ألفت عنه مقطوعة شعرية مطلعها :

مستر تريت له قدمان كبيران

وهو لا يأكل سوى القمح المسلوق ..

وقد أثارت هذه المقطوعة حنق المستر « تريت » الشديد فاندفع نحوى وسحبنى من على مقعدى وجرنى أمام تلاميذ الفصل وضربنى بيده على اذنى . وقد كنت أستحق فى الواقع هذه المعاملة المهينة ، ولكنها جاءت فى الواقع فى لحظة غير مناسبة . ذلك أنه فى اللحظة التى هوت فيها يد المستر « تريت » على اذنى ـ فتح باب الفصل ودخل المستر هوبسون وبرفقته والدى الذى جاء « ليكرم » المدرسة بزيارته. ورأيت والدى يعبس عبوسا شديدا ، ثم قال :

www.ibtesama.com

ـ ما هذا الذى يفعله هذا الرجل بجورج يا مستر هوبسون ؟ وانني سأسدل ستار الكتمان على التفسيرات والاعتذارات التى قيلت حينئذ ، ولكن والدى أرسلنى بعد ذلك الى المنزل فى العربة ، وطلب منى أن ألزم الفراش ، ولما عدت الى المدرسة فى اليوم التالى اكتشفت أن المستر « تريت » لم يكن هناك .

وفى اليوم نفسه بعد الظهر بعث والدى بمن أبلغنى أنه يريد منى أن أزوره فى مكتبه بشارع (ستيت ستريت) وكانت هذه أول مرة أذهب فيها الى هناك . ولقد دهشت من ضخامة الشركة التى يديرها والدى ، ورأيت عددا كبيرا من الكتبة يعملون ، ودخلت الى مكتب والدى وكان به مدفأة تشتعل فيها نار الفحم ، وعلى المنضدة صندوق نحاسى به (لبان) للضيوف من غير شك ، لان والدى لم يكن يمضغ اللبان . وقال لى والدى :

ـ « جورج ... ان (شقاوتك) قد ترتب عليها كثير من المتاعب والمشاكل . وقد أرغم المستر « تريت » على ترك مدرسة هوبسون ، وهكذا فقد كنت أنت السبب فى فقدانه وظيفته . وانى أؤمل أن تكون آسفا لذلك . »

والواقع انى لم أشعر طيلة حياتى بمثل الأسف الذى شعرت به حينئذ ، ولم أفهم لماذا أرغم المستر « تريت » على ترك المدرسة ، وقد سألت والدى فى ذلك . وكانت اجابته هى الاجابة نفسها التى يرددها الجيل القديم لأبناء الجيل الحديث :

« انك لا تزال أصغر سنا من أن تفهم ذلك » . هذا كل ما قاله ، لقد حاولت فقط أن أحدس ، ولكنى حتى الآن لم أعرف السبب قط .

هذا ما قاله جورج آبلى عن هذا الحادث الذى وقع له فى أيام صباه المليئة بحوادث « الشقاوة » . وهناك أشياء كثيرة لا يفهمها الطفل . ولست متيقنا : هل موقف آبائنا فى رفضهم مناقشة بعض المسائل مع أطفالهم غير سليم ، وهل هذا الموقف أفضل من الصراحة والتفسيرات المفصلة التى يبديها الآباء لأولادهم فى الوقت الحاضر ؟ . ان التفسير أو الصمت مسألة لا تزال محل نقاش وتثير حيرة . وان كنت أنا نفسى أفضل الصمت . وقد قنع جورج آبلى بالصمت أيضا ووضع ثقته فى معرفة ونضج جيل آخر . وعلى أى حال فان الأطفال فى أيامنا لم يكونوا يختلفون عن أطفال هذه الأيام .

www.ibtesama.com

لقد ترددت بعض شائعات عن مدينة بوسطن تجعل المرء يتذكر المثل القائل « لا يوجد دخان بدون نار » . ومن بين هذه الشائعات ما يقال انه اذا جاء الى بوسطن ، احد الغرباء فانه لا يقابل فيها بالترحاب، ما لم يكن له فيها اصدقاء أو علاقات عائلية . والتفسير لهذه المسألة أن سكان بوسطن تربط بينهم أفكار متشابهة وموقف واحد تجاه الحياة. فما الذى يدفعهم اذن الى التعرف بالغرباء أو توثيق صلتهم بهم ؟

ان سكان بوسطن تربط بينهم منذ عهد الطفولة علاقات قوية تنشأ فى المدرسة او نتيجة للجوار او القربى أو المصاهرة . وهذا يفسر لنا سر كثرة حالات الزواج – فى هذه المدينة بين الشبان والفتيات الذين تربط الصداقة بينهم منذ عهد الطفولة أو بين الأقارب . كما أن هذا يفسر لنا السبب فى أنه حينما تقوم جماعة من بوسطن برحلة الى الخارج فان افرادها يلتصقون بعضهم ببعض طوال الرحلة، بالغريزة، وينفرون من الاختلاط ببيئة غريبة . ولعل هذا هو السبب فى أن بوسطن لها فندقها الخاص فى نيويورك ، وفى لندن ، وفى باريس . ولكن ينبغى التيقن بأن هذا الاتجاه لا يحمل فى حد ذاته معنى التعالى أو الكبرياء على الاطلاق. والدليل على ذلك أنه اذا تصادف أن تعرف الغريب الى مجتمعات بوسطن ، وقبل فيها ، فانه يلقى على الفور من أفرادها كل ترحاب وتبجيل ، بصرف النظر عن مستواه المالى او مظهره الخارجى . فالنفور من الغرباء ليس اذن سوى مظهر يفسر شدة التصاق أهل بوسطن بعضهم ببعض . كما أنه يوضح لنا سر الروابط القوية التى ظلت تربط جورج آبلى بأصدقاء طفولته فى خلال شبابه ورجولته وكهولته . وقد كان الواحد منهم ينادى أصدقاءه حتى مغرب حياته بأسماء «الدلع» ذاتها التى كان يناديهم بها حينما كانوا أطفالا صغاراً .

ويمكن تقسيم التلاميذ ، الذين كانوا يذهبون الى مدرسة هوبسون ، الى فئتين : الفئة الاولى التى كانت تنتمى الى جماعتنا ، والفئة الاخرى التى كانت لا تنتمى اليها ، وكان من بين أبرز أفراد الجماعة الاولى صديق جورج آبلى الحميم « وينتروب فاسال » وهو من أسرة فاسال المعروفة ، وكنا نطلق عليه عادة اسم « وينتى ».

لقد كان صبيا شديد المرح ، وكان بهجة حفلات المدرسة ، وخير من يروى القصص والفكاهات فى اجتماعاتها . وكان يقلد سائق العربة الايرلندى تقليدا بارعا يثير ضحكنا . ومن هؤلاء التلاميذ أيضا (تويكر سيوول) الذى كان بارعا فى تصويب الكرة والذى أصبح فيما بعد

www.ibtesama.com

جراحا شهيرا استطاع ان يستنبط طريقة فنية ناجحة فى استئصال المرارة . أما صديقنا (توم بارندرج) فقد كان له ، وهو طفل ، صوت خافت ، ومع هذا فانه أصبح فيما بعد من أشهر المحامين فى محكمة الاستئناف بواشنطن . أما (جيوفرى بروتون) الذى كان يسميه جورج آبلى (دودة الكتب) بسبب كثرة قراءته فقد وضع فيما بعد كتابا قيما عن (أسطول الصيد فى ماسا شوسيت قبل الحرب الاهلية) ونذكر أيضا (هوراشيو برنت) ابن خال جورج آبلى ، وقد أصبح فيما بعد من ألمع الموسيقيين فى فرقة بوسطن السيمفونية ، وكذلك ابن عمه (ناتانيال آبلى) الذى كان مغرما بجمع الخطابات والذى استقى منه مؤلف هذا الكتاب كثيرا من معلوماته .

لقد كان هؤلاء هم أصدقائنا المقربين فى مدرسة المستر هوبسون، وقد ظللنا منذ ذلك الوقت نؤلف جماعة صغيرة متماسكة . وكان هناك اشخاص آخرون أقل حظا صادفوا المتاعب فى حياتهم ، من بينهم (جوناس ووكر) الذى كان يعرف فى المدرسة باسم (مايك) وكان أحد الأعضاء البارزين فى فريق كرة القدم فى جامعة هارفارد. وكانت له مع الراقصة (فلورادورا) قصة مثيرة ظلت فترة طويلة من الزمن حديث الناس ، كما أثار سفره المفاجىء الى شيكاجو ثم عودته منها الى نيويورك كثيرا من الأقاويل . ومع كل المتاعب والعثرات التى صادفته فقد ظل جورج آبلى صديقا مخلصا له يسانده ويدافع عنه .

ومن بين زملائنا فى المدرسة الذين صادفوا بعد ذلك فى شبابهم كثيرا من الصعاب (هنرى جويس) الذى أقحم نفسه فى كثير من القضايا الخاسرة . وقد قبض عليه مرة وهو يشترك فى مظاهرة أمام دار الحكومة بسبب مسألة (ساكو فانزين) وقبض عليه مرة أخرى وهو يساعد مثير المشاغبات المشهور (منكن).

وكثير من هذه الذكريات نجدها مدونة فى المذكرات اليومية التى كان يكتبها جورج آبلى ، فقد شجعته امه منذ كان صغيرا فى المدرسة أن يكتب بانتظام يومياته ، وكانت تقول فى ذلك ان كتابة اليوميات تساعد على تكوين شخصية الفرد وتدعمها. .

وقد كتبت له مرة رسالة تقول فيها : اننى اعرف يا بنى العزيز أن كتابة اليوميات قد تكون لها مساويها بجانب حسناتها . فهى متلافة تربى فى الفرد الشعور بالأثرة وحب الذات ، ولكنى أعرف أن الأثرة

www.ibtesama.com

ليست من الطباع المعروفة فى أسرة والدك أو فى اسرتى . ولكن يكفى أن ابرز فضائل اليوميات أنها تزيدك معرفة بنفسك . هذا علاوة على أن امك حينما تقرؤها ستزداد معرفة باهتمامات ابنها واتجاهاته فى الحياة.

وهذه نبذة من اليوميات التى كتبها جـورج آبلى ، وهو لا يزال تلميذا فى المدرسة :

بوسطن عام ١٨٧٩ :

الاثنين :

الجو اليوم ممطر وقارس البرد . توجهت الى المدرسة . لم أكن موفقا فى درس اللغة اللاتينية . اتمنى ان يكون لدى كرة قدم . اظهرت أختى أميليا كثيرا من «الشقاوة» بعد ظهر اليوم . لطخ والدى انفهـا بالحبر ، وقال ان هذه افضل وسيلة لمعاقبة البنات . اتمنى ان يعاقبنى انا ايضا بمثل هذه الطريقة .

السبت :

الجو اليوم مشمس ولكنه بارد ـ كان اليوم عطلة فلم نذهب الى المدرسة . لعبت انا و (هوراشيو) فى الفناء الخلفى لمنـزله وتسـلقنا حواجز الفناء . فتحت أمه النافذة وطلبت منا أن ننزل . زارنى (تويكر) بعد الظهر ، وقد أحدثنا ضوضاء شديدة مما اضـطر أبى الى الخروج من مكتبته وقد طلب منا الكف عن الضجيج .

الأحـد :

تحدث أبى معى عن (رومولوس) و(ريموس) ثم ذهبنا الى الكنيسة. جاء الى منزلنا لتنـاول الغداء الدكتور (هولمز) وأحد أساتذة جامعة هارفارد لا أعرف اسمه ، وبعض أشخاص آخرين ، أخذت أختى اميليا تقهقه بصوت عال واضطرت الى مغادرة الغرفة . جاءت عمتى الكبرى (جين) لتناول الشاى وأعطتنى عشرة سنتات .

وفى هذه اليوميات نجد فقرة يقول فيها جورج آبلى انه ذهب الى مدرسة الرقص حيث بدأ يتعلم الرقص على أصوله مع بعض البنات. ومما

www.ibtesama.com

يذكر أن هذه المدرسة تذهب اليها فتيات الأسر الراقية حيث يتعلمن الرقص على يد السنيور (بابانتى) الايطالى الذى يطبق فى مدرسته مبادىء النظام بدقة شديدة . وهو يقول ان نظـرة واحدة من عينى السـنيور (بابانتى) السوداوين كانت كافية لوضع الأمور فى نصابها ووقف كل امرىء عند حده .

وفى هذه المدرسة وقعت عينا جورج آبلى لأول مرة على الفتاة (كاترين بوزورث) وهى من أسرة بوزورث المعروفة وتوثقت علاقته بها . وليس من الصعب أن ندرك أنه نشأت فى مدرسة السنيور (بابانتى) كثير من القصص الغرامية ، ولا سيما فى فصول الرقص المتقدمة التى يغشاها الصبيان اليافعون فى المساء .

www.ibtesama.com

الفصل السادس

ذكريات شائقة

في خطاب كتبه جورج آبلي وهو في منتصف العام الرابع عشر من عمره الى أخته (أميليا) التي تكبره سنا ، حينما كانت تزور نيويورك ، نجد دلائل تشير الى اتساع أفقه • وهذه نبذة من الخطاب :

عزيزتي أميليا :

أرجو أن تكون الفرصة قد اتيحت لك لكي تمضي وقتا طيبا ولعلك حضرت كثيرا من الحفلات • ما رأيك في أن والدي أخذني معه الى المسرح وهذه هي أول مرة أذهب فيها الى مسرح حقيقي ؟ •• لقد ذهبنا الى مسرح (ميوزيم) حيث شاهدنا مسرحية (اعترافات ضمير) أتمنى لو كنت ترتدين ملابسك على طريقة مس (جين) لقد كانت تمثل دور مربية فقيرة مع أنها في الواقع وارثة اللورد روكسبريدج •

أما باقي الخطاب ، وليس ثمة ما يدعو الى ذكر تفاصليه هنا ، فيشير الى حماسة الغلام لفنون المسرح وعلى تفهمه المبكر للحياة •

ومسرحية (اعترافات ضمير) التي أشار اليها جورج آبلي في خطابه كتبها الممثل المسرحي (جورج ويلوبي) ولعب فيها دور النذل (هيجوساير) وكان لها دوى شديد في تلك الأيام • وكانت هذه المسرحية تنطوي على مغزى خلقي ، ولعل هذا يفسر لنا سر السماح له بأن يراها • فقد كانت تصور الخداع والشهوات على أنها صفات مرذولة تجد جزاءها العادل في النهاية ، وكان دور بطل المسرحية (تنيسون) يصور الأمل والايمان والعفة ، أما بطلة المسرحية (جين) الوارثة التي لا تعرف شيئا عن ثرائها فقد عرفت كيف تحافظ على الفضيلة مع سوء ظروفها • وحوار المسرحية قد يشق على فهم غلام في الرابعة عشرة من عمره ، ولكن هذه مسألة ثانوية الى جانب فائدتها بصفة عامة ، وقد تبدو حبكتها مصطنعة وحوادثها قد تثير سخرية شباب هذه الأيام ، ولكن كم من المسارح الآن تعرض مسرحيات تفتقر الى الذكاء والاتقان والواقعية •

www.ibtesama.com

ان جورج آبلى ، وكذلك زملاءه من الاطفال وصلوا الى مرحلة هامه بل صعبة من سن المراهقة ، ارتفعت فيهـــا الأستار التى كانت تختفى عنهم جانبا من الحياة ٠

وقد صـــادف جورج آبلى فى صيف هـــذا العـــام ، وكان قد بلغ الخامسة عشرة من عمره ، مغامرة كان لها تأثير عميق فيه لأنهـــا جعلته يواجه الموت ويدرك معنى الخطر ٠

فقد كان يزور ضيعة خاله (هوراشيوبرنت) التى تقع فى منطقة (باشوج نيك) عند خليج (بوزارد) وهى زيارة كان يقوم بها بين حين وحين ، كلما شعر برغبة جارفة تدفعه الى النزهـــــة فى البحر ٠ وقد اســـــتقل قاربا يبلغ طوله عشرين قدما مع ابن خاله (هوراشيوبرنت الصغير) ٠

وفى الساعة الخامسة بعد الظهر ، وهما على مســـــافة أميال من الشاطىء هبت عليهما عاصفة هوجاء وفقدا القدرة على السيطرة على الزورق الذى سرعان ما انقلب بهما وســـقطا فى الماء ٠ ولحسن الحظ بدأت قوة العاصفة تخف شيئا فشيئا ، وكان القارب قد انقلب على وجهه وأصبح قاعه الى أعلى ، فتشبث به الغلامان وظلا على هذا الحال نحو ساعتين ، وفى هذا الوقت كان (هوراشيوبرنت) خال جورج آبلى ، قد ساوره القلق بسبب تأخرهما عن العودة ، وزادت العاصفة المفاجئـــة من قلقه ، فأخذ يتطلع من شرفة الدار نحو البحر ورأى من بعيد الزوق المقلوب ، فخرج على الفور واصطحب معه أحد الصيادين لانقاذهما ٠ ولما وصل الى الزورق وجد أن جورج آبلى قد وضع حبلا تحت ذراعى ابن خاله الذى كان فى حالة اعياء شديد ، لكى يمنع الأمواج من أن تجرفه معها ٠

ان هذه القصة لم يتحدث عنها جورج آبلى كثيرا ، وهناك كثيرون من أفراد أسرته لا يعلمون شيئا عنها حتى الآن ٠

وقد كتب جورج فى أعقاب هذه الحادثة خطابا الى أخته أميليا قال فيه :

عزيزتى أميليا :

لقد أصابتنى رعشة بعد أن انتشـــلونى من الماء وقد أعطانى خالى « هوراشيوبرنت » كأســـا من الويســـكى وشعرت بعدها بأنى أحسن حالا ٠ وقد علمتنى هذه الحادثة أشياء كثيرة كنت أجهلها ٠

www.ibtesama.com

اننى مصمم على أن أستقل هذا القارب مرة أخرى الى عرض البحر لانى لا أريد أن يظن أحد أنى خائف ٠

وسواء كان جورج آبلى على خطأ أو صـــواب فيما يتعلق بهـــذه الرغبة ، فانها على أى حال لم تتحقق، كما نرى ذلك من خطاب بعث به اليه والده توماس آبلى وعثر عليه مؤلف هذا الكتاب بين أوراق جورج آبلى

عزيزى جورج :

لا ينبغى لك بأى حال من الأحوال أن تقلع فى البحر فى هـــذا الصـــيف ما لم يكن فى رفقتك ملاح ماهـــر ، والأفضـــل أن يكون (نيكرسون) ٠ لقد أظهرت قلة حيطة فى قيادة هـــذا الزورق وكان ينبغى أن تعمل حسابا لقوة العاصفة والا تسمح لها بأن تضرب شراعك بالعرض ٠ لقد سببت لوالدتك كثيرا من الألم والحزن ، حتى انهـــا لم تستطع أن تحضر اجتماع حلقة التطريز بعد ظهر أمس ، وقد ظلت فى فراشها منذ الصباح بسبب شعورها بصداع شديد ٠ لقد كبرت الآن الى حد ينبغى أن تتذكر معه أن أعمالك لها تأثير مباشر على كل هـؤلاء الذين يهتمون بك ٠ ومرفق بهـذا شـــيك بخمسة دولارات أرجو أن تسلمها بنفسك الى الصياد الذى يرجع اليه الفضل فى اعادتك ســالما الى الشاطىء ٠

وثمة نتيجة أخـرى لهذا الحادث كمـــا نرى من خطاب بعثت به اليزابيث آبلى الى ابنها جورج ، ولم يكن يجوز لمؤلف هـــذا الكتاب أن ينشر ما جاء فيه لأنه يحوى مسائل ليس من اللائق ذكرها لولا أنه وعد بأنه لا يخفى أى شىء من حياة الرجل الذى كان المؤلف يبجل خلقه منـذ كان غلاما حتى آخر أيامه ، وهذا هو نص الخطاب :

عزيزى جورج :

لقد كان جميلا جدا من ابنة خالك (هنرييتا) أن تبذل لك كل هـــذه العناية عقب حادث الزورق ولا بد بالطبع يا جورج أن تكون قد شعرت نحوها بكثير من الامتنان لهذا الصنيع ٠ ولما كانت تكبرك ســنا بعامين فهى لا بد أن تكون رفيقا طيبا عطوفا ، ولا شك فى أنها ضحت بالكثير من وقتها لكى تعنى بك ، ولكنها على أى حال فيها الكثير من طباع أمها الكريمة ٠

والآن يا بنى جورج أريد أن أضيف الى ما قلت كلمة أخرى تنطوى

www.ibtesama.com

على التحذير ، فان سعادتك ومصلحتك هما أعظم شيء يهمني • من الصعب على أن أدرك أن ولدى الصغير قد وصل الى مرحلة من السن تغيرت معها نظرته الى البنات • لقد كبرت الى درجة قد تجد نفسك معها منجذبا الى من هو أكبر منك سنا • ولتعلم أنه ليس ثمة ما هو أجمل من الصداقة السليمة بين الأقارب • ولكن تذكر ، اذا كنت تريد راحة البال ، أن كل الأمور الأخرى قد تؤدى الى التعاسة •

وأخيرا لا أريد يا جورج أن أذكرك بضرورة احترام النساء ، لأن هذا الاحترام هو جزء من القانون الذى ينبغى أن يتبعه أى رجل جنتلمان• أبلغ تحياتى الصادقة الى ابنة خالك (هنرييتا) والى أبناء وبنات خالك الآخرين •

ولكن النصيحة التى وجهتها السيدة اليزابيث آبلى الى ابنها لم تثمر والدليل على ذلك ، نجده فى القصائد الكثيرة التى نجدها مبعثرة فى دفاتر الغلام الصغير ، والأرجح أن التى كتبت هذه القصائد من أجلها لم تقع عيناها عليها •

وبعض سطور من احدى هذه القصائد التى عنوانها « الى هنرييتا » تكشف لنا عن موقف الفروسية النبيل الذى اتسم به خلق جورج طول حياته • وقد كانت المرأة فى نظره ، سواء حينما كان غلاما أو حينما أصبح رجلا ، تمثل مخلوقا من عالم آخر ينبغى حمايته بأى ثمن : ـ

هناك أشياء لا أريد أن أفعلها يا هنرييتا ••

أريد أن أقول : أحبك يا هنرييتا

أود أن المس يدك ، ولكن هل تدركين ..

أن حبى لك صادق ، يا هنرييتا ؟

وعلى الرغم مما قد يبدو فى هذه القصيدة من سذاجة فانها تنطوى على نوع من الجمال الحزين ، وتنم عن أول حب لغلام فى سن المراهقة •

وقد ظل جورج آبلى طوال حياته يقف من المرأة موقف الفروسية وضبط النفس والاحترام كما نرى ذلك فى خطاب كتبه فيما بعد الى ابنه جون وقد جاء فيه : ـ

ينبغى ألا تفزع اذا اكتشفت ، كما فعلت أنا حينما كنت فى العشرينات من عمرى ، أن هناك نوعين من النساء فى العالم • النساء

www.ibtesama.com

الطيبات ، والنساء الرديئات • والنوع الثـانى ينبغى أن يعامل معاملة تختلف عن النوع الأول • ولكن يجب أن نتذكر شيئا هـاما ، وهـو أنه يجب أن تعاملهن جميعـا باحترام ، وربمـا تدهش اذا علمت أنه قد يوجد خير كثير فى أسوأ الأشياء ، وعلى أى حال فانه قد يسـعدك فى أعوامك المقبلة أن تعرف أنك كنت دائما « جنتلمان » وثق أن هـذا ليس بالشيء القليل •

ولقد تخرج جورج آبلى ومؤلف هذا الكتاب وزملاؤهما فى مدرسة هوبسون فى ربيع عام ١٨٨٣ • وقد التحق بعد ذلك بجامعة هارفارد • وهكذا دخل فى عالم أكبر • وفى هـذا الوقت كتب له والده ، وكان حينئذ فى نيويورك ، خطابا يتضمن بعض التوجيهات : ـ

ان درجات امتحانك وهى الآن أمامى وان لم تكن قد بلغت النهاية القصوى فانها تعتبر بصفة عامة مرضية اذا قورنت بالنتائج التى حصل عليها أبناء أصدقائى الآخرين • ان آراء شـارلس اليوت حولت جامعـة هارفارد الى مكان لم أعد أفهمه فهما تاما • ومع هذا فانى أشعر بأن بعض آرائى ، التى قد تعتبر عنيفة ، لا تزال لها قيمتها • انك رأيت النبيذ كثيرا على مائدتنا ، ورأيته يستخدم من غير أن يساء استخدامه • فاذا كنت تريد أن تحتسى النبيذ باعتدال فى خلال وجبات الطعام فان هذا الآن حقك • أما فيما يتعلق بالتدخين فمع أنى كنت أسـتمتع بتدخين سيجار بعد الغداء مدى سـنوات كثيرة فاننى أتمنى لو انك استطعت تجنب هذه العادة •

أما فيما يتعلق بالنسـاء ، فاننى أود أن أتحدث معك أحيانا يا جورج فى هـذه المسألة • انك قد تتعرض بسببهن للغواية ، ولكنى أرجو أن تحميك تربيتك من التورط فيها • ولست أعارض أن تشترك فى مختلف الألعاب الرياضية ، وليس لوالدتك أيضا أى اعتراض على ذلك • ولكنى أريدك أن تتذكر أنك ذهبت الى جامعة هارفارد لكى توسع آفاق عقلك ، وان الطريقة التى تتصرف بها تنعكس آثارها على والديك وعلى أسرتك • وفى الوقت الذى أرغب فيه أن تعيش حيـاة تتوافر لك فيها أسـباب الراحة وتحقق لك المحافظة على مركزك ، فاننى لا أود أن

www.ibtesama.com

تعيش كما يعيش المترفون · وليس ثمة ما ينم عن سوء التربية مثل الاسراف وتبذير المال · وسيكون مصروفك الخاص ، علاوة على نفقات معيشتك وعلى مبلغ معقول من المال من أجل الكتب ، هو خمسون دولارا في الشهر وهو مبلغ سخي كما أظن ، وتستطيع أن تشترى منه ما يلزمك من ثياب ، وأن تنفق منه على ما تشاء من أسباب التسلية ·

ان أعمالى ستحجزنى فى نيويورك مدة أسبوعين آخرين · وأرجو أن أسمع عنك ما يسرنى فى أول غذاء نتناوله معا فى هيلكرست ·

www.ibtesama.com

الفصل السابع

أيام جامعة هارفارد

هناك أشخاص يقال عنهم ، سواء عن حق أو من قبيل الدعاية ، انهم بعد تخرجهم من جامعة هارفارد ، يظلون طوال حياتهم ، ابتداء من سني شبابهم الى أن يهال عليهم التراب فى قبورهم ، لا يطرأ على شخصيتهم أى تغيير ، والواقع أن مثل هذا القول لا ينطوى على تحقير بل هو بالأحرى ينطوى على مديح لهم ، فان خريجى جامعة هارفارد يظلون محتفظين أطول فترة ممكنة من حياتهم بروح المرح والتفاؤل والثقة ٠

وقد أعد جورج آبلى اعدادا كافيا قبل دخول الجامعة ، ولهذا فلا عجب إذا كان قد استطاع هو وزملاؤه ، وقد كان مؤلف هذا الكتاب من بينهم ، أن يشقوا طريقهم فيها بنجاح تام ٠ وقد استطعنا هناك أيضا أن نكتسب صداقة الجميع كما فتحت لنا أرقى الأسر أبواب دورها على مصراعيها فى مختلف المناسبات الاجتماعية ٠

لقد كان جو قاعات الجامعة تسوده رائحة عجيبة أشبه برائحة العطر ٠ وكانت الجامعة تجتاز فى هذه الايام فترة انتقال ملحوظة تمثل النمو المادى الضخم فى البلاد ٠

وكانت صورة جورج آبلى فى ذلك الوقت صورة نموذجية لأى طالب فى الجامعة وأمامى الآن صورة له أخذت له مع باقى أعضاء نادى المائدة المستديرة وفيها يبدو قوى العضلات ، ذا أنف حاد وشعر أصفر كثيف ، وملامح ابتسامة عند زاويتى شفتيه وبوادر شارب على شفته العليا ٠

وكان جورج آبلى شخصية بارزة فى هذا العالم الصغير وهو لم يكن حاد الطباع وانما كان رقيقا يميل الى الدعابة ، وكان بطلا فى الألعاب الرياضية وكان مجدا فى عمله وان كان هذا لا يعنى أنه كان يسهر فى المذاكرة حتى بعد منتصف الليل ولكن روحه كانت تنطوى على شىء من التمرد ، وهى صفة غالبة فى أسرة آبلى ٠

www.ibtesama.com

كما أنه كان يملك موهبة عجيبة فى كسب صداقة الناس وودهم ، كما كان كريما الى درجة تجعله يورط نفسه فى مشكلات الآخرين ، وقد أدى هذا الى تعرفه بعدد من الأشخاص ذوى الأهواء والنزوات ، مخالفا بذلك نصائح أبيه وآراء أصدقائه .

وهذه نبذة من خطاب كتبه لأبيه توماس آبلى فى شهر ديسمبر من عام ١٨٨٣ ، قد تلقى ضوءا على هذا الاتجاه : ـ

« اننى أستذكر دروسى بجد واجتهاد ، وسأشترك فى ندوة المناظرة ، وقد كتبت لهذا الغرض كلمة حازت استحسان محررى صحيفة (لامبون) وقد توجهت مرة واحدة فى خلال الأسبوع الماضى الى بوسطن لكى أحضر حفلة راقصة لدى مدام (باروز) ثم عدت مع رفاقى الى الجامعة فى عربة ، فاذا كنت قد سمعت بعض القيل والقال فى هذا الشأن فانه لم يكن ذنبنا ، ان الجواد جمح فى الطريق ، نعم لقد أصبح لى عدد من الأصدقاء من بينهم واحد أحبه كثيرا هو (هنرى ألجير) الذى يجلس الى جانبى فى محاضرات اللغة الانجليزية . ان أسرته تقيم فى (سيرنجفيلد) وانى أود جدا أن أحضره معى لتناول الغداء معنا فى أحد أيام الأحد ».

وقد رد عليه توماس آبلى بخطاب جاء فيه :

عزيزى جورج :

« لقد سبب خطابك شيئا من القلق لأمك ولى ، اننا لم نستطع أن نفهم لماذا لم تحضر لزيارتنا ما دمت قد جئت الى بوسطن ولا شك فى أنك كنت تستطيع أن تجد وقتا لذلك اننى أؤمل ألا تكون قد أسرفت فى الشراب مما ترتب عليه جموح الجواد ، وأمك تأمل ذلك أيضا ، وان ما قلته من أنك تشترك فى عدد كبير من ألوان النشاط أثبت لكل منا أنك تبعثر جهودك فيما لا طائل تحته .

وان ما يقلقنى أكثر من ذلك هو خوفى من انك تميل الى أصحاب السوء وتصادقهم ، لقد أبلغتنى أسرة (وستكوت) التى قبلت بسماحة وكرم أن تهتم بشئونك أنك اعتذرت عن عدم امكانك تلبية دعوتين لتناول الشاى معها ، ولا شك فى أنه كانت لديك مشاغل هامة حالت بينك وبين قبول هاتين الدعوتين ، ولكن ليس هناك ما هو أهم من مراعاة الاعتبارات الاجتماعية ، ويجب أن تضع فى ذهنك أن الصداقات التى تكتسبها الآن فى هارفارد ، ستظل معك بقية حياتك ، وقد أثبتت لى

www.ibtesama.com

تجاربى صدق المثل القائل ان « المرء يعرف بأصحابه » ، وفضلا على ذلك فان العلاقات التى تكونها الآن ستكون ذات أهمية جوهرية فى حياتك المقبلة سواء فى الجامعة أو فى ميدان الأعمال ٠

وان أفضل ما أتمناه أنا وأمك هو أن تشترك فى النادى الذى كان يضـــم دائما أحد أفراد أسرة آبلى على مدى الأجيال ، وان كان تشرفك بالانتساب اليه يتوقف الى حد ما عليك ٠ يجب أن تســـتوثق من أنك تختار لصداقتك أناسا صالحين وليس هذا شيئا عسيرا عليك ، فقـــد ربيت بين أناس من هذا الطراز ، ولقد شعرت أنا وأمك بقدر كبير من الجزع بسبب صداقتك لهذا الشخص الذى يدعى (هنرى ألجير) انه جميل جدا أن تكون ديموقراطيا وأن تكون لطيفـــا جدا مع شخص يجلس بجانبك فى الكلية مصادفة نتيجة لترتيب مقاعد الجلوس على أســاس الحروف الأبجـــدية ، كما أنى لا أريد أن أحـــدد دائرة معارفك اذ أن المعارف لهم قيمتهم من وجوه كثيرة ، ولكن ينبغى أن تعلم أن الصداقة شىء آخر ، ان أصدقاءك يجب أن يتم اختيارهم من الدائرة التى تضـــم نوع الناس الذين هم على شاكلتك ، والا فانك ستصادف من جراء سوء الاختيار متاعب جمة وحرجا شديدا ٠٠٠ من هو هذا الشـــخص الذى يدعى (هنرى ألجير) ؟ انى لم أسمع قط بأن فى مدينة (سيرنجفيـــلد) أسرة تحمل هـــذا الاسم ، ان كل ما أرجوه هو أن أعرف أنه سيكون صديقا نافعا وملائما لك ».

خطاب الى توماس آبلى :

والدى العزيز :

لا تقلق ٠٠ ان هنرى ألجير صديق من الطراز الأول ٠٠ اننـــا نتدرب معا على الملاكمة فى الملعب ، وهو يقول ان والده يعرفك ٠٠ ان أباه يملك شركة (وست سيرنجفيلد) للنسيج ٠

خطاب من توماس آبلى :

عزيزى جورج :

هذا شىء عظيم ، اننى أتذكر فعلا المستر (ألجير) وأننى ســعيد بمعرفتك لابنه وانى أرجو أن تدعو (هنرى ألجير) لتناول الغداء معنا ، وأن تحمله على قبول هذه الدعوة بأية وسيلة ان أمك وشقيقاتك يسرهن أن يرينه ٠٠ ان شركة (وست سيرنجفيلد) للنسيج مؤسسة راسخة القدم فى السوق ٠

www.ibtesama.com

وكل من يقرأ هذا الخطاب يقدر الاهتمام الذى يبديه أب يريد لابنه السعادة والتوفيق فى حياته ، ان رغبة الانسان فى توجيه مصير ذريته شيء من الصعب تفسيره وان كان يتم عن غريزة الأبوة ، واذا كان قلق توماس واليزابيث آبلى بشأن سعادة ابنهما يبدو مفرطا ·· فقد يرجع هذا لأسباب لم يفصحا بها لأحد خارج محيط الاسرة ، وهـذا خطـاب كتبته اليزابيث آبلى يوم ٣ من ديسمبر ١٨٨٣ —

ولدى العزيز جورج :

« ان حياتك فى مدينة كامبريدج تبدو سـعيدة جدا وان كانت الظروف قد حرمتنى أن أشاطرك اياها ولكنى لا أريد أن ترهق نفسك فى الاستذكار يا جورج ، ان كثيرين أتلفوا عيونهم بسبب كثرة العمل وقد جزعت فى يوم الأحد الماضى حينما حضرت لتناول الغداء عندنا فقد كان منظر عينيك ينم عن التعب كما لم تكن شهيتك طيبة وكان هـذا هو رأى شقيقتك (أميليا) و (جين) أيضا ·

لقد رأيت أمس صديقتى العزيزة مسز « وستكوت » وأخبرتنى بأنك ذهبت لتناول الشاى فى دارها وانك تحدثت حينئذ حديثا طيبـا عن دروسك ، اننى سعيدة لأنك تزور أسرة (وستكوت) بين حين وحين، لأن هذا يتيح لك الفرصة لكى تستمتع فى خلال الأسبوع بجو العائلة وأنت بعيد عنا ، كما أنى سررت لأنك حضرت حفلة راقصة لدى أسرة (بوزورث) وثق بأنى لست سـيدة متزمتة فانى أيضا أحب البهجة والسرور ولا شك فى ان (كاترين بوزورث) أصبحت فتاة جميلة · لقد لعبتما كثيرا وأنتما صغيرين فى أيام الصيف · سيأتى يوم تعرف فيـه أن جمال الروح أهم من الجمال الدنيوى ·· فتذكر ذلك حينما ترى جمالا دنيويا · »

وعلى الرغم من أن هذا النوع من التشجيع لا بد أن يؤدى الى نتيجة محددة فان جورج آبلى كان قد وصل الى المرحلة التى يقرر فيها الشباب امورهم على طريقتهم الخاصة طبقا لأسلوب التجـربة والخطأ المؤلم ، وقد كان لجورج آبلى تجارب مثل غيره من الشباب ، ومن المفيد هنا أن نتذكر احداها لأنها تزيد ايضاح شخصية جورج آبلى وتلقى مزيدا من الضوء على خلقه · وقد شرح بطريقة غير مباشرة هذه التجربة فى موضوع كتبه فى الجامعة بعنوان (ليلة ندم) : —

(لقد شرب الشابان أكثر مما ينبغى لهمـا ، وقد فعلا ذلك لكى

www.ibtesama.com

ببرهنا لأصدقائهما الذين هم أكبر منهما سـنا أنهما ندان لهم ، ولما اقترحت الجماعة تمضية السهرة لدى مدام (بريانت) قال (هيجو) انه لا يعرف هذه السيدة وانه يخشى الحرج من زيارة سيدة لا يعرفهـا ، وأدهشه أن أصدقاءه ضحكوا طويلا لهـذه الملاحظة وأكدوا له أن مدام « بريانت » سيدة لطيفة ولم تلبث (الشلة) أن استقلت عربة واتجهت نحو بوسطن ثم توقفت أمام منزل كبير له مدخل معتم ؛ لقد كان متأخرا ومع ذلك فقد بدا أن مدام « بريانت » قد سرت من رؤية هؤلاء الزوار الذين جاءوا على حين غرة ، ولم يكن (هيجو) قد رأى من قبل سـيدة مثـل مسـز « بريانت » وقد كانت ترتدى ثيابا فاخرة وتتكلم بلهجة ايرلندية وكانت باشة الوجه ، وقالت ان الفتيـات موجودات فى قاعة الاستقبال ، وحينما رآهن (هيجو) لم يعرف ، بسبب جهله أو بسبب اضطرابه ، أن خدودهن المطلية بالاصباغ وشـفاههن ذات اللون الأحمر الصارخ فى هذا المكان الذى تعبق فيه رائحـة العطر ويغمره الضـوء القوى ،لم يعرفَ أن كل هذا يعتبر بمثابة تحذير له ٠٠ ولما انفردت به احدى أولئك الفتيات وتحدثت معه بطريقة لا تدع مجالا للشك فى نوع مهنتها أدرك « هيجو » حينئذ أنه فى دار للرذيلة ، وقد صدمته هـذه الحقيقة وزلزلت كيانه وعرف ماذا يمكن أن تؤدى اليه صـحبة أناس متهورين ،وقد خرج من الدار على الفور يمزقه الخوف والاشمئزاز وعذاب الضمير بعد أن عرف شيئا من أسرار المدينة الكبيرة ومزالقها) .

وقد انهمك جورج آبلى بعد ذلك فى ممارسة الألعاب الرياضـية ونال فيها عدة ميداليات وكئوس ، كما برز فى المجال الأدبى واختير عضوا فى مجلس ادارة تحرير صحيفة (هارفارد لامبون) ٠

ولكن ذلك لم يصرفه عن مواصلة الاطلاع والقراءة ، وقد تعـود أن يختار بدقة ما يقرأ ، والفضل فى ذلك يرجع الى نصائح أمه التى كانت نموذجا له فى هذا المجال وقد صرح جورج آبلى فى خطاب كتبه لابنه فيما بعد بقوله :

« لقد علمتنى أمى شيئا هاما بشأن القراءة سأخبرك به « احتقر الكتب التى تقرأ بسهولة ، لأن مثل هذه الكتب تثير الحواس أكثر ممـا تثير التفكير ، ان القراءة الصعبة خير زاد للعقل » ٠

وامتدت اهتمامات جورج آبلى ، فاشترك فى الحفلات المسرحيـة التى كانت تقام فى الجامعة ، وفى الرحلات ، وكان مواظبا على حضـور اجتماعات النادى ، وهكذا أخذ أفقه يتسع رويدا رويدا وينتقل على مهل،

www.ibtesama.com

ولكن بثقة ، من مرحلة الشباب المبكر الى مرحلة الرجولة ، وأصـــــبح نموذجا لشباب جامعة هارفارد ، ومع هذا فقد كان يساوره أحيانا شعور بنفاد الصبر وعدم الاستقرار ولكن أصدقاءه يعترفون بأن هذا الشعور من طباع الانسان ، وقد كان جورج آبلى انسانا قبل كل شيء .

وسينتقل مؤلف هذا الكتاب الآن ، على كره منه ، الى الكلام عن حادث مؤلم فى حياة جورج آبلى الخاصة لا يزال يعتقـــــد حتى الآن أنه ما كان يجوز الخوض فيـــه مع الحاح ابنه جون آبلى الذى يصر على أنه لا حرج من التحدث عنه .

www.ibtesama.com

الفصل الثامن

فترة الانتقال

يجب أن نقرر فى صراحة منذ الآن أنه ما من شىء سنكتبه عن هذه الفترة من فترات الشباب التى عاشـــها جورج آبلى يمكن أن تحط من قدره ، فقد ظل دائما وعلى الرغم من كل شىء نموذجا للنجـــاح ، ليس فقط فى هارفارد ولكن أيضا فى المجتمع ، واذا كنا سنتكلم عن هـــذه الفترة التى يمر بها كل شاب ويتعرض فيها لنزوات طارئة فان الغرض من ذلك هو أن نصور هذه المرحلة من مراحل الشباب التى ينتقل فى خلالها الشاب من عهد الى عهد ٠

حينما يقترب الفتى أو الفتاة من سن الزواج فانهما يجدان نفسيهما فى كثير من الأحيان فى حالة عدم استقرار ويجدان من الصـعب عليهما توجيه حياتهما فى الاتجاه الذى تمليه عليهما عواطفهما الحقيقية ، فاذا كان جورج آبلى قد واجه هذا الموقف فان الكثيرين منا قد واجهوا أيضـا مثل هذه المشكلة من قبل ، والقلق الذى كان يساور والديه فى هـــذه الفترة يتضح جيدا من الخطابات التى بعثا بها اليه ٠

وهذه نبذة من خطاب أرسلته اليه أمه اليزابيث آبلى : ـ

« يبدو يا عزيزى جورج أنك مشغول جدا بنشاطك فى النادى وفى الكلية ومع أنى فخور بهذا النشاط فانه يجب أن أذكرك بأن هناك فتاة جميلة جدا تهتم بك اهتماما جديا ، انها «كاترين بوزورث» وأنا ووالدك مسروران جدا لهذا الاهتمـــام لأن أسرة بوزورث من الأسر التى هى من طرزانا ، ان كاترين من الفتيـــات اللاتى قالت عنهن الـــكاتبة (جين أوستن) انهن يتمتعن بموهبة الاحساس والعقل معا ٠ لقد تلقت تربيـة مثل تربيتك تقوم أساسا على أن السعادة الحقيقية فى الحياة ، مثل تلك التى عشناها أنا ووالدك ، هى فى الجوهر وليست فى المظهر ، انى أؤمل أن تولى « كاترين » قليلا من اهتمامك حينما تأتى الى بوسطن فى المدة القادمة » ٠

www.ibtesama.com

نبذة من خطاب أرسله جورج آبلى الى كاترين بوزورث : ـ

« عزيزتى كاترين : ـ

سأتناول الشاى مع والدتى فى حجرتى بالكلية يوم الخميس القادم بعد الظهر ، وهى وأنا يسرنا جدا أن تحضرى أنت ووالدتك لتنـــاول الشاى معنا ٠

خطاب من اليزابيث آبلى : ـ

عزيزى جورج ٠٠

لقد استمتعت جدا بحفلة الشاى ٠ لقد كانت كاترين تبدو جميلة للغاية أما أمها مسز بوزورث فلم تتمالك نفسها وقالت :

« كم تبدوان رائعين وانتما تسيران معا فى فناء الكلية » ٠

خطاب من توماس آبلى

عزيزى جورج ٠٠

« ان الجزء الذى آل اليك من ضيعة جدتك طبقا لوصـــيتها يعتبر ثروة لا بأس بها يمكن أن يبدأ بها الانسان حياته وهو مطئن الى حد ما ، وسأشرف على ادارة نصيبك من الضيعة كما قررت الوصية وسأستخدم دخلها فى اتمام تعليمك وسأخصص جانبا من الدخل لانفاقه فى أى شىء آخر قد يهمك » ٠

والى جانب هذا الخطاب الذى كتبه توماس آبلى الى ابنه جورج بقصد تنظيم حياته وتوفير الاستقرار له ، وجد مؤلف هذا الكتاب مجموعة من الخطابات موضوعة فى غلاف ومختومة وقد كتب عليها بخط توماس آبلى نفسه (تسلم لابنى جورج حين وفاتى وأوصيه بأن يحرقها) ٠٠ وكان من رأى المؤلف أن هذه الخطابات يجب أن تحرق سواء بوساطة جورج أو بوساطة ابنه جون ، ولكن جون كان له رأى آخر فى الموضوع يتضح من هذا الخطاب الذى بعث به الى المؤلف ٠

عزيزى المستر ولنج ٠٠

لقد فحصت بنفسى هذه الخطابات بعناية فوجدت أنها لا تحوى أى شىء ضار ، وان رفضك التحدث عما فيها يوضح لى الفرق الـــكبير بين العالم الذى عشت فيه أنت ووالدى ، وبين عالم اليوم ، ان كل رغبتى تنحصر فى أن يصور أبى ككائن بشرى ، لقد قرأت ما كتبته عنه حتى

www.ibtesama.com

الآن وكان رائعا فأرجو أن تواصل الكتابة وأعتقد أن ما تتضمنه هذه الخطابات من معلومات ستزيد من قدر والدى ، وستبرهن على أنه كان رجلا رقيق الاحساس عظيم الجرأة ، والا ما سار كل هذا الشوط الطويل ٠

وقد أذعنت لهذه المشورة ، وهأنذا أواصل الكتابة على ضوئها ، وسأنشر نص هذه الخطابات تباعا ، وهى تبدأ من أول مايو عام ١٨٨٧ ٠

خطاب الى مس مارى موناهان :

عزيزتى مارى ٠٠

« ان الساعة الآن الحادية عشرة مساء ، وكل زملائى ذهبوا الى فراشهم للنوم ولهذا فمن الطبيعى أن أجلس لأكتب اليك لأن عقلى لا يزال يفكر فى كل دقيقة أمضيناها معا ، اننى أعتقد الآن فى القدر ، وأعتقد أن مصير الانسان ليس فى يده والا فلماذا جئت أنا الى مدينة كمبريدج ولماذا حضرت أنت أيضا اليها ؟ حينما التقطت منديلك الذى سقط منك ، وحينما نظرنا الى بعضنا بعضا فانى أتذكر كل ظل من ظلال البنفسج فى عينيك وكل ضوء الشمع فى شعرك ، لقد قلت انه لا ينبغى أن يرانا أحد معا ، ولكنك قابلتنى يوم الأحد فى شارع (كولمبس) انك تجعلينني أرى الأشياء كما لم أرها قط من قبل ، اننى لست كما تظنين يا مارى ، وسأثبت لك ذلك ٠ سأقابلك يوم الأحد القادم فى ميدان (ورسستر) واذا كان أخوك (مايك) لا يحب لنا أن نتقابل فالأفضل أن أوضح له الأمر ، ويسرنى أن أراه فى أى وقت ٠

ولأسباب أوضح من أن تذكر فان الخطابات التى أرسلتها هذه الفتاة الصغيرة « مارى موناهان » الى جورج آبلى غير موجودة ، ولكن المعلومات التى جمعتها من أحاديث أفراد الأسرة والأصدقاء ومن خطاباتهم تعطى فكرة عن هذه الفتاة التى ظهرت فجأة فى حياته كما أنها ، وهذا شىء يجب أن أعترف به ، تعكس بصورة طيبة ذوق جورج آبلى ، ويبدو أن أسرة (موناهان) كانت أسرة محترمة فى وسطها ، وكان جد الفتاة زارعا صغيرا فى ايرلندا وقد هاجر الى أمريكا لأسباب سياسية فى منتصف القرن الثامن عشر بعد احدى الثورات الفاشلة التى وقعت فى بلاده ، أما والدها فكان يعمل كمسجل عقود فى جنوب بوسطن ، وكان يحتل مركزا اجتماعيا لا بأس به فى المنطقة التى يعيش فيها ٠

ويبدو أن دائرة هذه الأسرة كانت تنطوى على قدر كبير من الجاذبية

www.ibtesama.com

لأنه من الواضح أن جورج آبلى كان يجد كثيرا من الراحة والسرور فى دار الفتاة ، وربما كانت قوة جورج آبلى الجسمانية من الأسباب التى سهلت الدماجه فى محيط هذه الأسرة التى كان أفرادها أصدقاء شخصيين لجون سوليفان الذى كان (فتوة) سيىء السمعة ٠

أما الفتاة نفسها فيبدو أنها كانت أعلى من طبقتهـــا الى حد أن يطارحها الغرام شاب جامعى أبوه عضو فى مجلس المدينة وقد رآها مرة (تشيكرنج) زميل جورج آبلى حينما كانت تتنزه مع جورج فى قارب فى نهر (تشارلس) وقد وصفها لمؤلف هذا الكتاب وصفا دقيقا فقال : ان الفتاة كانت أنيقة وكان جمالها صارخا ولكنه جمال رومانتيكى وليس جمالا من النوع الشائع ، وكان وجهها نحيفا وكذلك يداها وقدماهـــا وكانت ملامحها مثيرة الاهتمام وشعرها أسود وعيناها بنفسجيتين داكنتين وكانت تصرفاتها تتميز بالهدوء والأدب ، وغنى عن الذكر أن كل هذه الصفات الجميلة أدت الى تعقيد العلاقة التى نشأت بينها وبين جورج آبلى بصورة خطيرة ٠

خطاب الى مارى موناهان :

حبيبتى الوردة البرية ٠٠

أؤمل أن يكون أفراد أسرتك قد أحبـــونى كما أحببتهم يا أعز الناس ٠٠ لقد أمضيت لديكم وقتا طيبا جدا ٠٠ حبيبتى ٠٠ اننى أحبك أكثر من أى شىء آخر فى العالم ، انك تمنحيننى شيئا يجعلنى أشـــعر بالحرية لأول مرة وليس هناك يا حبيبتى شىء يجعلنى أسعد الناس مثل هذا الشعور ، هل تسمحين لى بأن أقرأ لك مرة أخرى ، فيما بعـــد ، أشعار (براوننج) ان الشعر نفسه يصبح حقيقيا حينما أقرؤه لك ٠

خطاب لمارى موناهان :

حبيبة قلبى ٠٠

أريد أن تتيقنى أنى أعنى كل كلمة أقولها لك ، اننى لم أعرف طعم الحياة الا بعد أن عرفتك ، اذا كان والدك متضايقا من موقفى منك فالأفضل أن أتكلم معه بنفسى فى ذلك ٠٠ سأقول له ، وأنا مبتهج ، ما سبق أن قلته لك ، وهو أنى أحبك وأريد أن أتزوجك ، وانى ســـأحاول طول عمرى أن أجعلك سعيدة ، وحينما ترى أسرتى جمالك ، وهو جمال ليس له نظير ، فانها ستوافق على رأيى على الفور صدقينى ٠٠ صدقينى ٠٠ انى أعنى كل كلمة أقولها لك ٠

www.ibtesama.com

خطاب الى مارى موناهان :

اننى لا أهتم بما يقولون ·· هناك أماكن أخرى فى بوسطن نستطيع الذهاب اليها ·· هناك غرب بوسطن مثلا ·

خطاب الى مارى موناهان :

اننى لا أستطيع التوقف لحظة واحدة عن التفكير فى النزهة الجميلة التى قمنا بها معا فى القارب ·· وفى صفاء هذا اليوم الذى يشبه صفاء روحك ، ومع أنى أتذكر كل دقيقة فى هذا اليوم الا أن كل ذكرياتى عنه تتحول الى أنغام حلوة كالموسيقى بحيث لا أستطيع أن أفصل لحظة عن الأخرى ، لقد أخذتنى بعيدا ، كما أرجو أن تفعلى ذلك دائما ، عن كل شىء كان يقيدنى ويحجب جمال العالم عن عينى ·

ان اللهجة التى تنطوى عليها هذه الخطابات تظهر أن جورج آبلى كان جادا فى حبه لمارى موناهان ، وقد أغفل مؤلف الكتاب كثيرا من العبارات، من قبيل اللياقة ، لأنها تتضمن بعض الأسرار ، ولكن من المحقق أن كل مقاصد جورج آبلى كانت شريفة وهو لم يحاول قط استغلال الحرية التى منحتها اياه مارى موناهان ، وكان من الطبيعى مع مضى الوقت أن تصل شائعات هذه العلاقة الى سمع توماس آبلى ، وكان لهذا الموقف الجديد أثره بين العاشقين ، كما يتضح من الخطابات التالية التى بعث بها جورج آبلى الى مارى موناهان ·

مارى الحبيبة ··

لماذا تغمرين دائما فى قرارة نفسك شعورا بأن حبنا لن يدوم ؟ ثقى بأنه ما من شىء يستطيع أن يوقف حبى لك ، لقد أعربت عن شكوكك فى هذا الشأن ولكن تيقنى أنها شكوك لا تقوم على أى أساس ، لقد تعبت من كثرة تأكيدى لك ·· لقد تعبت من كل شىء ما عدا أنت ·

ولهذا السبب فانى غير مهتم بهذه الشائعات ، وما أهمية أن يرانى (كلارنس كوركوران) معك وأن يبدى دهشـــته لذلك ؟ نعم ·· ان كلارنس كان يعمل بستانيـــا لدى والدى ولا يزال حتى الآن يناديني « سيدى جورج » ولكنى لا أرى فى الأمر ما يثير الجزع اننى أفخر حينما أقول لأى انسان انى أحبك ، وأشعر بفخر أكبر لأنك تحبيننى لأنى لا أستحق ذلك ·

حبيبتى الجميلة المسكينة ··

www.ibtesama.com

يجب أن تتركى هذه المسألة لى ، يعز على أن تشعرى بالخوف ولكنى لا أرى هناك سببا يدعو الى ذلك اننى أعتقد أنه حينمـــا يراك والدى ووالدتى فانهما سيفهمان كل شيء وهما حين يفعلان ذلك فان جميع أفراد أسرة آبلى سيؤيدون رأيهما ، وحينئذ تزول كل العوائق وتصـــبحين واحدة منا ٠

حبيبتى

يجب ألا تخافى ، انك الشخص الوحيد الذى يمكن أن أحبه ، لقد كان موقفهم معى فظيعا ولكنهم لا يستطيعون أن يمنعونى يا حبيبتى كما انك أيضا لا تستطيعين ذلك لأنى أحبك ٠٠ أحبك ٠

وتوقفت الخطابات فجأة والمفهوم طبعا أن توماس آبلى تدخل فى الأمر بكل نفوذه وسطوته ولكن يبدو أنه تصرف بحرص وتكتم كرجل أعمال ، واستخدم كل ما لديه من وسائل لكى يعالج بنجاح المســألة التى صدمت الأسرة أشد صدمة ، ولكن ما فعله أسدل عليه ستار من الظلام فلم يعرفه أحد كما أن أحدا لا يعرف رد الفعل الذى حدث لدى أسرة موناهان ٠

www.ibtesama.com

الفصل التاسع

اوروبا

فى اليوم السابع والعشرين من شهر يونيه من هذا العام نفسه كان جورج آبلى فى غاية الارهاق وكان قلقه بسبب الامتحانات النهائية قد أجهده كل الاجهاد ، ولهذا نصحته الأسرة بأن يقوم برحلة فى البحر لكى يستعيد قواه ، وبعد أن اتخذت الترتيبات اللازمة للقيام بهذه الرحلة أبحر من ميناء نيويورك هو وخاله المستر « هوراشيوبرنت » وزوجة خاله ، وابنة خاله « هنرييتا » فى طريقهم الى انجلترا ، على أن يقوموا بعد ذلك بجولة فى القارة الأوروبية تستغرق فصل الصيف ٠

وقد كتبت له أمه اليزابيث آبلى خطابين تسلمهما وهو فى ميناء نيويورك فى انتظار السفر ، وهما يوضحان مدى حنانها وحبها له ٠

ولدى الغالى جورج ٠٠

أؤمل أن تكون الآن أحسن حالا وأن تكون أقل اجهادا وارهاقا ، وأن تكون فى حالة أفضل تتيح لك أن ترى الأشياء على حقيقتها ٠ ان خالك وزوجة خالك على قدر عظيم من الفهم والادراك ، وهما يحبانك ويعجبان بك ياجورج ، بحيث لا يمكن أن تجد رفقاء سفر أفضل منهما ٠ وأعتقد أنهما كانا كريمين جدا بحيث تركا كل شىء وراءهما لكى يصحبا عن طيب خاطر ولدى الصغير المجهد ، الذى سيسترد قواه وعافيته فى أقرب وقت ٠ وانى أرجو ألا تثير قلقهما ياجورج ٠ بل كن لطيفا معهما ، وبخاصة مع « هنرييتا » انك تعلم ، كما نعلم جميعا ، أن هذا الرجل الذى قابلته فى الحفلة الراقصة فى فيلادلفيا ، والتى بذلت غاية جهدى لكى أمنعك من حضورها ، لم يكن سوى أفاق مغامر ، وان الثروة التى هبطت على أسرته من مصانع الصلب التى تمتلكها فى بنسبرج لا تضيف الى شخصيته الرقيقة سوى قليل من الاحترام ، وان مما يزيد خلقه جفاء حديثه الفظ وخلو احساسه من الرقة ، وانى أؤمل أن تحاول ، بلباقتك وحسن ذوقك التخفيف عن هنرييتا والتسرية عنها ، وكذلك عن زوجة

www.ibtesama.com

خالك وخالك ٠٠ فى هذه المرحلة الحرجة المتسمة بالحزن التى يجتازونها، اننا نحن الكبار نفهم هذه الحالة ونعرف أنها تمر سريعا ٠

ولدى الحبيب ٠٠

أود كثيرا لو استطعت الآن أن أرى وجه ولدى العزيز وهو يشرق بالسرور لما سوف يراه من مناظر رائعة فى الخارج ، اننى لم أزر أوربا منذ زواجى ولكن لا أزال أحتفظ بذكريات جميلة عنها تساعدنى فى قراءاتى : كاتدرائية وستمنستر ، نهر التيمس ، وهوايتهول ، ثم فرنسا ٠ واذا كان الفرنسيون يتكلمون بطلاقة وحماسة قلما تستطيع أن تجاريهم فيهما فاننا نعجب فى الوقت ذاته بشمس باريس الدافئة وبجمال ريفها الساحر ، ثم هناك نهر السين ، وكاتدرائية نوتردام وقصر فرساى الحزين ٠٠ وفونتنبلو وقصور نهر اللوار ٠٠ كم من درر التاريخ تقع عليها عيناك هناك ٠٠ واذا كان كثير من الشخصيات التى عاشت فى أبهاء هذا التاريخ قد تميزت بمنهج خاص فى الأخلاق يختلف عن منهجنا فتذكر أنها كانت تعيش فى عصر آخر أشد من عصرنا ظلاما ٠

اننى أبعث اليك مع هذا الخطاب بمجموعة من الكتب أخذتها لك خصيصا لكى تكون رفيقا لك فى مغامرتك الجديدة ، وان أشعار (لونجفلو) بصفة خاصة تتميز بالجمال ٠

خطاب من توماس آبلى :

أؤمل أن يجدك خطابى هذا أحسن حالا ، لقد وضعت تحت تصرف خالك خطاب اعتماد لتسحب منه ما تريد من مال تحت اشرافه ، وأعتقد أنه من الأفضل لنا تجنب مناقشة مختلف المسائل الى حين عودتك ، وأود بصفة خاصة أن تفكر فى أمك فقد ساءت صحتها الى درجة أثارت قلقى العميق ، ولا أريد أن أزعجها أكثر ٠٠ انك سترى الأشياء على ضوء آخر بعد تغيير المناظر واتمام رحلتك ، وحينئذ ستدرك التزاماتك كعضو فى الأسرة ٠

خطاب من أميليا آبلى :

عزيزى جورج ٠٠

هناك شىء واحد أعتقد أنه يسرك أن تعرفه ٠٠ لم يعد أحد يتحدث

www.ibtesama.com

هنك ٠٠ لقد أخبرت كل الناس بأنك كنت متعبا بسبب الامتحانات ، وقد أظهروا جميعا قدرا كبيرا من الفهم ٠ اذا وجدت فى باريس (بروشا) جميلا أو دبوسا مرصعا بالجواهر فأرجو أن تشتريه لى ٠

اختك المحبة

اميليـــــا

خطاب من جين آبلى :

أخى الحبيب ٠٠

هناك شخص واحد فقط يعرف ما تحس به ٠ يبـدو أن الاخـــوة والأخوات يا عزيزى جورج يحبون كتمان ما يشعرون به من أحاسيس، وقد كنت أود ألا أكون كذلك والا لأتيحت لك ولى الفرصة لكى نتحدث معا ٠ لقد كنت لطيفا دائما معى ، وكنت تجعل أصدقاءك يرقصون معى فى الحفلات ، وكنت تعرف دائما ما أشعر به من ضيق حينمـــا أكون وحيدة أو تعسة وأعتقد أنه لا يوجد أحد سعيدا على طول الخط ٠

أختك التى تحبك دائما

جـــين

ولم أعثر على نسخ من ردود جورج آبلى على هذه الخطـــابات ، اذا كان قد رد عليها ، لقد كان يمر فى خلال هذه الفترة بمرحلة حرجة فى حياته كان يشعر فيها باضطراب النفس وبلبلة الخاطر بسبب علاقتـه العاطفية التى انتهت بالاخفاق وما ترتب عليها من حرج لنفسه ولأسرته، وما بذله من جهد لكى يوفق بين ميوله وبين واجباته ، ولا شك فى انه كافح كفاحا مريرا ليتغلب على هذه الأزمة النفسية لأن أصدقاءه لاحظوا عقب عودته من أوروبا تغيرا واضحا فى حالته المعنوية ، لقد اكتسب شعورا جديدا بالمسئولية ٠ لقد غادر نيويورك شابا ثم عاد اليها بعد أســـابيع قليلة رجلا ، بفضل ما أظهره من تجلد وتعقل وبفضـــل يقظة والديه ونصحهما ، وانهـــا لمهمة سارة أن ننشر الآن مقتطفات من مجموعة من الخطابات أرسلها الى والديه ، وهى تشير الى أن الحقائق الجديدة والوجوه والمناظر الجديدة التى شاهدها قد ساعدت على التئام الجرح العميق المؤلم الذى كان لابد أن يصيب شخصا حساسا مثله ٠

خطاب من جورج آبلى الى اليزابيث آبلى :

لقد عبرنا المحيط الاطلنطى بسلام ووصلنا الى ميناء « ساوثهـــا

www.ibtesama.com

مبتون » وكانت « مارتا » زوجة خالى وهنرييتا مريضتين فى خلال معظم الرحلة أما أنا وخالى « هوراشيو » فكنا فى حالة طيبة ، وكنا نلعب الورق فى غرفة التدخين بالباخرة ، اننى أعرف أنك لا تحبين لعب الورق ولكن عذرى أننى كنت أريد تمضية الوقت ، ولم أكن فى حالة تسمح لى بالقراءة ، وأعتقد أن ماقاله كثير من أصدقائى صحيح : وهو أن من يصل الى انجلترا يشعر بأنه فى وطنه • اننا نقيم فى فندق صغير ، ريثما نسافر الى لندن ، من النوع الذى كتب عنه ديكنز وواشنجطون ايرفنج ، أرجو أن تخبرى والدى بأنى سلمت خطابه للمستر «ميرشزون» الذى استقبلنى بحرارة • اننى متلهف جدا لرؤية لندن •

خطاب آخر لاليزابيث آبلى :

ان انجلترا تشبه نيوانجلند الأمريكية ، ومناظر الريف التى أشاهدها من نافذة القطار تشبه مناظر الريف عندنا • ولندن ذاتها تشبه بوسطن بصورة أكبر وان كان الجو فى بوسطن أفضل ، وقد تكون حديقة هايدبارك فى لندن أكبر من الحديقة العامة فى بوسطن ولكن لا أظن أنها أجمل منها ، كل ما فى الأمر أن فى لندن ميادين وشوارع وأندية أكثر مما فى بوسطن ، لقد نزلنا فى فندق (شيزويك) وكان هذا باعثا على سرورنا اذ سرعان ما قابلنا فيه كثيرا من الأصدقاء وكان من بينهم البروفوسور (بروكين) والسيدة قرينته (وينتروب فاسال) وأمه واخته وأسرة (سيلرز) ومس (مارى كوفين) وقد جاءوا كلهم من أمريكا ليقوموا بجولة فى العالم ، ان اجتماعنا هنا يشبه ندوة عائلية ، سيذهب ستة منا غدا مع زوجة خالى مسز برنت لزيارة المعارض ، وكاتدرائية وستمنستر ، وبرج لندن أما خالى « هوراشيو » فانه سيكون مشغولا فى بعض الأعمال •

ان روح البهجة التى تشيع فى هذين الخطابين تبعث على الاعتقاد بأن الهدف منها هو التسرية عن اليزابيث آبلى وادخال الطمأنينة فى نفسها ، وقد كان جورج كثير التفكير فيها بسبب ما علمه من مرضها ، والدليل على ذلك أنه بعث الى اخته (جين) خطابا يفيض بالتعس والحزن وقد جاء فيه : ـ

(كنت أود أن يكون مزاجى أكثر اعتدالا لكى أستطيع أن أستمتع بالمناظر التى حولى ولكنى أراها تمر أمامى كأنها أشباح أحلام ، ان عقلى مشحون بموضوعات أخرى تشغله حتى انى أتخيل نفسى أسير

www.ibtesama.com

من غير وعى ، لقد كان خالى « هوراشيو » رقيقا جدا معى وقد أخذنى الى المسرح (ليلة أمس) ٠

خطاب الى توماس آبلى :

سلمت خطاب ابن عمى جون الى السـير توماس ، وقد دعانى فى اليوم التالى لزيارة بيته فى الريف ، وقد صحبنى خالى « هوراشيو » لأنه يعتقد أنى أكون فى حالة أفضل حينما لا أكون وحيدا ٠

اننى احترم رأيك ولكننى لم أغير رأيى ٠

خطاب لاليزابيث آبلى : ـ

أمى العزيزة ٠٠

أخذتنـا مس (كوفين) فى نزهة فى نهر التيمس وكانت هذه فرصة طيبة لكى نقارن كثيرا من المناظر التى شاهدناها بالمناظر التى تقع على شاطىء نهر (تشارلس) الذى يمر بمدينة بوسطن ٠٠٠ سنسافر الى باريس غدا ٠

خطاب الى اليزابيث آبلى :

أمى العزيزة ٠٠

نزلنا فى فندق (متروبول) فى باريس ، وكم يبـدو العـالم صغيرا ضيق المساحة ٠ لقد قابلنا فى الفندق كثيرين من أصدقائنـا فى بوسطن ، منهم الدكتور (جيسوب) وقرينته و (جين سيلبى) وخالتها ، وأسرة (موروز) وأخبرتنى زوجة خالى بأن فنـدق (متروبول) من الفنادق القليلة فى باريس التى يستطيع المرء أن يطمئن مقدما الى أنه سيقابل فيه أناسا من طرازه ٠ لقد اتفقنا جميعا على أن نقوم بجولة بعد ظهر اليوم فى شارع الشانزليزيه ، وقد يسرك أن تعلمى أن كثيرين من سائقى سيارات التاكسى والندل (الجرسونات) فهموا حديثى بالفرنسية معهم ٠٠٠ حدث شجار بين خالى « هوراشيو » وبين سائق التـاكسى بسبب الأجرة لأن خالى يعتقد أنه لا ينبغى أن يدفع « بقشيشا » تزيدّ قيمته على عشرة فى المائة من قيمة أجرة « المشوار » سـنذهب غدا مع المسز (جيسوب) لزيارة متحف اللوفر حيث أتوق لرؤية الصورة الفنية المشهورة (موناليزا) ٠

www.ibtesama.com

خطاب لزميله فى الدراسة (ووكر) :

عزيزى مايك ..

حسنا .. هأنذا فى باريس ، وكنت أود لو أنك كنت هنا أيضا .. قابلت صديقنا (وينتى) فى لندن وتحدثنا معا بعض الوقت عن النادى ، لقد سمعت كثيرا عن جمال الفتيات الفرنسيات ولكنى أصبت بخيبة أمل حينما رأيتهن .. تستطيع أنت وانا أن نرى عشرات أجمل منهن فى شارع (تريمونت) فى بوسطن .

خرجت أنا وخالى « هوراشيو » والدكتور « جيسوب » فى المساء عدة مرات لرؤية « المدينة » ودخلنا عدة مسارح . ليس هناك شك فى أن الفرنسيين قوم غير أخلاقيين ، ويبدو أنهم يعشقون الخلاعة والمجون ، ان خالى والدكتور جيسوب يقولان : انهما سعيدان بهذه الاجازة ، وقد تعلمت الكثير من الجيل القديم ، أقول لك مرة أخرى انى أتمنى لو كنت معى هنا .

خطاب لاليزابيث آبلى :

أمى العزيزة ..

لقد شاهدنا كل معالم باريس .. أعجبتنى جدا لوحات الرسام المشهور (روبنز) المعروضة فى متحف اللوفر ، كما أعجبتنى كاتدرائية (نوتردام) والشوارع المتعرجة على الجانب الأيسر من نهر السين ، ويخجلنى أن أقول انى لعبت لعبة صبيانية .. بعض الشىء ، فقد كنت قرأت رواية (الفرسان الثلاثة) باهتمام شديد وحينئذ حاولت أن اقتفى آثار أبطالها (آتوس) و (بورتوس) و (أراميس) فى شوارع باريس التى جعلها « ديماس » مؤلف الرواية مسرحا لنشاطهم ومغامراتهم وكانت هذه وسيلة جيدة أتاحت لى الفرصة للتعرف أكثر بالمدينة وأسرارها ، وقد سر خالى « هوراشيو » والدكتور « جيسوب » بهذه الفكرة ، ونحن الآن نطلق على أنفسنا اسم (الفرسان الثلاثة) سنزور غدا (فونتبلو) التى ودع فيها نابليون حرسه القديم .

اننى أحب فرنسا بصفة عامة ، فالقوم هنا ظرفاء ولكنهم قلقون جدا الى درجة ربما تثير النفور ، ولقد استفدت جدا من الرحلة وسأعود الى الوطن وأنا فى غاية السرور .

خطاب الى زميله فى الدراسة (تشيكرنج) :

www.ibtesama.com

« لقد أوشكت رحلتى فى أوروبا على الانتهاء ، ولقد رأيت أشياء كثيرة فى انجلترا وفرنسا ، والشىء الذى أدهشنى هو تشابه المناظر فى كل مكان وكنت أشعر طوال الرحلة كأن جزءا من بوسطن معى ·

من الغريب أنه بدلا من أن نتأثر بمختلف الثقافات فاننا نجحنا فى نقل ثقافتنا الى كل مكان رأيناه ، اننى جد مقتنع وسوف تقتنع أنت أيضا فى الوقت المناسب بأن ثقافتنا وقيمنا الأدبية أفضل بكثير وأجمل من كل ثقافات الشعوب وقيمها ، هنا أعثر على شخص بوسطنى (نسبة الى مدينة بوسطن) وحينئذ تجد أنك عثرت على مواطن عالمى ·

وقد عاد جورج آبلى الى بوسطن ومعه كراستان مملوءتان بالمذكرات والملاحظات عن رحلته فى أوروبا ، واذا كنا قد أسهبنا بعض الشىء فى سرد ما جاء فى الخطابات السالفة الذكر فقد كان الهدف من ذلك ايضاح أفكار جورج آبلى ومشاعره والقاء الضوء على تطور شخصيته ·

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com

الفصل العاشر

كلية الحقـــوق

عاد جورج آبلى الى بوسطن من رحلته فى أوربا فى أواخر شـــهر سبتمبر ، وقد تحسنت صحته ، لكى يلتحق بكلية الحقوق بجـــامعة هارفارد بعد أن أمضى فى الجامعة مدة عام فى دراسات تمهيدية ، ولكى يتبوأ أيضا مركزا مرموقا فى المجتمع • وتحقيقا لهذا الغرض الأخير بدأ والده « توماس آبلى » يقيم مساء كل يوم جمعة فى دار الاسرة بشـــارع بيكون حفلات عشاء لكبار رجال المال والأعمال من أصدقائه ، لكى يتيح لابنه فرصة الاجتماع بهم والتحدث اليهم والتعرف بهم •

وقد بعث اليه أحد هؤلاء الرجال خطابا هذا نصه : ــ

خطاب الى جورج آبلى المحترم ، من توماس بويلستون : ــ

عزيزى جورج :

تبين لى ، من حديثى مع والدك فى النادى ، أنك قد تود أن ترشح نفسك فى انتخابات مجلس ادارة جمعية بوسطن للأطفـــال المشردين ، والواقع أننا نتوق الى تطعيم هذا المجلس بدماء جـــديدة ، وأنت تعرف من غير شك مدى اهتمام أسرة آبلى بهذه القضية •

وربما لا أكون فى حاجة الى القول : ان جمعية بوسطن للأطفـــال المشردين قد أنشأها (نيكولاس براتل) عام ١٨٠٢ للعناية بأطفال هذه المدينة المحرومين من الحماية والرعاية ، وقد استطاعت الجمعية أن تقوم بواجبها نحو كثير من هؤلاء الأطفال الذين لا ذنب لهم فيما يقاسونه من آلام وتشرد ، وقد أصبح لزاما على القطاع الأفضل حظا ، من ســـكان مدينة بوسطن ، ان يمد لهم يد الغوث والمساعدة •

وقد انتخب جورج آبلى عضوا فى مجلس ادارة النادى فى شهر يناير عام ١٨٨٨ وفى الوقت نفسه وصـــله خطـــاب آخر له قيمته ومغزاه : ــ

www.ibtesama.com

خطاب من (مينوت بيكنز) الى جورج آبلى : ـ

عزيزى جورج :

ان بعض أصدقائك ، وأنا من بينهم ، يودون أن يعرفوا اذا كنت تريد أن تصبح عضوا فى نادى (بيركلى) ولعلك تعرف أن هذا النادى يعتبر مكانا يلتقى فيه أناس لهم مركزهم فى المجتمع مثلك وتجمع بينهم أواصر الصداقة والمودة ، وترفع من بينهم أسباب الكلفة .

ونادى بيركلى ليس فى حاجة الى التعريف ، وقد أنشـــأه فى أول الأمر جماعة من رجال الفن والأدب بقصد تمضية أوقات فراغهم فيه ، ثم نما واتسع نطاقه وأصبح يضم كثيرين من شباب المحامين ورجـال الأعمال ، وراعية النادى هى « أورورا » الهة الفجر ، رمزا للســـهرات التى يقيمها الأعضاء فيه وتمتد حتى ساعة متـــأخرة من الليل ، وهى سهرات تقام فى خلالها حفلات الغناء والتمثيل ويستمتع فيها الشـباب بوقت طيّب يسوده السرور والبهجة .

خطاب من توماس آبلى من نيويورك فى يناير سنة ١٨٨٨ : ـ

عزيزى جورج :

يبدو أنه ينبغى أن يغادر الانسان منزله لكى يعلم أنباء عن المنزل، ففى أثناء حفل غداء أقامه بعض أصدقائى من رجال الأعمال سمعت بعض اشياء عن نشاطك فى نادى (بيركلى) من شاب يمت بصلة القرابة الى أحد المدعوين فقد قال : ـ

« انه أقيم هناك حفل ارتديت فى خلاله ملابس (روبين هود) ثم خرجت مع بعض أصحابك الى شارع (تريمونت) وكانوا هم أيضـــا يرتدون ملابس مماثلة .

ولست أقصد بهذا الخطاب توجيـــه اللوم اليك أو تقريعك فاننى أغبط نفسى لأنى واسع الأفق فى مثل هذه المسائل ، وقد كنت أنا نفسى شابا فى يوم ما ، وكنت أعمد الى بعض ما يعمد اليه الشباب من أعمال اللهو والتسلية ، ولكنى أقول لك انه ينبغى أن يكون الانسان حذرا فى اختيار رفقائه فى مثل هذه المناسبات بحيث يكونون من طبقتـــه وبيئته .

ان نادى (بيركلى) مكان يبعث على البهجة حقـــا وقد تصبح له فى المستقبل مكانة اجتماعية مرموقة اذا أخذنا فى الاعتبار مركز أعضائه الذين انضموا اليه أخيرا ، ولكنه فى الوقت الحاضر لا يثير اهتماما جديا

www.ibtesama.com

عن جانب المجتمع ، وكما قلت لك لقد سرنى أنك تمضى وقتا ممتعـــا ولكنك وصلت الى مرحلة فى الحيـــاة تقتضى منك الالتفـــات الى بعض الاعتبارات ، وقد كنت أنوى أن أحدثك عن مسئولياتك ولكنى سأفعل ذلك حينما اعود من نيويورك ، ويجب أن تدرك أهمية المظاهر فى عالم الأعمال ، كما ينبغى أن تعلم أن النظام الاقتصادى فى بلادنا ليس متوازيا وأستطيع أن أتكهن بأنه سيتعرض لأزمات شديدة فى المستقبل القريب، ويجب أن أذكرك أيضا يا ولدى بأن اسمك مرشح لنادى الاقليم ، وأن الجميع يرقبون تصرفاتك • تستطيع أن تســـتخدم أى الجوادين اللذين عندى وأية عربة تشاء •

خطاب من وليام آبلى فبراير ١٨٨٨ :

ابن أخى العزيز :

اخبرنى والدك حينما كان فى مصانعنا فى الأسبوع الماضى أنه يريد أن تعمل هنا فى المصانع فى خلال الصيف القادم ، وأعتقـــد أن هذه فكرة جميلة ، وينبغى أن تكون موضع اهتمامك بصورة جدية ، ولكن يجب أن تعلم أنك اذا كنت قد ولدت وفى فمك ملعقة من ذهب فان هذا لا يعطيك أية امتيازات هنا ، وانى أود أن تزورنى فى مكاتبنـــا فى بوسطن فى المرة القادمة التى أحضر فيها الى المدينة •

وحينما حل صيف عام ١٨٨٨ وجد جورج آبلى نفســـه مقبلا على دور جديد من أدوار حياته ، فقد بدأ يعمل مع عمه وليام آبلى فى مصانعه ببلدة (آبلى فولز) وقد كتب جورج آبلى فى هذا الشأن فيما بعد لابنه (جون) يقول : —

ان هذه التجربة كانت مفيدة له ، وانه (اتيحت لى الفرصة لكى أختلط بالعمال العاديين ، وكان معظمهم أناسا طيبين وقد علمونى الشىء الكثير عن طبائع الشعب وأحواله ، ولم يعرف أحد فى المصانع حقيقـــة مركزى سوى رؤساء العمال وكان من بواعث سرورى ، عقب انتهـــاء العمل ، أن أجد طعاما جيدا وفراشا وثيرا فى دار عمى ، ويجب أن أعترف بان العمل فى مصانع القطن ليس شاقا أو متعبا ، وتمضية فصل الصيف فيها لا ينطوى على أى ضرر ، وأتمنى أن تفعل ذلك أنت أيضا) •

وفى خلال المرحلة التدريبية ، التى أمضاها جورج آبلى فى المصانع اشترك فى عقد ما يعتبر أول صفقة تجارية فى حيـــاته تقريبا ، وقد عرف منها مدى العبء الذى يحمله أعضاء الأسرة الكبار فوق كواهلهم •

www.ibtesama.com

ومن الخطابات التى أسلها وليام آبلى الى ابن أخيه نعلم أنه بعث به الى بوسطن ليحاول شراء كميات من القطن للمصانع ٠

خطاب الى جورج آبلى من وليام آبلى : ـ

عزيزى جورج ٠٠

بخصوص أمر التسليم رقم ٤١١٧ الذى تحدثت معك بشأنه ، قبل أن تذهب الى المدينة ، أفيدك بأن المصانع فى حاجة الى ٢٠٠ بالة قطن من النوع الجيد التيلة ، ولهذا فانى أرجو أن تنزل فى سوق بوسطن لبحث شراء هذه الكمية من القطن بثمن معقول ، وأريد أن أذكرك بأن كل سنت أو جزء من السنت يضاف الى المواد الخام أو أجور العمال يقلل من أرباحنا ، وكان آخر سعر دفعناه من هذا النوع من القطن هو ٦٧/١٦ من السنت ، وعلى حسب تقديرى للظروف الحالية فى السوق فانى أعتقد أن هذا السعر يتأرجح الآن حول رقم ٦١٣/٣٢ من السنت يضاف الى هذا أن هناك الآن اتجاها كبيرا نحو العرض ، مما يترتب عليه انخفاض الأسعار ، كما انى علمت أن مصانع (كوانست) قللت طلباتها من القطن فى هذا الأسبوع مما يؤدى الى هذه النتيجة نفسها ٠

وانى أقترح أن تحاول أولا شراء صفقة القطن من شركة (فوربس وولده) فاذا وجدت أن من الصعب التعامل معها فاتجه حينئذ الى شركة (كابوت وستيل) ولكن لا ترتبط بأى شىء وكل ما تفعله هو أن تأخذ فكرة عن الحالة وينبغى أن أسترعى نظرك بضرورة توخى الحذر الشديد فى معاملة المستر (ستيل) ٠

وانى أقدم لك هذه النصائح لأن هذه هى أول فرصة تتاح للتعامل فى السوق ، وانى أؤمل أن تثبت أنك ورثت شيئا من صفات أسرة آبلى ، وهى الصفات التى يمثلها والدك وجدك خير تمثيل ، والتى قد تجعلك فى النهاية عضوا صالحا فى دوائر الأعمال فى بوسطن ٠

المخلص

وليام آبلى

حاشية ٠٠ اذا كلفت شركة (فوربس وولده) المستر «جيسوب» لعقد الصفقة معك فانى أخشى كثيرا أن يحاول استغلال صغر سنك للتأثير عليك ، ان هذا الرجل بارع فى الظهور بمظهر الصديق الذى يحمل الود ومن عادته أن يدعو ، من يريد أن يعقد معه صفقة ، الى فندق حيث يحاول التأثير عليه بالشراب ، فاذا حدث مثل ذلك فانى أرجو

www.ibtesama.com

الا تتناول غير كأس واحدة أو كأسين ، اذ أنى أعلم أن تبادل الشراب هو (المودة) فى المجتمع ، ولكن بعد هذا ارفض بأدب الارتباط بأى شىء أو عقد أية صفقة حتى صـــباح اليوم التالى · لا ترتبط بأى اتفاق الا اذا كنت قد شربت الماء القراح فقط ·

ولم تكن المهمة التى ألقيت على عاتق جورج آبلى سهلة · والخطاب التالى ، الذى أرسله وليام آبلى الى ابن أخيه يشير الى أن جورج آبلى لم يوفق فى هذه المهمة ·

عزيزى جورج ··

وصلت الينا اليوم من شركـة (فوربس وولده) مائتا بالة من القطن بسعر ٧٣/٤ سنت ، وهذه أسوأ صفقة عقدتها مصانعنا منذ الحرب الأهلية ، لقد أمضيت اليوم فترة من الوقت فى (عنبر) فرز الاقطان وقد فحصت تيلة القطن فى كل من البـــالات المذكورة بمســـاعدة (أوشـــوينسى) خبير فرز القطن ، وقد أزعجنى أن يدرك أن أحد أفراد أسرة آبلى يعقد مثل هذه الصفقة الرديئة !

ويخيل الى انك لم تفحص هذا القطن قبل شرائه ، وكان ينبغى أن تدرك ، مما تعلمته فى الفترة التى أمضيتها فى المصانع فى خلال هـذا الصيف ، أن طول التيلة له أهميته فى جودة الصناعة ، وأعتقد أن المستر « جوسيب » استطاع التأثير عليك وأنك لم تكن فى حالة تســـمح لك بفحص التيلة والتحقق من طولها ، وأريد أن أذكرك بأن أى ربح حققته أسرتنا من مصانع النسيج التى تملكها (وهو ربح يقل بالتدريج بسبب المنافسة القاتلة فى ميدان الانتاج واستمرار العمال فى المطالبة بزيادة أجورهم) انما يرجع الفضل فيه الى اهتمامنا الدائم بمثل هذه التفاصيل التى قد تبدو لك صغيرة تافهة ·

اذا رأيت المستر (سولتر) فى جمعية بوسطن لاغاثة الأطفـــال المشردين فأرجو أن تخبره بأنى سأرسل اليه المبلغ المعتاد الذى أساهم به فى نشاط الجمعية ، وهو خمسة عشر ألف دولار ·

وقد كان لهذه التجربة أثر عميق ودائم فى نفس جورج آبلى ، حتى اننا نجده يكتب فيما بعد لابنه (جون) يقول :

« ان الاشياء الصغيرة هى التى تؤدى الى أعظم الأشـــياء ، وليس هناك ما يؤلمنى قدر عدم مبالاتك بالمبالغ الصغيرة من المال ، وقد عرفت أهميتها من عمك الكبير وليام آبلى ، ويجب أن تتعلم مثله أنه لاشىء يعدل

www.ibtesama.com

البهجة التى يشعر بها المرء من انفاق المال بحكمة وتعقل ، ويجب الا يكون فى هذا العالم مكان للذة الشخصية كما أن هذا لا ينبغى أن يكون من صفات الناس الذين لهم مثل مركزنا » ٠

وحينما دخل جورج آبلى كلية الحقوق كان قد بدأ ينضج بسرعة ، وكان أبوه يراقبه عن كثب ، وقد كتب أبوه فى هذه الفترة خطـــابا من نيويورك الى زوجته اليزابيث قال فيه : ـ

« سرنى أن أعلم منك أن جورج يواصل دراسته بجد واهتمام ، وانه يبدو هادئا مستقرا ، ودعينـــا نؤمل معا أن تكون الهفـــوة التى ارتكبها هى الوحيدة فى حياته وأصبحت مجرد ذكرى من ذكريات الماضى٠ لا أدرى لماذا يبدو شباب هذه الأيام أشد اسرافا وأقل استقرارا مما كان عليه جيلنا ٠ أرجو أن تكون (جين) أسعد حالا مما كانت عليه أخيرا ٠٠ ان شقيقتها الكبرى (اميليا) هى فى الواقع عضو الأسرة التى كان ينبغى أن تكون ولدا وقد اغتبطت حينما سمعت ان جورج قد زار اسرة (كاترين بوزورث) ٠

ان الاعمال التجارية هنا تجتاز مرحلة صعبة جدا ، ورجال البنوك فى حى دوائر الاعمال فى شارع (وول ستريت) لا يشعرون بالاستقرار، ولديهم فكرة مبالغ فيها جدا فيما يتعلق بنمو هذه الأمة فى المستقبل ، اننى سأظل فى نيويورك لمدة ثلاثة أسابيع على الاقل ٠ اذا كانت الطاهية تريد زيادة مرتبها بمقدار دولار فى الأسبوع فالأفضل أن تطرديها من العمل ، ان المرء يشعر بالضيق من كثرة مطالب قطـــاع العمال بزيادة الأجور ، وقد دهشت من الحاح خادمات المنزل فى تدفئة الطابق العلوى٠ حينما كنت صغيرا لم تكن فى غرفة نومى أية وسائل للتدفئة وأعتقد أن هذا كان حالك أيضا ٠

وكان اهتمام جـــورج آبلى بالدراســـة فى كلية الحقوق يتزايد باستمرار ٠ وفى الصيف التالى توجه الى عمه فى مصانع « آبلى فولز » لكى يعمل ، وقد قبل الاستفادة من خدماته كارها ٠ ان عين عمه الخبيرة ومنطقه العملى الرقيق كانا قد ادركا حقيقة مواهب جـــورج ، وقد كتب لأخيه توماس آبلى خطابا فى هذا الشأن جاء فيه :

« لقد أمضيت الجانب الأكبر من حياتى هنا أزن أقدار الرجال ، ان رؤساء العمال والموظفين الذين اخترتهم للعمل برهنوا على أنهم أكفاء ولقد رأيت جورج ، ولا أعتقد أنه يصلح لأن يكون رجل أعمـــال ، واذا

www.ibtesama.com

خلفني هنا في مصانع « آبلي فولز » فان أرباح المؤسسة ستتدهور باستمرار ، انه يتمتع بحب العمال ولكنه سهل الانقياد ، انه ، كمشتر للقطن ، تنقصه البراعة اللازمة في المساومة ، وكبائع ، تنقصه المرونة كما أنه تنقصه المقدرة على ادراك مقاصد الطرف الآخر .. ويؤسفني أن أقول ان في جورج « عرقا ضالا » وقد عرفت بالتجربة أن من يخطىء مرة فانه يميل بعد ذلك الى تكرار الخطأ ، ومن رأيي انه ينبغي أن يقصر نشاطه على العمل في مكتب للمحاماة من غير أن تلقى عليه مسئوليات كبيرة ، وأعتقد أن جورج سينجح في المحافظة على أموال الآخرين اكثر مما ينجح في المحافظة على أمواله الخاصة » .

أما كيف اتبع توماس آبلي نصيحة أخيه فهذا ما سوف نراه في مكان آخر ولكنه على أي حال طلب من أحد الكتاب في مدينة بوسطن ، ولن نذكر اسمه ، أن يكتب مقالا في هذا الموضوع ، وقد جاء في هذا المقال: « انه يبدو أن الرجال الذين ينتمون الى جيل توماس آبلي ، والذين عاشوا في عهد التجارة الذي تميز بالتقلب وعدم الاستقرار ، يميلون الى الحط من مقدرة أبنائهم والتقليل من شأنهم ، وان القول بأن الأموال التي آلت الى أبناء هذا الجيل قد أضعفت مواهبهم يجافي الواقع ولا يطابق الحقيقة، وكل ما يمكن ذكره في هذا الشأن هو أن هؤلاء الشبان الذين آلت اليهم هذه الثروات والذين أصبحوا من نجوم المجتمع البارزين لم ترغمهم الظروف على تحمل أعباء الادارة المالية لممتلكاتهم ، ولكنهم مع ذلك لم ينكصوا على أعقابهم فيما يتعلق بواجباتهم نحو الناس ونحو المجتمع وظلت حياتهم بسيطة مريحة واضحة ، وظل حبهم للخير والاحسان لا يتحول ولا يتغير ، أما شغفهم بالفنون والموسيقى والكتب فلا يجاريهم في العالم أحد فيها » .

www.ibtesama.com

الفصل الحادى عشر

الزواج

لقد أصبح جورج آبلى يتمتع بثقة الرجال ، وكان فى ذات الوقت قبلة أنظار النساء • ان العواطف ومزالق الحب التى تجد مرتعا خصبا لدى بعض العناصر الطيبة فى قطاعات كبيرة من هذه البلاد ليست ، لحسن الحظ ، جزءا من أفضل تقاليد بوسطن • فالزواج هنا أصبح من التقاليد الثابتة التى لها جلالها ولها قداستها وبهجتها •

وفى شهر فبراير سنة ١٨٩٠ أعلن المستر جيمس بوزورث والسيدة قرينته نبأ خطبة ابنتهما كاترين لجورج آبلى ، وهى خطبة تقوم على أساس سليم ليس فقط من ناحية الثروة ، ولكن أيضا بتوافق الذوق والمشارب والطباع • لقد لعبا معا فى سنوات طفولتهما ، وسارا معا فى مدارج الشباب ، وكل منهما تلقى تربية سليمة جعلت منهما ندين متكافئين متفاهمين •

وقد بعثت المسز جيمس بوزورث والدة كاترين ، بخطاب الى جورج آبلى تعرب فيه عن مشاعرها تجاه هذا النبأ السعيد ، هذا نصه :

عزيزى جورج :

لقد أخبرتنى كاترين اليوم بهذا النبأ العظيم بأحلى أسلوب ، فقد قالت لى اننا سنفقد ابنة ولكننا سنكسب ابنا • وبالطبع حينما قالت اننا سنفقد ابنة فانها كانت تمزح • فلا أبوها ولا أنا نستطيع التسامح ازاء فقد من نعتبره أغلى من الحياة نفسها • ولكنها كانت تقصد ببساطة أنك ستصبح عضوا فى أسرتنا وتنضم الى جمعنا السعيد • ان زوجى جيمس يعد التدابير اللازمة الى تحويل الدار التى تقع فى ضاحية «مالبورى بيتش» الى منزل جميل صغير لكى تستطيع أنت وكاترين أن تبدآ فيه حياتكما فى هذا الصيف وانتما على مرمى حجر منا •

واننى مصممة على هذا ، وانا واثقة من أنك ستفهم غرضى • فانت

www.ibtesama.com

ابن أمك ، ولا بد أنك تملك ما تستمتع به من رقة واحساس مرهف ، وعلى هذا فاننى واثقة من أنك ستقبل عن طيب خاطر أن تقيم كاترين على مقربة منا ، لأنها وان تكن قوية وتستمتع بصحة طيبة ، الا أنها لاتطيق الابتعاد أو الاستغناء عنا • اننى أعرف أنك لن تقبل أن ننفصل بعضنا عن بعض وهذا ما يسر جيمس ويسرنى •

خطاب الى جورج آبلى من جيمس بوزورث :

عزيزى جورج :

اننى ما زلت متأثرا بحديثنا الاخير ، اذ أن حبى لكاترين يفوق حبى لأى شىء آخر • ولكن مخاوفى زالت بعد أن أكدت لى أنكما لن تبتعدا عنا وانكما ستقيمان بجوارنا فى الضاحية القريبة •

ان حديثنا العملى ، بالاضافة الى الرسالة التى تلقيتها من والدك ، كانا موضوع رضائى التام • ان هدفنا المشترك هو أن نجعلكما ، أنتما الاثنين ، تعيشان حياة طيبة مريحة ، ولكن بسيطة لاتعقيد فيها ، وأشعر بأننا نستطيع اتخاذ الترتيبات الضرورية فى هذا السبيل •

ومن بين الخطابات الأخرى الكثيرة التى تلقاها جورج آبلى من أفراد أسرته وأصدقائه ، وهى كلها تعبر عن السرور الصادق والتهنئة الحارة بهذه الخطبة الموفقة ، نجد من حسن الحظ خطابا من والده بعث به من نيويورك حيث كان يقوم ببعض الاعمال التجارية ، كما كان يفعل دائما فى تلك الاعوام :

عزيزى جورج :

وصلنى خطابك صباح اليوم فى فندق (بارك أفنيو) حينما كنت على وشك أن أغادره فى طريقى الى شارع (وول ستريت) • وكنت أود أن أكون معك الآن لكى أبلغك سرورى العظيم الذى أسطره لك الآن على الورق • لقد كنت أشعر دائما بأن أسرة آبلى متينة الأساس •

ان كاترين ، التى أتطلع الى تهنئتها ، والاعراب لها عن ابتهاجى ، كانت تبدو دائما فى نظرى فتاة نبيلة ، وان نظرتكما المشتركة الى الأشياء واتفاق مشاربكما وتماثل طباعكما سيضمن عدم حدوث أى احتكاك بينكما ، وسيوفر لكما دائما جوا من التفاهم والوفاق ، ولقد برهنت أيضا على أنك تملك حاسة الذوق السليم لانك أدركت أن الجمال هو مجرد بشرة أو جلد ، وان هناك عناصر أهم تقوم عليها أسس الرابطة الزوجية •

www.ibtesama.com

ان الدخل الذى آل اليك من وصية جدتك ، والذى يستغل الآن فى أسهم السكك الحديدية المضمونة ، فيما عدا بضعة آلاف من الدولارات التى اشتريت لك بها منذ بضعة أعوام أسهما فى مشروع التليفون ·· وسأعيدها اليك اذا ما تبين أن هذا الاقتراح غير ناجح ، سيضمن لك حياة مستقرة · وبالاضافة الى ذلك سأستمر فى منحك جزءا على الاقل من المرتب الذى أدفعه لك ·

هذا ، وسأقدم لك أحد منازلى الثلاثة فى شارع (جلوسستر) هدية لك بمناسبة الزواج · ولكيلا أجعل الامور سهلة جدا ، فقد قررت ان أرهن هذا المنزل لقاء مبلغ صغير من المال ، وقد قبل عمك أن يدفع قيمة الرهن ، وعليك أن تدفع له قيمة الفوائد ·

وقد حان الوقت لكى تلقى بنفسك فى خضم ميدان الاعمال ، وسأحدثك قريبا عن منصب قانونى سوف تتولاه · وقد سرنى أن أسمع من كثيرين من الرجال الذين هم أكبر منك سنا أنك كنت عند حسن ظنهم ، وأن اسمك سيدرج قريبا ضمن أعضاء نادى الاقليم ·

وقد ترامت الى سمعى أخيرا شائعات مزعجة مؤداها أن النية متجهة الى انشاء سد على نهر (تشارلس) ، وهذا يعنى أن المنازل التى كنت أستمتع برؤيتها من دارنا بشارع «بيكون» ستغمرها المياه · وهذا مثل واحد من الأمثلة على الاعتداءات المستمرة على حقوق الافراد الذين استمتعوا واستخدموا أموالهم بحكمة فى انشاء المنازل · يجب عمل شىء لوقف هذه المهزلة فورا ، وسأتحدث معك فى هذا الموضوع حينما أعود ·

ان الفقرة الاخيرة من هذا الخطاب التى تشير الى مشروع سد نهر (تشارلس) ، وهو المشروع الذى نفذ وتحولت بفضله المنطقة الواقعة جنوبى النهر الى شبه بحيرة متلألئة ، قد تبدو غريبة الى حد ما فى الوقت الحاضر · وقد لعبت هذه الفقرة دورا هاما فى حياة جورج آبلى ، وان يكن محزنا بعض الشىء ، كما سنرى فى الفصل الآخر ·

أما الآن فينبغى علينا أن نلتفت الى جانب أبهج ، فننشر رسالة بعثت بها اليزابيث آبلى الى زوجة ابنها المقبلة :

حبيبتى ·· حبيبتى ·· كاترين :

لقد أخبر ولدى العزيز جورج حبه الأول ، أمه ، بالنبأ السعيد هذا الصباح لقد أبلغنى ذلك برجولة ، وببساطة ، وبروعة ، كنت أتمنى لو

www.ibtesama.com

كنت حاضرة لكى تسمعيه بنفسك • فقد جاءنى وكنت واقفة الى جانب النافذة وقال لى :

« يا أمى ، أظن أنه يسرك أن تعرفى أن كاترين بوزورث قد وافقت على أن تصبح زوجتى » • وبالطبع كان أول شىء أفعله ياعزيزتى كاترين (وأى امرأة لا تفعل مثل ذلك ؟) هو أن أطلق العنان لبعض الدموع ، حيث أحسست بأن تغيرا جوهريا سيطرأ على حياة ولدى العزيز ، ولكن معظم هذه الدموع كانت دموع الفرح •

أما باقى الدموع فهى دموع حمقاء تفضح ضعف أم تشعر بأن عشها قد كسر وان طيرها الصغير الغالى سيطير منها • ولكن حينمـا أحضر الى جورجى العزيز كوبا من الماء ، تذكرت ، كمـا أرجو أن تتذكرى ، أن جورجى يكره الدموع ، وأدركت اننى كنت حمقاء • ولم يكن فى وسعى الا أن أقول لنفسى اننى لن أفقد ابنا ، وانما سأربح ابنة عزيزة ، جميلة، حلوة ، أجل ، اننى عرفت جيدا أنك لن تأخـذى جورجى منى ، لانه لا يوجد شىء يسـتطيع أن ينزع حب الام لابنها وأعلم أنك ستدعين جورجى يرانى كثيرا لكى نتحدث ونضحك كما كنا نفعل من قبل • اننى أعرف انك تدركين أن جورج ابن حساس فى حاجة الى فهم أمه ورعايتها• وأعرف أنه ينبغى عليك أن تحبى الاشياء نفسها التى أحبها فى جورج ، وينبغى علينا ، أن نشترك فى هذا الحب •

حبيبتى •• حبيبتى •• كاترين ، هل لك أن تأتى لزيارتى بعـد ظهر اليوم لكى نتحدث معا حديثا وديا هادئا ، ان هنـاك أشياء كثيرة تستدعى أن أرويها لك عن جورج •

وقد انهالت على جورج آبلى خطابات كثيرة من أقاربه وأصدقائه ، وكلها تفيض بالبهجة والتهنئة ، ولكن خاله (هوراشيو برانت) بعث اليه بخطاب تختلف نغمته بعض الشىء :

عزيزى جورج :

ينبغى على أن أهنئك على زواجـك من كاترين بوزورث ، ولـكنى أتساءل عما اذا كنت تعرف حقا معنى الزواج • انه ، ياولدى ، مهمـة جسيمة ، ولا سيما فى بوسطن وتذكر ياجورج أنك لن تتزوج فقط زوجة ولكنك ستتزوج فى الوقت نفسـه كل عائلة زوجتـك • ومهما أحببت زوجتك فانك لن تستطيع مهما أوتيت من حسن النية وصدق الرغبة ، أن تحب كل هؤلاء الناس الغرباء الذين وضعهم القدر فى طريقك ، لا لشىء

www.ibtesama.com

الا لأنهم أقارب زوجتك • وأنت حســـن الحظ لأنك تعرف معظم أقارب زوجتك ، ولكنك بسبيل أن تعرفهم الآن على وجه آخر • اننى أخشى أن تصادف بعض الصعوبة فى أن تحب (بوزورث) العجوز • ولكن لا تدعنى أدخل القنوط فى قلبك •

ان ما يزعجنى بوجه خاص هو انى أخشى أنك لا تعرف شيئا كثيرا عن النساء ، ولقد كنت كذلك حينما تزوجت ، ولكنى الآن أعرف الكثير ، هذا فضلا على أنه كان لى بعض المغـامرات فى شبابى • وأعتقد أنه من الأفضل جدا أن تحضر الى النادى لتناول الغداء معى ، وان تدعنى أقدم لك بعض النصائح التى لاتنشر عادة فى الكتب ، وأحسب أنك ستكون فى حاجة اليها فيما بعد ، وأنا نفسى لم أهتم بالرياضة اهتماما جديا ، الا بعد أن تزوجت • اننى أرجو أن تذهب معى فى هذا الخريف الى (كارولينا) لصيد البط ، على أن نتوجه فى الربيع القادم الى نهر (موسكيج) لصيد سمك سليمان (السلومون) • ان أهم ما يفعله المرء فيما يتعلق بالزواج هو ألا يفكر فيه أكثر مما يجب •

خالك المحب

وقد بعث جورج آبلى بخطاب الى صديقه (ونيتروب فاسال) يضمنه مشاعره فى ذلك الوقت :

عزيزى وينتى :

أشكرك على تهنئتك لى بشأن قرب عقد قرانى على كاترين • اننى أعرف أنى سعيد الحظ جدا لأنها لاترى عيوبى • انها ألطف منى ، وأرق وأكرم ، وأذكى وأكثر احساسا • اننى مبهور من مشاعر العطف والمحبة التى يبديها كل النـاس نحـونا • الجميع مسرورون ، الجميع يريدون مساعدتنا وتقديم أية خدمة ، والواقع انه لايوجد فى العالم من هم أرق من سكان بوسطن • ان كل انسان يريد أن يقيم لنا حفلة شاى أو حفلة غداء • لقد أرسل لنا عمى ويليام هدية الزواج وهى عبارة عن ســجادة أثرية ثمينة يرجع عهدها الى القرن الرابع عشر ، ويجب أن أضعهـا فى مكان أستطيع رؤيتهـا فيه دائما لفرط روعتهـــا • وأرســـل لى خالى «هوراشيو برنت» زوجا من كلاب الصيد البرية الايرلندية ، ولا أعرف أين سأضعهما ، وخاصة بأن كاترين لا تحب الكلاب •

وأرسلت لى عمتى هانكوك ، مائدة لحجرة الطعام ، وهكذا •• ان الزواج مهمة جسيمة حقا • لقد حددت كاترين اليوم السابع عشر من

www.ibtesama.com

شهر يونيه موعدا لعقد القران · ان ما يخيفنى أكثر من أى شيء آخر هو انى ربما لا أرى أصدقائى القدماء كثيرا كما كان يحدث من قبل · اننا يجب أن نظل معا يا وينتى ، يجب أن تستمر علاقاتنا كالعـــادة أنت ومايك وتشيك وانا وجميع الاصحاب فى النادى يجب ألا نبتعـد بعضـــنا عن بعض ·

وقد أقام جورج آبلى حفلة عشاء لأقاربه وأصدقائه بمناسبة انتهاء عهد « العزوبية » ، وقد حضرها مؤلف هذا الكتاب ذاته ، وكانت المائدة تضم صفوة القوم · وقد أمر توماس آبلى،الذى أدرك أهمية الحفلة ، بتوزيع الشمبانيا من غير قيد أو شرط · وتبارى أصدقاء جورج فى العمل عـلى اضفاء جو من البهجة والمرح على الحفلة · فأخذ (فاسال) يروى قصصه المسلية التى لايجاريه فيها أحد ، وأخـــذ (ووكر) يلقى أغنيات بلغ من روعتها أن اشترك جميع الحاضرين فى ترديدها معه حتى «الجرسونات» · وكان يبدو على جورج فى خلال الحفلة شيء من الشرود والتفكير ، وقد كان هذا متوقعا بطبيعة الحال ، ولكن حينما ردد الجميع حول المائدة اغنيـــة «هل تنسى أصدقاءك القدماء؟ » دمعت عينـــاه ، وحينئذ هتف له الجميع تأثرا واعجابا · ولم يعكر صفو الحفلة سوى حادث ينطوى على التهور قام به أحد المدعوين ، فقد قفز من النافذة التى تقع فى الطابق الثانى دون مبرر ، فكسرت ذراعه وفقد سنتين من أسنانه الأمامية ·

وأقيمت حفلة عقد القران فى كنيسة شارع (أرلنجتون) · وقد بلغ اضطراب جورج فى خلالها أوجه ، وكان هذا شيئا متوقعا ، ولا ســيما حينما تقدم الى المذبح ليقابل عروسه · كان شاحب الوجه ولكنه أجاب عن أسئلة القس بصوت عال واضح قوى · وكانت كاترين تضع على وجهها نقابا من الحرير الموشى « بالدانتلا » وترتدى كما تقضى تقـــاليد الأسرة فستان الزفاف الذى سبق أن ارتدته والدتها وجدتها فى حفلتى زواجهما ولكنه أصلح لكى يناسب قوام العروس · ولما رفعت كاترين النقاب عن وجهها الجميل وسارت هى وزوجها عائدين من مكانهما عنـد المذبح فى طريقهما الى القاعة الكبرى كان يبدو عليهما الانشراح والسعادة ·

ان الزواج فى تلك الايام كان مسألة أخطر كثيرا مما هو عليه اليوم اذ أصبح من السهل حل رباط الزواج من غير عناء ولأقل الاسباب · وفى أيام جورج آبلى كان رباط الزوج موضع قداسة ، وكان حله لا يخطر على بال مطلقا بأى حال من الاحوال ، ولهذا فقلما كانت تحدث بينهما خلافات أو منازعات ·

www.ibtesama.com

وقد أبدت كاترين بوزورث رغبتها فى أن تمضى أسبوعين من شهر العسل مع زوجها فى مكان بعيد عن بوسطن لتتاح لها فرصة تغيير المناظر وقد اختـــارت لهـذا الغرض فنـــدق (نارانست) على ســاحل اقليم نيوهامبشاير ٠

وفيما يلى خطاب كتبه من هناك جورج آبلى الى مؤلف الكتاب :

عزيزى ويلى العجوز :

أشكرك كثيرا على كل ما فعلته من أجلنا ٠ اننى أشعر منذ الآن كما لو كان قد مضى على زواجى وقت طـويل ٠ اننى مسرور هنـا ، وكذلك كاترين على ما أعتقد ٠ ان أحدا لايعرفنا هنا تقريبا ، وانا وكاترين نمضى أيامنا نتطلع الى البحر فى حرية مطلقة ٠ ان كاترين تقول لى اننـا لم نعرف بعضنا بعضا حقـا الا حينما حضرنا الى هـذا المكان المنعزل ونحن نجول فى الصباح على شـاطىء البحر ، وفى خـلال أوقات الفـراغ أقرأ لكاترين شيئا عن (أمرسون) فى حين تنهمك فى تطريز أغطية للفراش ٠ انها تقول انه لابد لها من تطريز مائة وستين مربعا فى هذه الاغطية ، وهى لم تتم حتى الآن سوى تطريز ثمانية مربعات فقط ٠ ولما قلت لهـا انه سيلزمها وقت طويل للانتهاء من هـــذا العمل قالت ان الوقت طويل أمامها لكى تفعل ما تشاء ٠ وكانت على حق ٠

سنعود الى دارنا فى (مالبورى بيتش) ٠ فى الاسبوع القادم ٠ حضر الينا أمس المستر بوزورث وزوجته ، وهمـا يقيمـان معنـا فى الفندق نفسه ٠ وكاترين مبتهجة بحضور والديها لأن قضاء أسبوعين فى هـــذا المكان المنعزل ليس شيئا سهلا كما تتصور ٠

www.ibtesama.com

الفصل الثانى عشر

عمل رائع

لابد أن يكون شاطىء (مالبورى) قد ترك فى نفوس أطفال جورج آبلى أثرا عظيما يماثل الأثر الذى تركه فى مؤلف هذا الكتاب نفسه • فقد استمتعوا معا بجماله وسحره ، ورأوا جزره الصخرية ، وساروا كثيرا فوق أرضه ، سواء حينما كانت تغمرها أشعة الشمس أو حينما كانت تمرح فيها الرياح العاصفة ، ورأوا أفراد المجتمع الذين كانوا يترددون على هذا المكان فى أواخر القرن الماضى ومطلع القرن الحالى ، ففى هذه الايام ، التى كانت فيها العربات التى تجرها الجياد هى وسيلة الانتقال المألوفة ، كان شاطىء (مالبورى) فى عصره الذهبى ، وكان معظم الذين يأتون اليه فى الصيف ليبنوا أكواخهم على منحدراته يجيئون من مدينة بوسطن المجاورة ولكن مع بزوغ عصر السيارات ، واعتراف المدن القريبة ، مثل نيويورك وبلتيمور ، ومدن وسط الغرب الامريكى ، بمزايا شاطىء (مالبورى) ، تحول هذا الشاطىء الى مكان يؤمه الناس من جميع الطبقات ، بعد أن كان منتجع الصفوة الممتازة من علية القوم ، وان كان قد ظل محتفظا فى بعض قطاعاته ببعض تقاليده القديمة • لقد كان شاطىء (مالبورى) فيما مضى مقصد أساتذة الجامعة البارزين من رجال المجتمع ، وكانت تعقد فيه الندوات العلمية ، والحفلات الموسيقية ، أما الآن فقد أصبحت أجزاء كثيرة منه مرتعا لسائقى السيارات والأغراب والعائلات غير المعروفة التى تفد اليه من مدن بعيدة • ومن القصص الطريفة التى تروى فى هذا الصدد أن احدى الأسر الميسورة الحال جاءت من مدينة كليفلاند الى شاطىء مالبورى لقضاء فصل الصيف ولتعزيز مركزها الاجتماعى فى الوقت نفسه بالظهور على هذا الشاطىء الذائع الصيت الذى يقصده كثير من شخصيات المجتمع البارزة ، والتعرف كذلك على أفراد الأسر الراقية الذين يقصدونه وكان أفراد هذه الأسرة يذهبون الى الشاطىء بعد ظهر كل يوم لهذا الغرض حيث يختلطون برواده ويعقدون معهم روابط الصداقة • ولم تتبين الأسرة الا بعد وقت طويل ، نظرا لجهلها بتقاليد الشاطىء ، أن الشاطىء

www.ibtesama.com

يخصص بعد الظهر للخدم والخادمات ، وان الصداقات التى عقدوها كانت مع هذا الطراز من الناس ٠

وقد اشتغل جورج آبلى فى شركة (ريد وسميث) التى كانت تتولى ادارة الضياع والاراضى ٠ وقد تلقى دعوة بعد ذلك الى الانضمام الى نادى (براوزرس) وهو أحد النوادى الشهيرة فى بوسطن بتاريخه الادبى ٠ ولما كان جورج قد أزمع أن يلقى محاضرة فى النادى فى بداية الشتاء ، فقد فكر فى موضوع طريف تدور حوله المحاضرة وهو تاريخ احدى الضياع التى تديرها الشركة ، منذ أن كان يمتلكها صاحبها (جوناس جود) فى عام ١٩٣٦ حتى وقتنا الحاضر ٠ وقد كتب الى أمه اليزابيث آبلى خطابا ، فى هذا الشأن ، هذا نصه :

أمى العزيزة :

سأبلغك نبأ لم تكونى تتوقعينه ، اننى اعد الآن بحثا عن تاريخ ضيعة (كاوكورنر) منذ كان يمتلكها (جوناس جود) حتى الآن ٠ اننى عرفت ان هذا النوع من الابحاث يروق لك ، وكثيرا ماحثثتنى على أن أفعل شيئا من هذا القبيل ٠ ان زوجتى كاترين تشجعنى جدا على اتمام هذا العمل ، حتى انه يخيل الى أحيانا انها هى المكلفة به ٠ ففى كل مساء بعد تناول العشاء تعد لى الورق والمداد والقلم فى غرفة الجلوس وتطلب منى أن أبدأ العمل ، فى حين تبدأ هى فى التطريز ٠ وقد طلبت منى أن أشكرك على المفرش الذى قمت بتطريزه لها ، وهى تقول (انه أجمل مارأيت) ٠

من أجمل صفات جورج آبلى أنه يحب ادخال السرور على قلوب الآخرين ، والنتائج التى يحصل عليها من جراء ذلك توازى ما يمكن أن يتوقعه ٠ وقد ردت عليه اليزابيث بخطاب مفعم بالحنان وينم عن الشعور بانتصار الأمومة :

« كنت أعرف دائما أن لى ابنا رائعا ، وأنا واثقة أن العالم سيعرف أيضا أنه رجل رائع ٠ لقد تميز كثيرون من أجدادك من ناحية أمك ، بذوقهم الأدبى ٠ فاذا كنت قد ورثت هذه الموهبة فان هذا يعطينى شعورا بأنى أوصلت الشعلة الى يدك ، ولعل نورها يظل باهرا ٠

ولا أظن أنى سبق أن أطلعتك على هذا الشعور ، ولكنى كنت على أى حال ، أعتز به دائما ٠ لقد رأتك الاديبة مسز (لويزا ألكوت) فى احدى حفلات الشاى التى كنا نقيمها فى دارنا ، ولن أنسى ماحييت منظر

www.ibtesama.com

وجهها حينئذ وقد غمره البشر والسرور ، حينما مال كل من فى القاعة ليستمع الى ما سوف تقوله • وقد قالت : ربما أصبح كاتبا مثلك يا عزيزتى اليزابيث • وكان هذا فى الوقت الذى كنت قد نشرت فيه قصيدة شعرية فى مجلة (أتلانتيك) •

ان كل ما أخشاه هو ألا تفهم كاترين أهمية بحثك بالنسبة لك ولها فيما بعد ، اذ أن العزيزة كاترين ستكون مشغولة الآن بسرها الحلو الذى قد أخبرتنى به • سأرسل لك السطل والقصعة اللذين توارثتهما أبا عن جد ، ليكونا فى خدمة المولود الجديد الذى اعتقد أنه سيكون ذكرا •

وقد سر أيضا توماس آبلى ، والد جورج حينما علم بأن ابنه ينتظر مولودا وقد بعث اليه بخطاب ينطوى عن الاعتزاز والفخر :

عزيزى جورج :

لقد اودعت اليوم مبلغا من المال لاستثماره لحساب عضو الأسرة آبلى القادم • واننى واثق من أن دخل هذا المبلغ سيصبح بعد عشرين عاما ، ولا سيما بعد أن يعاد استثماره ، موازيا لرأس المال الأصلى • اغتبطت كثيرا حينما سمعت أنك تعد بحثا ، وخاصة لان هذا النبأ قد أبهج أمك التى كانت فى حالة ضيق شديد وكمد ، بسبب تصرفات أختك جين غير المفهومة • وسأتحدث معك فى هذه المسألة على انفراد فيما بعد • والى أن يتم ذلك فانى أفكر فى وضع جين تحت رعاية الدكتور كولتون فى مصحته ببروكلين حيث تستطيع أن تؤدى بعض الاعمال اليدوية البسيطة •

اننى مسرور جدا لانك بدأت تكتب الابحاث التاريخية والأدبية لأن هذا النوع من الأعمال يخلق لك مكانة كبيرة ويفتح أمامك أبوابا كان يمكن أن تظل مغلقة أمامك • واذا استمررت فى هذا السبيل فانه من الممكن أن تصبح عضوا فى مجلس ادارة جامعة هارفارد حينما تبلغ سن الخامسة والثلاثين من عمرك • وليس هناك ما هو أكثر نفعا لرجل الأعمال من العلم • واذا وجدت نفسك مشغولا بحيث يضيق وقتك عن جمع التفصيلات الصغيرة لأبحاثك فاننى أعرف مدرسا للتاريخ يستطيع أن يعاونك فى هذا العمل مقابل مبلغ صغير من المال • وقد أدى الى خدمات طيبة فى هذا المجال اذ كان يجمع لى الحقائق ويرتب المعلومات ، ويطوع الأسلوب اللغوى لكتاباتى •

www.ibtesama.com

وهذا الاقتراح الأخير ينم عن الشك فى قدرة ولده ، وهـــو شيء يساور شعور كثير من الآباء • ولكن مؤلف هذا الكتاب يعلم علما تاما أن البحث الذى قام به جورج آبلى كان متينا فى معناه ومبناه ، وانه لم يستعن بأحد قط فى اعداده •

وقد قرأ جورج آبلى هذا البحث ـ بعد ذلك ـ فى نادى (براوزرس) واستغرق القاؤه ساعة كاملة وعشر دقائق • وقد شرح فيه باسهاب عجيب تاريخ ضيعة ركن البقرة (كاوكورنر) التى تقع فى شـــمالى بوسطن ، وأوضح كيف انتقلت ملكيتها الى مائة وخمسة عشر شخصا حتى آلت ملكيتها الى صاحبها الحالى (لويجى مارتنللى) كما تناول بالشرح جميع الشخصيات التى كان لها علاقة بهذه الضيعة ، بل انه حدد المكان الذى دفن فيه ستة وخمسون شخصا ممن كانوا يمتلـــكونها • وقد استرعى هذا البحث الدقيق انتباه كل عضو من أعضاء النادى ، ليس فقط لمـا حواه من معلومات تاريخية هامة ولكن أيضا لما تضمنه من روح الفـكاهة والسخرية فيما يتعلق بنمو مدينة بوسطن التى كانت أصلا قرية صغيرة ، تشقها الطرق التى تسير فيها الأبقار والماشية ثم تحولت الى ما نراه الآن: مدينة كبرى من أعظم مدن الولايات المتحدة •

وبعد أن انتهى جورج آبلى من القاء بحثه ، نهض البروفســـور (جودسون هول) وهو أقدم الاعضاء فى النادى ، وقال ان هذا هو واحد من أفضل خمسة أبحاث استمع اليها طوال الخمسين عاما التى امضاها عضوا فى النادى •

ولم ينته الأمر عند هذا الحد • فان أعضـــاء النادى ، وهم من الشخصيات البارزة فى المجتمع ، خرجوا يلهجون بالثناء على هـــذا البحث ، ويمتدحون مقدرة جورج آبلى العلمية • لقد كان جورج آبلى حينما جلس فى النادى ليلقى هذا البحث مجرد عضو تقوم مكانته على انتمائه الى أسرة آبلى المعروفة للجميع ، ولكنه بعد أن انتهى من القائه أصـــبح شخصا له قيمته الذاتية ، واحتـــل بين يوم وليلة مركزا مرموقا بين رجالات المدينة المعروفين ولا سيما فى المجال الثقافى • وجدير بالذكر أن الرئيس الامريكى «تشارلس اليوت» اطلع بذاته على هذا البحث بعد أن طبع فى خلال الاسبوع التالى ، وعقبت عليه الصحف تعقيبات طيبة •

وانهالت الدعوات على جورج آبلى من مختلف النوادى والهيئات لكى ينضم اليها ويصبح عضوا فيها ، وكان من بينها (الجمعية التاريخية)

www.ibtesama.com

و (نادى مائة العام) وغيرهما من الهيئات الثقافية والاجتماعية التى تزخر بها مدينة بوسطن • وقد بعث الى صديقه «ووكر» بخطاب يشرح فيه له أحواله فى ذلك الوقت ، هذا نصه :

« كنت مشغولا جدا فى خلال الاسابيع المـــاضية الى حد انى لم أستطع أن أرسل اليك كلمة واحدة • لقـد وجدت نفسى أدعى فى كل مساء الى وليمة ضخمة مع علية القوم فى بوسطن ، وأصغى الى محاضرات تلقى ، ثم نتوجه بعد ذلك الى حفلة أخرى نسمع فيها الموسيقى ، ثم ندعى لتناول طعام فاخر آخر • ان كاترين مسرورة من هذا ولكن لا أعرف اذا كنت سأحتمل ذلك طويلا • ان أوقات بعد الظهر أقضيها الآن فى حضور اجتماعات مجلس الادارة الخاصة بالجمعيات الخيرية ، وكل هـــذا شىء ممتع ، ولكنى أشعر فى الواقع بأنى متعب ومبلبل الفكر الى حـد ما • لا أعرف متى سأحضر الى نيويورك لأراك ، ولكنى سأحضر على أى حال لأنى لا أستطيع أن أتغيب طويلا عن أصدقائى القدماء » •

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com

الفصل الثالث عشر

مشاكل

انجب جورج آبلى وكاترين ولدهمـــا الأول والوحيد يوم ٢١ من مارس عـــام ١٨٩١ ، وقد استقبلت أسرتا آبلى وبوزورث هذا الحدث السعيد بسرور عظيم وحماسـة كبيرة الى أن طرأ خـلاف بين الزوجين الشابين حول الاسم الذى ينبغى اطلاقه على طفلهمـــا • ومع أن جورج احتفظ بمظهر الهدوء فى خلال هذا الخلاف الذى أثار جدلا عائليا لا نهاية له ، فانه كان يشعر بتوتر شديد فى العلاقات بينه وبين كاترين بسبب ذلك • وقد بعث فى ذلك الوقت بخطاب الى صديقه (ووكر) هذا نصه :

"حسنا يا (مايك) •• اننى الآن أب لولد ، وانه ليساورنى احساس غريب كلما فكرت فى ذلك • اننى الآن أفهم الشىء الكثير عن والدى بعد أن أصبحت أنا نفسى أبا • واننى لأجد نفسى أحيانا أتطلع الى المستقبل وأفكر فيما سوف يكون عليه العالم حينما يكبر وفيما يمكن أن أفعـــله لأجله ، وتساورنى فكرة غريبة هى أنه يجب أن أكون مثالا وقدوة له ، مع انه ليس فى حاجة فى الوقت الحاضر لأية قدوة ، ان العلاقة بينى وبين ولدى تتميز بالتحفظ نفسه والكلفة نفسها التى كانت بين والدى وبينى، واننى أعرف الآن السبب ، فقد كان والدى يريد أن ينشأ ابنه نشـــأة بعيدة عن التدليل لكى يصبح رجلا يستطيع أن يواجه العالم • اننى أريد أن يصبح ولدى أسعد منى ، مع أن كل مقومات السعادة لا تنقصنى وان يحقق من الآمال أكثر مما حققت •

لقد تعلمت شيئا واحدا منذ أصبحت أبا • فقد كنت أظن أن ابنى هو ولدى وحدى ولكنى كنت مخطئا فى هذا الظن • ويبدو أننى وكاترين كنا مجرد وسيلة لانجاب هذا الطفل واضافة عضو جديد الى الاسرة من غير أن يكون لنا الحق فى ادعاء ملكيته ! اننى لا أرى فى ملامحه شـــيئا معينا ، ولكن الجميع يرون غير هذا الرأى • فأمى تقول ان له أنفى ، وأبى يقول انه يشبه صورة جدى موسى آبلى المعلقة فى حجرة الطعام ، أما المستر

www.ibtesama.com

بوزورث وكاترين فانهما يقولان ان فيه كل ملامح أسرة بوزورث ، ويشاركهما فى هذا جميع عمات أسرة بوزورث وأعمامها • ولا أعرف ماذا تقصد أسرة بوزورث بذلك ، ولكنى أعلم أنها تريد أن تطلق عليه اسما ، وأن أسرة آبلى تريد أن تطلق عليه اسما آخر • وقد انحازت كاترين الى أسرتها ، وفجأة وجدت نفسى متعصبا لأسرتى ، ولا أدرى كيف سينتهى هذا الخلاف » •

ان كل الذين يتذكرون هذه المناسبة يعرفون أن المسألة تحولت الى جدل يشبه الجدل الذى يثور حول مسألة عامة يعتقد كل شخص أن له الحق فى أن يدلى برأى فيها ، وان من حقه أن يغضب اذا ووجه برأى مخالف ، وقد تدهور الموقف بعد ذلك تدهورا محزنا حينما تمسك كل من المستر بوزورث والمستر توماس آبلى بوجهة نظر معينة فى الموضوع • وفيما يلى رسالة بعث بها توماس آبلى الى ابنه فى هذا الشأن :

عزيزى جورج :

أبعث اليك بهذا الخطاب فى الوقت الذى دب فيه الخصام بينى وبين المستر بوزورث من غير أن يكون الخطأ من جانبى • وحينما يتصل بك ، ويبدأ فى التحدث معك بطريقته الهستيرية ، فأرجو أن تبلغه وجهة نظرى التى سأشرحها لك ، وتستطيع أيضا أن تعرض عليه هذا الخطاب اذا أردت •

لقد جرت عادة أسرتنا ، وأعتقد أن هذه هى أيضا عادة أية أسرة محترمة، أن تطلق على أول مولود لأحد أبنائها أحد أسماء أسرة آبلى، وأعتقد أن هذه الأسماء لها أهمية أكبر كثيرا مما تستطيع أسرة بوزورث أن تقدمه• وأشعر أنى أتهاون كثيرا فى واجبى الأدبى اذا خرج أحد أحفادى عن نطاق أسرة آبلى • وبصرف النظر عن هذه المسألة المتعلقة بتقاليد الأسرة وبالعدالة الاجتماعية فان المولود يبدو من مظهره ومن تصرفاته (آبلى) مائة فى المائة كما شهد بذلك كل من رآه وكل من يعرف أسرتنا ، ان هذا الطفل يحمل كل سمات جدك وملامحه • ان الدنيا قد تغيرت حقا ، وأصبحت مكانا غريبا يختلف عن الدنيا التى اعتدت أن أعرفهما حينما كانت مثل هذه المسألة لا تحتمل مجرد المناقشة • وفى رأيى أن هذا النزاع يرجع أصلا الى أثرة المستر بوزورث وعناده ، وهو تصرف شجعته عليه زوجته من غير شك •

ولأسباب ينبغى أن يفهمها كل انسان ، فانى أرى أن يسمى الطفل وليام آبلى ، وهو اسم عمك وليام الذى لم يتزوج ، والذى لاينتظر أن

www.ibtesama.com

يتزوج فيما بقى من حياته • ان عمك ، كما تعلم ، قد اظهر اهتماما كبيرا بالطفل ، وفتح له حسابا قدره خمسة دولارات فى بنـك (ووتر كاريرل) للادخار ، ولا حاجة بى للقول بأن مثل هذا الاهتمام له مغزى كبير • ان الموضوع كـله أصبح فى يدك ولك أن تتصرف فيه كما تشـاء • والى أعرف أن العدل فى جانبك •

خطاب من المستر بوزورث :

عزيزى جورج :

أشعر بأنه من واجبى أن أكتب اليك ، بصفتى والد ابنتى الوحيدة ، زوجتك • انك تعرف أكثر من أى شـخص آخر ، مدى حبى لـكاترين ، وقيمتها عندى • واننى أرجو أن تفهم وجهة نظرى وان تعرضها على والدك اذ أننا لسنا على وفاق ، ولا نتحدث معا ، بسبب طباعه الحادة ، وعناده الذى لايستند الى أساس •

ان رغبة عزيزتى كاترين هى دائما رغبتى ، وفى مثل هـذا الوقت الذى قدمت لك فيه أكبر تضحية يمكن أن تقدمها امرأة فى العالم ، وان أقل ما تستطيع أن تفعله من أجلها هو أن تهتم برغبتها • وليس من غير الطبيعى أن ترغب ، وانا كذلك ، أن يطلق على مولودهـا الصغير اسم (تيوفيلوس بوزورث آبلى) • ان أم كاترين تشعر ، ويشاركها فى هذا الشعور جميع أفراد الأسرة ، بأن هذه الرغبة مشروعة وينبغى تحقيقهـا عن طيب خاطر • ان أحدا لا يستطيع أن ينكر أن الطفل له كل ملامح آل بوزورث ، وانه يزداد شبها بهم أكثر فأكثر بالتدريج ، واننى واثق من أنك ستتحقق من عدالة ما أقول ، ومن أنك ستفعل ما تستطيع فعله من أجل احقاق الحق •

وقد حلت المشكلة من نفسها ، واطلق على الطفل اسم (جون آبلى) وهو اسم مشترك فيه أسرتا بوزورث وآبلى ، وحينما انجب جورج ابنة سميت (اليانور) وهو من اسماء أسرة بوزورث •

فى هذا الوقت كان جورج آبلى منهمكا كل الانهماك ومشغولا الى أقصى حد فى كثير من المهام ، وكان وقته موزعا بين عمله فى مكتب المحاماة الذى أصبح شريكا فيه عام ١٨٩٧ ، وبين عمله كمدير لعدة شركات ، كما سنرى فيما بعد ، وبين واجباته كعضو فى عدة نواد وفى عدة جمعيات خيرية •

وقد كتب مرة لأحد أصدقائه يقول : كان جورج آبلى يشعر دائما

www.ibtesama.com

بالحياء والخجل وهو فى حضرة السيدات ، وكان يعاملهن دائما باحترام ولكنه كان يبدو مضطربا وحائرا تجاه أفكارهن • انه فى المجتمع يبدو شيئا آخر غير الذى رأيناه وأحببناه فى النادى اذ كان يتبسط مع الجميع ولا يبدو عليه الحياء أو التحفظ ويشيع فى المكان جوا من البهجة والسرور • وقد قال لى مرة عبارة تدل على امتلاء حياته (يبدو اننى أحس بأننى مشغول طوال الوقت باستمرار ، ولكنى لاأشعر بأنى أفعل شيئا) •

والمؤلف سمع كثيرا من أصدقائه يبدون مثل هذه الملاحظات فى معرض حديثهم عن جورج آبلى •

وقد أدى اهتمامه بالمسائل العامة الى تعرفه بالسياسيين المحترفين وهم طراز جديد من الناس طرأ على حياته ، وأثاروا فى نفسه كثيرا من الدهشة والفكاهة معا • وكانت قد أثيرت فى ذلك الوقت مسألة بناء سد على نهر (تشارلس) ، كما ذكرنا من قبل ، وقد اضطر جورج آبلى أن يتخذ فيها ، على كره منه، موقفا مضادا لموقف والده ، ايثارا منه للمصلحة العامة كما يتصورها • وكان القرار الذى اتخذه جورج آبلى فى هذا الشأن مؤلما له بصفة خاصة ، ولا سيما أن والده كانت صحته قد ساءت فترة من الوقت نتيجة للجهود المضنية التى بذلها وهو فى هذه السن المتقدمة لكى يواجه حالة الكساد العام الذى أصاب الاعمال التجارية حينئذ مما أفقده كثيرا من قدرته المعروفة على المساومة والتفاوض ، وان كان لم يفقد قط شيئا من قوة ارادته وتصميمه •

وقد كتب توماس آبلى فى ذلك الوقت خطابا الى صحيفة (بوسطن ايفننج ترانسكويبت) يعلن فيه معارضته الصريحة لبناء السد قال فيه :

« اننى لا أعرف ما الخير الذى يمكن أن يعود على بوسطن من بناء هذا السد ، ومن تبذير الأموال العامة بمثل هذه الصورة • ان بناء السد سيؤدى الى انشاء بحيرة واسعة من المياه الراكدة على أبواب المدينة ، فى الوقت الذى يوجد فيه مايكفى من المياه الراكدة حولها • ثم ان هذا المشروع يعتبر انتهاكا صارخا لحقوق ملاك المنازل والأراضى التى ستغمرها المياه ، فضلا على أنه سيقضى على جمال النهر الذى تعودنا أن نراه بصورته الحالية طيلة حياتنا •• ولماذا كل هذا ؟ لارضاء نزوات حفنة قليلة من الرجال غير المتزنين !

وقد أثار مشروع السد اهتماما شديدا لدى الرأى العام فى مدينة بوسطن وأصبح قضية عامة لها أنصار وخصوم • وقد انحاز جورج آبلى

www.ibtesama.com

الى صف انصار المشروع وهو يعلم أن هذا التصرف سيغضب كثيرا من أفراد أسرته ومن أصدقائه ، وسيقطع الروابط المتينة التي تربط بينه وبينهم • وقد حضر بعض الاجتماعات التي عقدت في دار الحكومة لمناقشة هذا المشروع ، وان كان لم يتكلم في خلالها •

ان الصدمة التي أصيب بها توماس آبلي بسبب انضمام ابنه الى صف المدافعين عن هذا المشروع كانت عنيفة • وقد كتب جورج آبلي في مذكراته وصفا للقاء تم بينه وبين والده بشأن هذا الموضوع ، قال فيه :

«كانت هذه أول مرة أعارض فيها والدي ، وقد حدث هذا في اخريات أيامه في مكتبه بشركة (اخوان آبلي) • وقد كانت بساطة هذا المكتب جزءا من بساطة أبي • انني أتذكر جلستنا بجانب مدفأة الفحم ، والصورتين المرسومتين بالزيت لسفينتين من سفن أجدادنا وهما معلقتان على الحائط ، وقبعته الحريرية التي كان يضعها على مكتبه • وبهذه المناسبة فانه لم يتخل قط عن عادته في الذهاب الى مكتبه بقبعته الحريرية وبمعطفه من طراز (الامير ألبير) • وكان حينئذ في نحو السبعين من عمره ، ولكنه كان يبدو متين البنيان • وقلما وجدته طيلة حياتي هائجا غاضبا كما رأيته في هذه المرة • لقد وقف فجأة وأخذ يذرع الحجرة جيئة وذهابا أمام المدفأة وقد شبك يديه وراء ظهره • ولم يلبث أن صاح :

يا للرعد ياجورج !(وهو تعبير يقوله حينما يكون متوتر الأعصاب)، انني لا أهتم بمسألة مياه السد قدر اهتمامي بمسألة المبدأ • انها لضربة قاصمة في هذه الفترة من حياتي أن أعلم أن ولدي قد أصبح خائنا لطبقته •

وقد حاولت أن أوضح له أن موقفي في هذه المسألة ينبع فقط من شعوري بالمصلحة العامة ، وحاولت أن أشرح له الفوائد الجليلة التي يمكن أن تعود على عدد كبير من الناس من هذا المشروع ، ولكنه رفع يده ، علامة على أنه يريدني أن أتوقف عن الاسترسال في الكلام ، ثم قال :

« ليس هذا هو المهم في الموضوع • انها مسألة مبدأ • ان الشعور الذي تتكلم عنه ينطوي على الخراب • انك لاتفهم ، وأخشى أنك لن تفهم أبدا ، ان الامور تساس على يد جماعة صغيرة من الرجال • وقد كنت أنا وجماعتي نسيطر على هذه الامور ، ولكنكم جميعا يا معشر الشباب رجال ضعاف انه ليس شيئا سارا لي أن أعرف أن الايرلنديين سيتولون أمور

www.ibtesama.com

هـــذه المدينة ويوجهونها كما يريدون ولست أرى أحدا فى جيلكم لديه المقدرة أو المهارة للقيام بهذه المهمة • اننا نمثل الطبقة الصغيرة ولـــكنك لا تفهم هذا • يا للرعد ! ان هذه الحقيقة لا يفهمها غيرى وأبناء جيلى•• ان غلطتنا أن ابناءنا لن يستطيعوا معالجة الامور كما عالجناها نحن • انك تمثل فى نظرى نهاية عصر • وحينما تزول السلطة التى توجه الامور ، وتتسرب شيئا فشيئا فان مدينة بوسطن سيصيبها الانحـلال والبوار ، وحينئذ سأكون أول من يغادرها •

وحاولت أن أوضح له أن الأمر ليس على هذه الصـورة واستدللت بآراء أشخاص أعرف أنه يحترمهم ، ولكنه استطرد قائلا :

ان كل هذه الآراء انما هى أفكار أكاديميـة ، يقصـد بها الزخرفه والتنميق ولكنها فى الواقع سخافات وكلام فارغ • هذه هى النهاية واننى لحزين لذلك غاية الحزن • فكر فى الأمر على هذه الصورة ، اذا شئت ، اننى رجل عجوز الآن ، حينما كنت شابا كان فى بوسطون رجال مثلى ، ولكن أين هم الآن ؟ تذكر هذه الكلمات •• ان هذه المدينة فى طريقها الى الفوضى والانحلال •

كان والدى يبدو عليه التأثر العميق ، وكان يبدو انه مقتنع اقتناعا تاما بما يقول ، ولكنى أعتقـد أنه لم يستطع أن يدرك أن المرء يجب أن يتلاءم مع العصر الجديد • ومع ذلك فانى أحيانا أتساءل : ألم يكن محقا فى بعض الوجوه ؟ ان بوسطن لم يعد فيها رجال من طراز توماس آبلى • ان كل الرجال الذين أعرفهم اليوم ، مع احترامى التام لنزاهتهم وسلامة مقصدهم ، ليسوا غير صورة مهزوزة لوالدى وأصدقائه ، وأحيـانا يبدو لى أن جيل والدى فعل كل ماينبغى عمله ، ولم يترك لنا شيئا آخر نعمله وهكذا أصبحنا فى موقف غريب ، فمعظمنا أطاع الجيل القديم طاعة عمياء فلما ذهب هذا الجيل وولى ، لم يعد أمامنا الا أن نسير على منواله ونحذو حذوه • فمثلنا فى ذلك مثل الصينيين الذين يعيشون على عبادة الأجداد ويعتقدون أن ما قام به السلف لايستطيع أن يقوم به الخلف ، وأن أعمال الماضى فوق طاقة الحاضر ، وقد كان والدى هو هذا الماضى •

ويعتقد المؤلف أن هذا الصدام الذى وقع بين الابن وأبيه قد قوى من شخصية جورج آبلى وأكسبه ثقة فى النفس كان يفتقر اليها ، ولكن نتائجه كانت أعمق مما أوضحناه من قبل ، فان أمه لزمت الفراش بسبب هذا الخلاف ، وانحازت زوجته كاترين الى صف توماس آبلى • ولـــكن هذا الخلاف سرعان ما تلاشى بفضل أنباء ســـارة جديدة ، ففى ربيع عام

www.ibtesama.com

١٨٩٨ ، حينما بلغت الحرب الأمريكية الاسبانية ذروتها ، **اعلنت خطبة** (أميليا) شـــقيقة جورج آبلى لشاب من أسرة ثرية يدعى « **ليو كومب** سيمنجز) ٠ وكانت هذه الاسرة تملك مصانع مجاورة لمصانع **اسرة آبلى** ٠ وفى ذلك الوقت انتشرت شائعات تقول ان الاسطول الاسبانى قد يقوم بهجوم مفاجىء على سواحل الولايات المتحدة التى تقع على المحيط الاطلنطى وكانت تحصينات بوسطن سيئة لدرجة تجعلها غير قادرة على مواجهـــة الخطر ٠ ومع أن توماس آبلى كان يشكو ضعفا في صحته منذ عدة سنوات فانه تصرف حينئذ بحزمه المعهود وسرعة بديهته المألوفة ٠ فقد بادر الى جمع أمواله وتحف الأسرة الفضية ، وكلف جورج آبلى بنقلهـــا الى بنك مدينة (ورشستر) البعيدة لتكون هناك فى مأمن من أى خطر ، وخـلال الرحلة التى قام بها جورج آبلى لهذا الغرض تمت خطبة (أميليا) فكتب له توماس آبلى الخطاب التالى :

عزيزى جورج :

لقد حدث شيء هام جدا خلال سفرك ، ولهذا يجب أن تعود فورا ، لقد تقدم (تيوكومب سيمنجز) يطلب الزواج من أختك أميليـــا ومن المستحيل أن يكون هناك أحد أكثر دهشة منى ، أو أكثر ابتهاجا ، لهذا الخادث ولا شك أنك تعرف أنه غنى جدا لدرجة أننا لن نشعر بأى قلق فيما يتعلق بمستقبل أميليا ، وهذا الشاب الذى بدأت احبه ، بعـد أن عرفته عن كثب ، يفتقر حقا الى ذكاء آل سيمنجز المعروف ، ولكن هذا النقص له مايعوضه فى نواح أخرى ٠ ويبدو أنه كان معجبا بأميليا من بعيد منذ عدة سنوات ، وأخيرا وجد فى نفسه الجراة ليتحدث معها حينما ترامت شائعات خطر الغزو الاسبانى ٠ اننى أصبحت معجبا به جدا ، ولا شك أن هذا سيكون موقفك أيضا ، ولا سيما اننى كنت أخشى منـــذ بعض الوقت أن أختك ، التى تكبرك ســنا ، لن تتزوج ، ولقد وجهت اليهـا اللوم كثيرا فيما مضى لأنها تركت كثيرا من الفرص السانحة تمر من غير أن تنتهزها ، ولكنى لن أفعل ذلك بعد الآن ٠

خطاب من اليزابيث آبلى :

جورج ، يا أعز الناس :

لقد علمت طبعا بالنبأ السعيد من والدك العزيز ٠

ان أميليا ستغادر العش ، وكنت أخشى ألا تفعل ذلك ، وكان هذا الشعور مبعث حزن لى منذ مدة طويلة ولا سيما أن أختك (جين) لا تزال

www.ibtesama.com

تحت العلاج · ان أميليا صعبة المراس لدرجة انى كنت أحس بالحيرة والذهول ازاءها ، ولكنى أعتقد أنها وتيوكومب سيعيشان حياة موفقة · ان حفل القران سيتم بالطبع فى قصر (هيلكرست) ، وأرجو أن تحضر معك صندوق الأدوات الفضية ، ولكن لا تخبر والدك بذلك لأنه لا يزال متوتر الاعصاب بسبب الشائعات المزعجة · ان صحته لاتزال ضعيفة كما كانت ، وهو لايستطيع النوم ·

خطاب من كاترين :

عزيزى جورج :

أرجو أن تخبرنى بموعد عودتك لأنك تأخرت يومين عن الموعد المقرر · حسنا ·· ان أميليا قد استطاعت أن توقع نيوكومب فى غرامها · وقد استغرق منها ذلك زمنا طويلا ·· ولكنها على أى حال قد أمسكت به الآن · ولا تظن أن نيوكومب هو أمير أو ولى عهد مملكة ، فقد كنت أستطيع أنا أن أتزوجه ، كما تعرف ، ان طفليك جون واليانور فى صحة جيدة ويرسلان اليك قبلاتهما ·

خطاب من جورج آبلى الى أميليا :

سررت كثيرا بخطابك وبما فيه من أنباء مفرحة · ولكن فى خطابك شيئا يثير الانقباض ، أو شيئين · أولهما قولك أنك تعتقدين أن والدنا على وشك الموت ، والثانى تصورك انى وكاترين سنستولى على شىء من حقك ·

ولا شك أن ميراث الأسرة فيه ما يكفى لارضائك وارضاء جين وارضائى ، من غير حاجة الى تشاحن أو شجار ، والواقع أن قصر هيلكرست ، ودارنا فى شارع بيكون مملوءان بتحف الأسرة الفضية ، وبالأثاث ، وبالطنافس الى درجة يخيل لى معها أن أجدادنا كانوا يحافظون على ممتلكاتهم حتى الرمق الأخير ·

اننى لا أعرف شيئا ، كما تظنين ، عن شروط وصية والدى ، ولكنى أعتقد أنه يجب ترك جميع أثاث المنزل على حاله فى خلال حياة أمنا · وانى أقترح الآن عدم الاسترسال مطلقا فى مناقشة مثل هذه المسائل لأن هذا قلما يؤدى الى نتيجة ·

وقد ردت عليه أميليا بالخطاب التالى :

« حقا ، اننى لا أطلب شيئا ، ولكن يجب أن تتذكر هذا : قد تكون أنت رجل الاسرة ووريثها ، ولكننى أنا الابنة الكبرى · وعلى هذا فان

www.ibtesama.com

واجبى يحتم على ان أرى كل شىء فى موضعه • ولا اظن الى مخطئة فى اعتقادى بأننى أشد اهتماما منك بالأسرة • لقد انفقت خـــلال العامين الماضيين كل صباح فى ترتيب مستندات وخطابات جـــدنا موسى آبل وغيره من أجدادنا • واذا أجرى بيننا امتحان فى هذا الصدد فلا شك انى سأتفوق عليك تفوقا كبيرا ، وقد حان الوقت الذى يجب الاعتراف فيه بتضحياتى فى هذا المجال • اننى مستعدة للتخلى عن طاقم أدوات الشاى الفضية ، ولكنك ستظلمنى أشد الظلم اذا لم نتفاهم معا على أن آخـذ معى مستندات الأسرة الى منزلى الجديد فى ميدان (لويزبرج) • وسيكون من حقك طبعا أن تطلع عليها فى أى وقت تشاء • وأرجو أن يكون مفهوما أيضا أنى سآخذ معى صورة جدى جون آبلى ، التى رسمها الفنان كوبلى • ان نيوكمب يزين منزلنا بأشياء جمعها من منزل أسرته فى (ونشستر) ولكنها تبدو فى نظرى قبيحة جدا • ولا شك ان هذا شىء مؤلم لانســانة مثلى نشأت فى وسط مملوء بالاشياء الهامة الجميلة •

هذا وانى لن أسمح لأحد بأن يسيطر على شخصيتى كما سمحت أنت لغيرك بأن يسيطر على شخصيتك • ولن أدع آل سيمنجز « يركبونى» كما سمحت أنت لآل بوزورث ان « يركبوك » • وأؤمل أن أحترم نفسى بحيث لا أسمح لنيوكومب بأن يسيطر على كما سيطرت عليك كاترين • لقد شعرنا بالكمد أنا وأمى ، كما تعرف ، فترة من الوقت بسبب ذلك ، ولكن يبدو أن نصائحنا لك لم تثمر » •

www.ibtesama.com

الفصل الرابع عشر

أعبـاء جديدة

ذات مساء رطب فى منتصف شهر يوليه تناول توماس آبلى ، كما تعود دائما خلال العشاء • كأسين من النبيذ الأحمر • ولم تلحظ زوجته التى كانت جالسة قبالته ، كما لم يلحظ أعضاء الأسرة الآخرون الذين كانوا جالسين حول المـائدة ، أى شىء غير عادى فى تصرفاته • فقـد كان يتحدث بحرارة واهتمام عن الموقف الدولى ، وأعلن رأيه فى صراحة بأنه يعارض أى توسع جديد تقوم به الولايات المتحدة • وطلب ارسـال جوادى العربة العجوزين (تونى)و (جاك) الى المراعى لكى يستريحا من العمل بعد أن ظلا يعملان أكثر من خمسة عشر عاما ، ظهرت عليهما بعدها آثار الهزال والشيخوخة • ومما يجدر ذكره فى هذه المناسبة أنه جرت عادة توماس آبلى ، وجورج آبلى من بعده ، على عدم بيع جيـاد الأسرة اذا تقدمت بها السن• ثم سأل عن صحة البستانى الثانى (باتريك بيرك) الذى أصيبت يده بجرح خطير من مسمار دخل فيها فى أثنـاء العمل • ثم تكلم بايجاز عن أحوال العمل فى مصانع آبلى • وكان حديثه طوال الجلسة حديث رجل نشيط مهتم بشئون الحياة •

وقد كتبت اليزابيث آبلى فيما بعد الى صديقتها (سنتيا فولوز) تصف ما حدث حينئذ فقالت : وقدر لى أن أدرك فى هـذه اللحظـة أن شيئا غريبا قد حدث لأرق وألطف زوج فى العالم ، لأنه استدار نحوى فجأة وقال : اننى أتساءل أحيانا : ــ هل جورج قد أحسن صنعا بزواجه من هذه الفتاة الايرلندية ؟ وعرفت حينئذ لأول مرة ، أن عقل توماس آبلى ، الذى اعتمـدت عليه طـول حياتى ، لم يكن فى حالتـه العادية • وحينئذ قلت له : توماس ، ان الجو الحار قد جعلك متعبا جدا ، والأفضل ألا تذهب الى مكتبك غدا ، فأجاب بأنه سيذهب حتما كما تعود طـول حياته ، ثم قال انه سيذهب الى المكتبة ليقرأ • وبعد لحظات قليلة ، حينما كنت أناقش (نورا) خادمتنا العـزيزة فى الترتيبـات الخاصـة بافطار

www.ibtesama.com

الغد ، سمعت فى هلع صوت ارتطام شيء ثقيل بالأرض • ولما هرعت الى المكتبة وجدت توماس ملقى على الأرض ، وقد أصيب بنوبة لم يفق منها قط ، ثم لفظ أنفاسه الأخيرة بعد نصف ساعة ، وكان جورج واخته أميليا قد بادرا الى الحضور وجلسا الى جوار فراشه •

وقد كتب جورج فى مذكراته يقول : « وهكذا مات رجل من أعظم رجال جيله ومن أعظم الرجال الذين عرفتهم فى حياتى » •

وكان جورج آبلى صادقا فيما قاله عن أبيه ، وهو قول يشير الى مدى نفوذ توماس آبلى على ابنه وعلى الأسرة كلها • لقد قادت يد توماس آبلى القوية زوجته وابنه وبناته بحنان وحب فى الطريق الصحيح طوال حياته ، ولهذا فان الصدمة التى أصابتهم حينما افتقدوه كانت عظيمة ، ولم يحسوا بمدى جسامة هذه الخسارة الا بعد أن غاب عن ناظريهم •

وعلى الرغم من أنه كان يتحدث كثيرا خلال حياته عن استثمار الأموال والتجارة ، فانه كان متحفظا فى الحديث عن تفاصيل شئونه المالية ، ولهذا فان نصوص وصيته أدهشت كثيرين من أفراد أسرته ، حتى أرملته ذاتها •

وقد كتب جورج آبلى بعد ذلك لابنه بعد عدة سنوات فى هذا الصدد فقال : « اننى كنت أعرف دائما أننا فى حالة مالية طيبة ، ولكنى لم أكن أتصور ، حتى وفاة جدك توماس آبلى أننا نتمتع بكل هذا الثراء • لقد كافح طوال حياته لكى يحررنى ويحررك أنت ايضا ، بطريق غير مباشر، من عناء جمع المال ، ولكن ليس من المسئولية التى تنبثق من هذه الحرية• انها مسئولية كبرى تجاه المجتمع وتجاه الناس • وسوف تحس بها يوما ما كما أحسست أنا بها من قبل • وأرجو أن تستطيع مواجهة هذه المسئولية بأفضل مما استطعت أنا •

ولما اطلع جورج آبلى على ما تضمنته وصية والده من هبات لم يملك الا أن يذعن لرغبة والده•وهذه الهبات تدل على مدى ضخامة التركة•فقد تبرع بمبلغ مليون دولار لجامعة هارفارد ، وطلب انشاء صندوق لهذا الغرض اسمه « صندوق آبلى » ينفق دخله على الطلبة البروتستانت • وتبرع بمبلغ مائتى ألف دولار لمدارس مدينة آبلى فولز ، وبمليون دولار لمدينة بوسطن • وبالاضافة الى هذا فقد أوصى بهبات كثيرة لكثير من المكتبات والجمعيات التاريخية والمنظمات الأخرى التى كان عضوا فيها ، وأوصى أيضا بمبالغ من المال لموظفى مكتبه وخدم منزله فى شارع بيكون وقصر هيلكرست ، على حسب مدة خدمة كل منهم ، وأوصى ابنه جورج

www.ibtesama.com

بأن يساعد كلا منهم اذا واجه ضيقا فى حياته • وتجاوز اهتمامه عالم البشر فأوصى بالعناية بالكلاب والجياد التى تعيش فى ضيعة هيلكوست، وخصص لهذه الضيعة وللحدائق مبالغ من المال لصيانتها ولدفع قيمة الضرائب منها • أما ممتلكاته وأمواله فقد وضعت تحت وصاية أخيه وليام آبلى وشركة (لديارد وهولينز) ، وأوصى بأن يقسم دخلها الى أربعة أجزاء تدفع بالتساوى لأرملته وأبنائه الثلاثة ، جورج وأميليا وجين • وحتى بعد هذه القسمة كان ما يخص كلا منهم مبلغا جسيما جدا يثير الدهشة • وعين جورج آبلى وصيا على أخته جين التى كانت حالتهـا فى ذلك الوقت تتطلب عناية خاصة •

وقد كتب جورج آبلى فيما بعد خطابا آخر لابنه قال فيه :

« كنا نعيش ، أنا وأمك ، حتى وفاة أبى ، على دخل قدره عشرة آلاف دولار فى العام ، وهو مبلغ كان يكفى كل احتياجاتنا • وقد أصابنى ذهول شديد ، وكذلك أمك ، حينما وجدنا ان هذا الدخل قد ارتفع فجأة ارتفاعا كبيرا • وقد أحسست تجاه هذا الدخل الضخم الجديد بشىء كثير من الحيرة ، بل من التقزز والنفور ، لأنى كنت قد ورثت عن أبى ، وأرجـو أن يكون هـذا هو حالك أيضـا ، نفورا شـديدا من التبـذير والاسراف ، وكنت أعتقد أن انفاق المال فى مظاهر « الأبهة والفخفخة » شىء ينطوى على الأثرة وحب الذات ، ولا يفيد المجتمع بأى حال • وكنت أتصور أن الشخص الذى يعيش حياة مترفة عالة على المجتمع ومدين له ، وكنت أفضل أن أكون دائنا وليس مدينا •

وقد أبدى أبى مرة ملاحظة سأرويها لك الآن لأنها توضح موقفـه تجاه هذه المسألة : كنت جالسا معه ذات مساء قبل وفاته بمدة غير طويلة فى شرفة قصر هيلكرست نرقب أسلاك الذهب المنعكسة من الشـمس الغاربة على أوراق أشجار الدردار الضخمة وأبديت حينئذ بعض ملاحظات عن الخدم ، ولكن والدى قاطعنى متململا وهو يضرب الأرض بعصاه وقال : اننى لا أحب كلمة « الخدم » اذا كان الغرض من استخدامها التفرقة بين طبقة معينة من الناس وبيننا • اننا جميعا خدم بصورة من الصور ، وقد خلقنا فى هذه الأرض لكى نخدم • وقد ألقى الخالق على بعضنا مهمـة أكبر من مهمة غيره ، وأعتقد ، مع شىء غير قليل من الأسف ، أننى أنتمى الى هذه الجماعة وانها لمسئولية جسيمة جدا حينما أفكر فى أننى سأقدم تقريرا لخالقى عن المهمـة التى وكلت بهـا • لقد قـدر لى أن أشرف على مصانع كبيرة فى هذه البلاد ، وعن طريقها كنت أهيمن على حياة أناس

www.ibtesama.com

كثيرين . ان هناك التزامات كبيرة لشخص فى مثل مركزى ، وفى مثل مركزك ، وأحد هذه الالتزامات أن تجعل حياتك لها قيمة بالمزايا التى أسبغها عليك الله . وحينما يكون الانسان مالكا لثروة كبيرة فانه ينبغى عليه ألا يسرف فى نفقات لا طائل من تحتها . وهذا هو السبب فى أنى كنت أعيش دائما على جزء صغير من دخلى ، وأستثمر جزءا آخر احتياطا للطوارىء ، وأخصص ما يتبقى لوجوه الخير .

وربما لم يطبق جورج آبلى هذه المبادىء حرفيا خلال حياته ، ولكنها كانت دائما ماثلة أمام ناظريه . وربما كان هذا سر بساطته التى ظل يفخر بها طول عمره . وكان يحاول دائما أن يضع الاعتبارات الفكرية فوق الاعتبارات المادية . ولهذا فانه كثيرا ما كان يدعو الى مائدته الشخصيات البارزة فى بوسطن فى مجال الأدب أو العلم .

ومن الصعب تصوير التغير الذى طرأ على حياة جورج آبلى ، بعد وفاة أبيه ، والجهد الذى بذله لكى يتلاءم مع الأوضاع الجديدة ، فقد وجد نفسه بين يوم وليلة على رأس أسرة آبلى التى بدأ أفرادها يلجئون اليه طلبا للنصيحة أو المعونة ، وبدأ يتلقى طلبات بالمساعدة من الجمعيات الخيرية ومعاهد التعليم ، وكذلك طلبات من عدد من النصابين والمحتالين المغامرين الذين سببوا له مواقف مؤلمة . وقد يكون من المفيد هنا أن نعطى مثالا لبعض هؤلاء المرتزقة الأفاقين الذين يحاولون ابتزاز المال بأية وسيلة ، ولا يتورعون فى سبيل ذلك عن التشهير بأسماء لها احترامها ومكانتها . فبعد أسبوع من وفاة توماس آبلى ، تلقى جورج الذى كان غارقا حتى أذنيه فى مشاكل لا حصر لها ، خطابا من نيويورك بتوقيع محام اسمه (بريسر) لم يسمع به أحد من قبل ، هذا نصه :

« سيدى العزيز :

وكلتنى سيدة ، يسرنى أن أخبرك باسمها ، فى اجتماع خاص بيننا فيما بعد ، فى مباشرة موضوع له صلة بعلاقتها بأبيك المرحوم توماس آبلى ، فقد قابلته هذه السيدة منذ بضع سنوات حينما كان يتردد على نيويورك للاشراف على أعماله التجارية ، وتطورت العلاقة بينهما الى أكثر من مجرد الصداقة ، وأثمرت هذه العلاقة غلاما يبلغ الآن الثانية عشرة من عمره . وقد أخبرتنى هذه السيدة صراحة أن المرحوم والدك طلب منها أن تترك عملها ككاتبة على الآلة الكاتبة فى احدى شركات شارع (وول ستريت) وأثث لها شقة وظل ينفق عليها عدة سنوات ، وأكد لها أنه سيضمن لها مستقبلها ومستقبل وليدها فى وصيته حين وفاته .

www.ibtesama.com

وانى أرجو أن تخبرنى بما ورد فى هذه الوصية لصالحها ، وتستطيع أن تعتمد على فى انهاء هذا الموضوع وأبلغك بأن موكلتى لاتريد ، كما لا أريد أنا ، اثارة هذا الموضوع علنا الا فى حالة الضرورة القصوى ، واننى اذ أضع نفسى تحت تصرفك ، اقترح أن أزورك فى بوسطن ، وان كنت أفضل أن تأتى الى نيويورك • ويؤسفنى أن أقول لك ان المسألة عاجلة ، وأن موكلتى فى حاجة ملحة للمال » •

وكانت الصدمة التى أصابت جورج آبلى بسبب هذا الخطاب أكبر من أن توصف ، وكان شعوره فى هذا الصدد هو شعور كل ابن يثق فى خلق أبيه واستقامته ثم يصدم بعد وفاته بقصص مختلفة مزيفة ، تهدف الى التشهير به والاساءة الى سمعته •

وكان من دواعى شرف مؤلف هذا الكتاب أن جورج آبلى لجأ اليه فى هذه المحنة ، فقد طلب منى أن أقابله لهذا الغرض فى دار آبلى بشارع بيكون •

وقد صرح جورج آبلى حينما جلسنا معا : أنها فرية كاذبة •• هذا محض اختلاق •• لقد فحصت كل أوراق والدى فلم أجد فيها شىء يشير الى مثل هذه السيدة •

ثم أردف قائلا :

« انك تعرف ، كما أعرف أنا ، أن مثل هذه الأكاذيب والأقاويل تحدث فى كل مكان • فنحن نسمع ، بين حين وحين ، قصصا وشائعات من هذا النوع عن كثير من الشخصيات المحترمة • ولكنى على أى حال سأذهب الى نيويورك •• يجب أن أذهب الى نيويورك » •

وتوجهنا معا الى نيويورك فى هذه الليلة ذاتها • ولما وصلنا الى الفندق ، جلسنا فى قاعة الطعام وبيننا على المائدة زجاجة من النبيذ الأحمر ، وبدا حينئذ أن جورج قد أزاح هذا الموضوع المقبض عن ذهنه ، وعاد اليه مرحه الذى عهده فيه أصدقاؤه خلال أيام الدراسة فى الجامعة •

وأخيرا قال : « يجب ألا تعرف أمى أى شىء عن هذا الموضوع» •

واستشرنا فى اليوم التالى بعض المحامين ، الذين كانوا يعاونون المرحوم توماس آبلى فى نيويورك ، وقد صدموا عند سماعهم القصة • واستدعينا المحامى الذى يسمى « بريسر » فى مقابلة خاصة ، وتبين لنا أنه لا يملك ، هو أو السيدة ، أى دليل على العلاقة التى زعما أنها كانت موجودة بينها وبين المرحوم توماس آبلى • وكان اشمئزاز جورج آبلى

www.ibtesama.com

الشديد وخوفه من حدوث شائعات تلطخ اسم الأسرة هو فقط الذى دفعه الى أن يكون كريما ، بناء على مشورة محاميه • وقد سويت المسألة بعد دفع مبلغ كبير من المال للسيدة المذكورة ، مع أن جورج آبل ظل حتى النهاية يعارض هذه الفكرة لأنه كان يرى أن الموافقة على دفع المبلغ يعنى اعترافا ضمنيا بدعوى السيدة • ولكن أكبر دليل على كذب هذه الدعوى انه منذ ذلك اليوم لم يسمع أحد عنها أى شىء •

وقد انهمك جورج آبل بعد ذلك فى أعماله الكثيرة الى درجة بدأ يشكو معها من سوء الهضم الذى كان قد أصابه عقب زواجه ، ثم أصبح بعد ذلك مزمنا • وقد نصحه الأطباء بأن يستريح بعض الوقت • وأن يأخذ اجازة طويلة لهذا الغرض ، واستمع جورج لهذه النصيحة فقام برحلة مع اثنين من أصدقائه ، كان مؤلف هذا الكتاب أحدهما ، الى جزيرة « بيكود » المشهورة بغاباتها الباسقة ومناظرها الطبيعية الخلابة ، حيث أمضى فيها فترة من الوقت أنسته كل متاعبه ، وأعادت اليه نشاطه وحيويته ، وقد أحب هذه الجزيرة الى درجة أنه واظب خلال الأعوام التالية على زيارتها بانتظام فى كل صيف •

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com

الفصل الخامس عشر

أيام جزيرة بيكود

لقد وصف مؤلف هذا الكتاب مخيم ، أو معسكر جزيرة بيكود ، والحياة على هذه الجزيرة التى تشبه الجوهرة ، والتى ترقد فى عزلة فى حضن المياه الزرقاء فى احدى بحيرات اقليم (الماين) ، فى مذكراته التى جعل عنوانها « أيام جزيرة بيكود » ووزع نسخا منها على المقربين من أصدقائه الذين أسعدهم الحظ برؤية هذا المكان الرائع ، وهذه مقتطفات مما جاء فيها :

« اننى أتذكر جيدا أول يوم رأيت فيه جزيرة بيكود . كان ذلك بعد ظهر يوم من أيام شهر سبتمبر ، وقد هبت رياح باردة قبيل الغروب ، حينما شقت ثلاثة زوارق تحمل ثلاثة رجال متعبين مع مرشديهم طريقها فى مياه بحيرة بيكود الهادئة . كان هؤلاء الرجال الثلاثة يزمعون نصب خيامهم فى الجزيرة ، وكان أحدهم هو جورج آبلى ، والثانى صديقنا ونيتروب فاسال ، والثالث أنا . وكان مرشدنا هو « نورمان راو » ، أمهر من قاد الزوارق فى هذه المنطقة ، والذى ظل مدى سنوات طويلة المرشد ، والفيلسوف ، والصديق لكل من أراد أن يحج الى جزيرة بيكود . وليس ثمة مايدعو الى وصفه هنا ، فنحن كلنا نعرفه ، هذا الرجل المحبوب ،ابن الغابات ، الذى وهب له ذلك الصبر الهادىء ، والتسامح ، اللذان يولدان فى الفضاء الفسيح والبرارى الواسعة . ولقد اعتدنا ان نراه دائما يتحدث وقد حشا شدقه بالطباق ، يروى الحكايات فى مرح ، ويتبادل النوادر مع جورج آبلى حول نار المخيم . وقد كانت العلاقة بين جورج آبلى ، ابن بوسطن ، وبين نورمان راو ، ابن منطقة الماين ذى اليد الخشنة والعين اليقظة ، علاقة مدهشة ، وجميلة . ولكنها ربما لا تدعو الى الدهشة ، فكلاهما ينتسب الى اقليم نيوانجلند الذى يلقن أبناءه جميعا فلسفة مشتركة فى الحياة .

لقد كنا متعبين حقا حينما اقتربت زوارقنا من المنحنى الذهبى للشاطىء الذى يحف بالمنحدرات التى تكسوها غابات جزيرة بيكود ،

www.ibtesama.com

ولكنه كان تعبا لذيذا ونزلنا الى الماء لنستحم ، فى حين انهمك المرشدون فى نصب الخيام ، وصنع أسرة لنا من الأخشـــاب التى اقتطعوها من أشجار البلسم ، واعداد العشاء المؤلف من السمك المشوى ، واعداد القهوة . كان السكون يخيم على كل شىء فى هذه البرارى الموحشة ، فيما عدا صوت مروق الاسماك فى الماء ، أو صوت نحيب الطيور الحزين ، ولما عدنا الى الشاطىء ، جلسنا حول نار المخيم ، ودعا جورج آبلى المرشدين ، بروح الزمالة اللطيفة المعهودة فيه ، الى الجلوس بيننا ، بدلا من أن ينسحبوا فى ركن منعزل . لقد كانت لديه موهبة ، ربما ورثها عن أجداده الذين خاضـوا البحار فى جعل مثـل هؤلاء الناس يشعرون براحتهم ، حتى لقد كان المرء يتوهم أن آبلى واحد منهم ، وقد جر « نورمان راو » الى الحديث عما يعرفه عن عادات كلب البحر والأيائل . وحينما حلق « نورمان راو » الى ذروة الخيال وهو متحمس فى رواية أقاصيصه وذكرياته أخذ جورج آبلى يرمقه بعين ماكرة يعرفهـا من رافقوه فى جولاته فى الغابات . ولما أتم « نورمان راو » احدى قصصه عن كلب البحر الأليف الذى كان يدق الجرس فى المخيم كلمـا شـعر بالجوع ، قال له جورج آبلى فى مرح : « اننى أصدقك يانورمان .. وكلنا نصدقك .. » واشترك معنا « نورمان راو » فى موجة الضحك التى أثارتها حكايته . ثم وضع جورج آبلى يده بطريقة ودية على كتفه وقال : « نورمان .. انك رجل طيب ولا ينبغى ان نفقدك . اننى سأشترى هذه الجزيرة وسأضعك فيها . »

وكانت هذه هى بداية انشاء مخيم جزيرة بيـكود . ان روح المحبة والزمالة التى انبثقت فى الجزيرة تلك الليلة لم تخمد بعد ذلك أبدا ، وظلت جزيرة بيكود مكانا يستطيع المرء فيه أن يروى ظمأه للطبيعة العذراء ، وأن يشرب من نبع مفاتنها ومباهجها كما يشاء وقد أنشأ فيها جورج آبلى أكواخا على شكل « كبائن» أطلق على كل منها ، من قبيـل الفكاهة ، اسم أحد آثار روما الخالدة ، وكانت تتوسطها « كابينة » كبيرة اطلق عليها اسم « القاعة الرومانية » . وبلغ من كرمه أنه أنشأ أيضا عنبرا للنوم خاصا بالسيدات المتزوجات سماه (قاعة العزارى) وذلك من قبيل الفكاهة أيضا. وكان الضيوف الذين يأتون الى الجزيرة للاقامة فيها فترة من الوقت يدفعون مبلغا زهيدا من المال ، كاشتراك اسمى ، نظير المسكن والطعام ، وذلك حتى لا يحسوا بأن صاحب الجزيرة صاحب فضل عليهم ، أو بأنهم ضيوف ثقلاء . وكان جورج آبلى يغطى من جيبه العجز الناتج عن الفرق بين قيمة الاشتراكات وبين النفقات الحقيقية.

www.ibtesama.com

وكل الذين زاروا جزيرة بيكود يتذكرون العبارة التى كتبت بحروف كبيرة مصنوعة من كتل أشجار البلوط، وهى عبارة تنطوى على حسن الاستقبال وترمز الى طبيعة المكان : « يامن تضعون اقدامكم على هذه البقعة من الارض ، اتركوا العالم وراءكم » . والواقع أن كل من جاءوا الى الجزيرة اتبعوا هذه النصيحة ، والقوا وراء ظهورهم هموم الدنيا ، ونسوا ، أو على الاقل تناسوا مشاغل الحياة ومتاعبهم ،وكان من راى جورج آبلى أيضا انه لايجوز احتساء الخمر أو التدخين فى الجزيرة . وقد كتب على لوحة قرب المكان الذى توقد فيه النيران كلمة مرحة تقول « دخان الخشب يكفى ! » ومن المدهش أن كل من جاء الى الجزيرة سرعان ماشفى من الرغبة فى التدخين .

وكانت فكرة جورج آبلى فى بادىء الأمر أن تصبح جزيرة بيكود منتجعا للرجال فقط ، على اعتبار أن الحياة الخشنة فيها لا تلائم الجنس اللطيف . ولكنه ادرك خطأه بسرعة لحسن الحظ . ولم يمض عامان حتى ذاع صيت جزيرة بيكود في مدينة بوسطن بحيث لم يعد من الممكن أن تكون مقتصرة على الذكور وحدهم . ففى الصيف الثالث جاءت الى الجزيرة كاترين ، زوجة جورج آبلى ، وأخته أميليا ، واليهما يرجع الفضل فى كثير من التقاليد التى لاتزال تسود الجزيرة حتى اليوم . وقد وضعت كاترين مبدأ ينص على ان ترتدى النساء فى الجزيرة أبسط الثياب : فستان التاكى ، وبلوزة من (الفلانل) وجوربا أسود وحذاء أسود من غير كعب . ولهذا فان زوار الجزيرة من نساء الطبقة الراقية فى بوسطن كن يدهشن حينما يجدن أن الفتيات اللاتى يقمن بالخدمة فى قاعة الطعام يرتدين ثيابا أفخم من ثيابهن التى روعى فيها أن تلائم تقاليد الجزيرة .

أما أميليا فقد أمرت بتعليق جرس يدق فى الساعة السادسة والنصف صباحا لايقاظ رواد الجزيرة ، ودعوتهم الى تناول الافطار ، والفت أغنية لطيفة كانت تنشد لحث المتأخرين فى النوم على النهوض. وهذا مطلعها :

أيها المتأخرون .. أيها المتأخرون .. لقد أكلنا كل
الطعام ولا ينتظركم الآن سوى البيض البارد .

ووضعت أميليا تقليدا يقضى بأن يجتمع الزوار عقب الافطار على هيئة ندوة تبدأ بأداء صلاة قصيرة ، كى يناقش فيها جدول أعمال اليوم .

www.ibtesama.com

وقد اقترحت فى بادىء الامر أن يتولى جورج آبلى رياسة هذا الاجتماع البرلمانى ، ولكنها تقلدت هذا المنصب فيما بعد . وكان أعضاء الندوة يشتركون ، كبارا وصغارا ، فى مناقشة جميع أنواع النشـــاط التى سيقومون بها فى الصباح وبعد الظهر ، ويضعون البرامج التى تناسب كل الرغبات والأذواق . فهواة صيد السمك مثلا ، كانوا يذهبـــون الى خليج (سترجيون) ،وهواة جمع ثمار الشليك كانوا يقومون بهذه المهمة عند جبل النسر ، أما جماعات العمل فكانت تذهب لقطع الأخشاب ، أو طلاء الزوارق ، أو شـــق الطرق فى الغابة . أما « العـاطلون » فكان البروفسور « سباير » يجمعهم ليجلسوا بهدوء تحت الأشجار على المقاعد المصنوعة من كتل الخشب ليقرأ عليهم مقتطفـات من الكتب الجيدة . وكان من حق الأطفال والفلمان الصغار ، وكان من بينهم جون واليانور ابنا جورج آبلى ، واصدقاؤهما ، الاشتراك فى نشاط أية جماعة من هذه الجماعات .

وفى المساء كان الاعضاء يحتشدون فى الكابينة الكبيرة حيث يلقى سكرتير كل جماعة بيانا بما حققته جماعته من أعمال فى خلال اليوم ، وتجرى المناقشات فى جو يسوده المرح والألفة والضحك ، ثم يأوى الجميع الى مضاجعهم فى حضن جزيرة بيكود الحنون .

وليس ثمة حاجة للقول بأن الذين كانوا يزورون الجزيرة كانوا من نخبة الناس ، ومن صفوة الشخصيات فى المجتمع . وكان توجيه الدعوة اليهم لزيارتها يعتبر بمثابة تكريم لهم ، ولهذا فان كل من كانت تصله مثل هذه الدعوة يحس بالفخر والاعتزاز ، وبأنه موضع احترام وتبجيل . وقد وفد كثير من الشعراء والموســـيقيين والفلاسفة ورجال الفن والدبلوماسيين على جزيرة بيكود ، ومروا من تحت اشـــجار البلوط الضخمة التى تحرس باب « القاعة الرومانية » .

لقد كانت روح المرح تسيطر على الجزيرة ،ولكن السمة التى يتذكرها الانسان جيدا هى خلق المضيف ، جورج آبلى ، وكرم شمائله . لقد كان كل شخص يحس بوجوده حتى ولو كان غائبا . وقد بلغ من حبه للطبيعة والوحدة فيما بعد حدا عظيما حتى أنه بادر الى تكوين جماعة خاصة أسماها « فريق الرحلات » وضـــع على رأســـها نورمان راو ، وزودها بالزوارق والخيام ، وكان يقوم معها برحلات تســـتمر أياما أو أسابيع الى الاماكن غير المطروقة من الشاطىء او مجارى المياه . وكان افراد هذه الجماعة يتألفون من الرجال فقط وخاصـــة من أصـــدقائه

www.ibtesama.com

القدامى ، ولم يسمح لزوجته كاترين ، أو أخته أميليا بالاشتراك فيها قط ، وان كان قد سمح بذلك فيما بعد لابنه جون .

وقد كتب جورج آبلى فى ذلك الوقت خطابا الى صديقه الدكتور سيويل الجراح الشهير ، قال فيه :

« انك تعرف حبى الشديد لجزيرة بيكود . اننى ادرك ان بعض سحرها يرجع الى أنها تجعل روادها سعداء ، وجانب كبير من الفضل فى ذلك يرجع الى كاترين واميليا . وقد استمتعت والدتى بمهرجان (روبين هود) الذى أقيم بالجزيرة هذا العام ، وبالمناقشات والأغانى التى كانت تدور فى المساء . وفى ذهنى خاطر أود أن أطلعك عليه ، ذلك أننى حين أتيت الى جزيرة بيكود لأول مرة كنت أظن أنى سأبتعد بعض الوقت عن بعض الأشياء التى تشغل كل انسان ، وأنى سأستريح هنيهة التقط فيها أنفاسى ، من كل شىء اعرفه وأحبه . ولكنى كنت واهما فى ذلك، وهذا شىء أعتقد انى فى حاجة الى بعض الشجاعة لكى أعترف لك به . لقد ساورنى شعور غريب بأن بوسطن كلها قد أتت معى الى هناك واعتقد أننا لن نستطيع أن نهرب من بوسطن كلية ، كما اعتقد اننا لا نرغب فى ذلك حقا . كل ما فى الأمر أننا نحب هذا الجو الشاعرى الذى يسود الجزيرة ، والذى يختلف اختلافا تاما عن الحياة فى بوسطن ، نحب المياه المتساقطة من مجداف الزورق وأريج أشجار البلسم ، والرائحة الحلوة التى تفوح من أزهار الزنبق فى الغدران ومن الطين ، ونحب التعب عقب قيامنا برحلة طويلة . كل هذه الاشياء لاتزال تميز جزيرة بيكود . ان الزوارق جاهزة ، وتستطيع حينما تأتى لزيارتنا أن تذهب فى رحلة معى ، أو أن تتحدث مع البروفسور سباير . اننى انا نفسى امضى الصيف تحت الخيام فى المعسكر ، فيما عدا بضعة أيام أقوم فى خلالها ببعض رحلات بقصد تغيير المناظر أعود بعدها الى حيث بدأت . وحتى فى هذه الرحلات يساورنى شعور غريب بأنى أعيش فى حلقة مفرغة. كم أود، بحق السماء، لو لم تكن حياتنا مجرد حلقات مفرغة . اننى أتمنى لو استطعت أن اتحرر احيانا من شخصيتى ، فأننى احس بانها تكبلنى بقيودها الثقيلة. ارجو أن تحتمل فى هذا الكلام ، فأنت تعرفنى أكثر من أى شخص آخر ، وأنت تعلم أنها مجرد حالة نفسية سرعان ماتزول . وقد انتابتنى هذه الحالة الليلة لأنى ظللت أستمع عدة ساعات لمناقشات وأحاديث تنطوى على الذكاء ، وانا شخص قليل الحظ من الذكاء ، اننى أحس أحيانا بشعور غريب يخيل لى معه ان الدنيا تزداد ضيقا ، وأن العالم يتحرك فى مدار خاص به مستقلا عن باقى الكواكب الأخرى ، وانه يدور هو أيضا فى حلقة

www.ibtesama.com

مفرغة . اننا نتكلم عن الحياة ، ونتكلم عن الفن ، ولكن هل نحن نعرف حقا اى شيء عنهما ؟ هل عاش منا أحد حقا ؟ اننى اشك فى ذلك أحيانا . أخشى ان أقول اننا اناس نثير الذهول ، وضعنا فى قوالب اجدادنا .. ليست هناك قفزات ، وليس هناك قوى تجعلنا ننطلق من هذه القوالب التى تضغط على كياننا وتقيد حريتنا فى الحركة .

بالطبع انت تدرك هذه الأمور أكثر منى ، يامن تغوص كل يوم فى أعماق الحياة ، فى غرفة العمليات بالمستشفى . تعال لزيارتى وأخبرنى بأنى على خطأ » .

وقد كتب لابنه جون خطابا ، بعد ذلك ببضع سنوات ، يختلف فى اللهجة عن الخطاب السابق :

عزيزى جون ..

يؤسفنى أنك لم تأت الينا فى جزيرة بيكون لتمضى أحد شهور الصيف كالمعتاد فى كل عام ، وفضلت بدلا من ذلك أن تزور أصدقاءك فى مدينة (بارهابر) . ان هذه المدينة يسودها جو المال الذى لم أحبه قط ، واخشى أن يكون ذهابك الى هناك لهذا الغرض فقط . ويبدو لى انك ، وأصحابك الشباب ، لستم قانعين كما كنت انا حينما كنت شابا . وقد يكون سبب ذلك أن العالم يتحرك بسرعة أكثر مما مضى . وقد أدركت حقيقة هذا التغيير حين تخليت انا وأمك عن العربة وبدانا نستخدم السيارة .

ان ما يقلقنى حقا ، مع ذلك ، بشأن عدم حضورك الى جزيرة بيكود هو أنى اخشى انك تنوى أن تهمل واجبا يجب أن تقوم به نحو الآخرين . ان جماعتنا الصغيرة فى جزيرة بيكود فى حاجة الى التعاون من جانب كل فرد لكى تظل متماسكة ومترابطة ، وهذا التعاون يتطلب ، كما اعتقد ، قدرا من التضحية بالميول والرغبات الشخصية .

وان واجبى وواجبك ، بصفتك ابنى ، يقتضى منا أن نجعل ضيوفنا هنا سعداء ، وان نتغاضى فى سبيل ذلك عن بعض المتاعب التى قد تتعرض لها . اننى أعلم انك تتضايق من بعض التدابير الصارمة التى تصر عمتك اميليا على تطبيقها هنا ، واعترف معك بأن بعضها يثير الضحك . اننى كنت أتمنى مثلا ، بصراحة ، لو لم انهض من النوم فى الساعة السادسة والنصف صباحا . وكنت أتمنى أن امضى النهار بطوله افعل ما أشاء . ولكنى أعرف الآن أن مثل هذه الأمانى تنطوى

www.ibtesama.com

على الترف والضعف . وسيتضح لك مع مرور الأيام انك جزء من المجتمع الذى يفرض عليك التزامات ينبغى أن تطاع ، واننا يجب ، فى كل نواحى الحياة ، يجب أن نذعن للارادة العامة . نعم ، ان هناك اشياء يجب ان يفعلها المرء ، واشياء يجب الا يفعلها ومن بين الاشياء التى ينبغى لك ولى الا نفعلها هو أن نهمل واجباتنا تجاه جزيرة بيكود .

اننى أريد أن اقول لك شيئا واحدا ياجون ، وستعرف يوما ما انى كنت على حق . ان هناك واجبات معينة لا يستطيع الانسان ان يتهرب منها ، ولا أعرف لماذا ، وقد فكرت كثيرا فى ذلك من غير أن أصل الى نتيجة محددة . وربما يكون سبب ذلك أننى وانت قد ولدنا فى بيئة تسيطر عليها غرائز موروثة معينة ، انك تستطيع ان تترك جزيرة بيكود الى مدينة (بارهاربر) ولكن جزيرة بيكود ستظل مع ذلك جزءا منك . وتستطيع ان تذهب الى اقصى مكان فى الارض ، ولكنك ستظل مع ذلك ، بصورة ما ، تعيش فى بوسطن .

هذه حقيقة لا مفر منها ، ولكن صدقنى .. انها حقيقة يجدر بنا أن نفخر بها ونعتز . انها تعنى أن الانسان جزء لا يتجزء من جماعة بعينها ، وهذا شىء يبعث الثقة والطمأنينة فى النفس ، على اى حال تستطيع ياجون أن تذهب الى (بارهابر) ولكنك لن تستطيع أن تبتعد عن جزيرة بيكود .

www.ibtesama.com

الفصل السادس عشر

صورة رجل « جنتلمان »

حينما يتطلع المرء الى العقد الاول من هذا القرن ، فانه يلحظ تغييرا ماديا محسوسا فى المظاهر المادية للحياة . وهذا التغيير هو ، على الأرجح ، عبارة عن تجمع للقوى من الداخل ،وهو تجمع لا نعرف متى ينتهى . وقد استطاع جورج آبلى أن يدرك تأثير هذه القوى وفاعليتها فى خلال فترة من أخصب فترات حياته وأهمها . والواقع ان هذا العقد كان قمة نشاطه وحيويته ، وكان قد بلغ فيه ذروة الرجولة ، ووصل فيه الى عتبة منتصف العمر . وفى خلال هذا العقد ، وعام ١٩٥٠ بالتحديد ، رسم الفنان العبقرى (جون سارجنت) صورة لجورج آبلى ، كشف فيها عن مقدرته الفائقة فى ابراز شخصيات من يرسمهم من خلال الخطوط والظلال . وفى هذه الصورة التى آلت الآن الى ابنه جون ، يظهر آبلى فى بزة عمل رمادية اللون ، مع الياقة العالية التى كانت شائعة فى هذا العهد ، وقد اتكأ باحدى يديه على منضدة عارية ، ووضع نصف يده الأخرى فى الجيب الخارجى للجاكيت . لقد كانت صورة بسيطة لرجل نحيف ،له شارب طويل رمادى ، وأنف حاد وفك يدل على قوة الارادة ويدان طويلتان ورقيقتان . وكانت الصورة فى مجموعها تدل على أنها لرجل مهذب ، ذى أصل طيب ، أو كما قال من شاهدها ، صورة (رجل جنتلمان)

كانت هذه هى صورة جورج آبلى ، رجل الأعمال المعروف الذى يسير عبر الميدان العام الى مكتبه فى صباح أى يوم من أيام الشتاء ، بخطوات واسعة نصف مكترثة . انه ابن بوسطن الحقيقى ، الذى يحب بلده وبنى قومه . ولقد أدرك جورج آبلى فى ذلك الوقت ، كما أدرك كثيرون من مواطنيه ، أن المجتمع الذى يعيش فيه معرض للخطر ، وقد تحقق من هذا حينما رشحه عمدة بوسطن فى احدى اللجان التى شكلت للبحث فى المسائل المتعلقة بتحسين وتجميل شارع (مول). ومع أن

www.ibtesama.com

هذا الترشيح لم يكن بذى اهمية كبيرة لديه ، الا انه لم تكن من عادته أن ينكص عن أى واجب يفرضه عليه الصالح العام ، ولهذا فقد بدأ يحضر اجتماعات اللجنة بانتظام وقد أذهله تكوين هذه اللجنة أكثر مما أذهلته تصرفاتها . وقد دفعته التجربة التى خاضها فى هذا الصدد الى زيادة اهتمامه بشئون المدينة والى التعرف بكثيرين ممن يحاولون القاء الضوء على سياسة مجلسها البلدى ، وهكذا نجده فى عام ١٩٠٢ يبعث بخطاب الى المستر (هنرى سولتر) الذى كان يرسل باستمرار مقالات فى هذا الشأن الى صحيفة (ترانسكريبت) .

عزيزى المستر سولتر ..

سمعتك اكثر من مرة تتحدث عن التراخى ، واننى استخدم هنا تعبيرا رقيقا هو الذى تشاهده فى ادارة شئون مدينتنا . وانى لأشعر بأنى كنت مذنبا لأنى لم أدرك هذه الحالة من قبل بسبب انشغالى فى أعمالى الكثيرة الأخرى الى أن وجدت نفسى عضوا فى اللجنة الاستشارية التى تبحث فى تحسين وتجميل شارع (مول) ، وحينئذ أدركت لاول مرة أن مدينة بوسطن أصبحت مكانا عجيبا اختلط فيه الحابل بالنابل. وقد دهشت حين استمعت الى المناقشات التى دارت فى اللجنة ، فقد أيقنت أنها مؤلفة من أناس غير مهذبين ، معظمهم من الايرلنديين ، وليست لديهم أدنى رغبة فى تحسين حال المدينة ، وليست لديهم اية أفكار لها قيمة . والذى أقلقنى بصفة خاصة أن اعضاء هذه اللجنة يريدون أن يعهدوا بعمليات تجميل الشارع الى اثنين من المقاولين ، يبدو انه تربطهم بهما علاقات صداقة شخصية ، وأدهى من ذلك انى لحظت أن العطاء الذى قدماه كان أكبر كثيرا من العطاء الذى قدمه غيرهما من المقاولين . ويبدو أن مسائل الاقتصاد على الاقل لم تكن تهم أعضاء اللجنة على الاطلاق . وكان كل ما يردون به على الملاحظات التى وجهت اليهم فى هذا الشأن ان هذين المقاولين يؤديان عملهما جيدا وانه سبق لهما أن قاما بعمليات مماثلة من قبل ! ومما أثار دهشتى أكثر أن أحدا منهم لم يكترث باقتراحاتى فى قليل او كثير ، بل ان بعضهم أعرب عن استيائه وتذمره منها . وقد قال لى أحدهم : « اننا لا نريد غير صوتك .. اننا نعرف جيدا مثل هذه الأعمال .. ولكنك لن تستطيع فهمها .. يامستر آبلى . » فاذا كانت شئون مدينتنا تساس بهذه الطريقة ، فلابد أن هناك خللا خطيرا فى ناحية ما . ونحن الذين كان ينبغى علينا ان نعنى بشئون المجلس البلدى لمدينتنا ، وأن نضفى عليه ماينبغى من ذوقنا وضميرنا ، قد أهملنا حقا فى القيام

www.ibtesama.com

بمهمتنا التى تفرضها علينا مقتضيات الواجب . وانى لأرجوك ان تزورنى لكى نتحدث معا فى هذا الشأن .

ان كل الذين وجهوا انتقاداتهم الى مدينتنا ، سواء عن صواب او عن خطأ ، لايستطيعون أن ينكروا روح الايثار والتضحية التى تميز العناصر الصالحة فيها .

وهذا الخطاب الذى بعث به جورج آبلى الى المستر (سولتر) يدل على أن العناصر الطيبة فى بوسطن قد استيقظت من سباتها . ومن الواضح اليوم أن هذه العناصر كانت قد بدأت تلحظ انها أهملت بعض نواحى النشاط العام حولها نتيجة لانشغالها بمصالحها الخاصة ، وأن تدرك أن المدينة قد اتسع نطاقها وأنها نمت بسرعة لم تكن فى الحسبان .. وقد أصبح جليا ايضا أن راس الفساد قد بدأ يطل فى اتجاه مدينة بوسطن ، كما حدث فى كثير غيرها من المدن الامريكية .

وكان من الممكن ان يدع جورج آبلى تجربته مع هذه اللجنة تمر من غير أن يبالى بها أو يوليها أى قدر من الاهتمام ، نظرا لأنه ، كما صرح بذلك مرارا ، لايهتم كثيرا بمسائل السياسة ، فضلا على أنه لا يحب التعامل مع محترفى السياسة وهواة الجدل والسفسطة ، ولكن ضغط أصدقائه وافراد أسرته عليه ، أثار فيه الشعور بالواجب العام ، وجعله يلجأ الى (هنرى سولتر) ، هذا الرجل الجرىء الذى يسعى الى الاصلاح والذى لا يدخر فى سبيله أى جهد او تضحية ، ويعرض عليه أن يتعاون معه لتحقيق هذا الهدف ، وقد رحب (سولتر) كل الترحيب بهذا العرض الجميل الذى جاءه من رجل من طراز جورج آبلى .

وقد كتب جورج آبلى خطابا الى صديقه (ووكر) بهذه المناسبة جاء فيه :

« هل تذكر زميلنا (هنرى سولتر) الذى كان معنا فى جامعة هارفارد ؟ اننى ما زلت أذكر كيف كنا نسخر من ذلك الشاب الشاحب اللون ، الذى كنا نسميه (دودة الكتب) ، الذى يضع على عينيه عوينات . صدقنى انه اصبح الآن شخصا آخر .

لقد بدأنا ندرك ، أنا وهو ، أن العناصر الطيبة فى مدينة بوسطن قد أغفلت أشياء كثيرة كان يجب عليها أن تعنى بها ، وان المدينة أصبحت مرتعا خصبا لكثير من المساوى الاجتماعية . ان الرذيلة المنظمة أصبحت على مرمى حجر من دورنا ، وأصبحت الرشوة تجارة شائعة ، وقد اثرى

www.ibtesama.com

كثير من الموظفين على حساب دافعى الضرائب . وفضلا على ذلك ، فانه يبدو أن الانحلال بدأ يسرى فى الأخلاق والآداب العامة . وان البرامج التى تعرض الآن فى قاعات الموسيقى لأكبر شاهد على ذلك ، فهى تصدم كل انسان لديه أى قدر من الخجل والحياء ، هذا مع أنى أعتبر نفسى شخصا واسع الأفق غير متزمت .

ان العناصر الطيبة يجب ان تنظم لكى تكافح بطريقة فعالة هذه الأحوال السيئة ، ولكنى لا أعرف كيف ، لانه تبين لنا أننا لسنا سوى أقلية ضئيلة تواجه غالبية فاسدة .

والخطاب التالى الذى بعثت به اليه اخته أميليا له مغزى فى هذا الشأن لا يخفى على أحد :

عزيزى جورج ..

أخبرنى زوجى « نيوكومب » انكما تلقيتما دعوة للعمل فى لجنة شكلت أخيرا لانشاء منظمة جديدة ، أطلق عليها (جمعية انقاذ بوسطن) وقد تغلب « نيوكومب » على تردده الذى كان يمنعه من عمل أى شىء نافع ، وأعلن انه سيقدم خدماته لهذه المنظمة ، وأنت يجب أن تفعل مثل ذلك . ان اسمك له أهمية كبيرة ويجب ان تكون أسرتنا ممثلة فى هذه المنظمة ، لقد عدت توا من نادى « القراءة فى الصباح » حيث ألقى (هنرى سولتر) محاضرة ، اننا يجب أن نطهر بوسطن ، وسنفعل ذلك . فاذا عجزنا عن ذلك فان بوسطن ستصبح مدينة ايرلندية تسيطر عليها كنيسة روما الكاثوليكية ، واننى على يقين من انك ، من أجل كرامتك وكرامتنا ، ستشترك مع نيوكومب فى هذه اللجنة .

واذا كان جورج آبلى قد أبدى حينئذ شيئا من البطء فى الاستجابة لهذا النداء ، فانه فعل ذلك بدافع الحذر وليس بسبب افتقاره الى الجرأة . وقد رد على أخته اميليا بخطاب جاء فيه :

يبدو لى أن المسألة قد دخلت دورا هستيريا بعض الشىء فانى أريد أن أتعرف أولا ما تلك المنظمة التى تسمى (جمعية انقاذ بوسطن) وما أهدافها ويبدو اننا نسينا أن كل تلك المساوى ، التى نسمع عنها ظلت قائمة فترة طويلة من الزمن من غير أن تسبب لأى واحد فينا أى ازعاج حقيقى . وهكذا ترين يا أميليا مبلغ اندفاعك فى النظر الى الأمور .

وعلى كل حال فيسرنى ان اخبرك بأن زوجتى كاترين متفقة معك

www.ibtesama.com

فى الراى . اننى لم أرها قط اهتمت بشيء مثل اهتمامها بهذه المسألة ، وقد ظللنا نتناقش فيها طيلة المساء . ولكنى لا ازال أشعر بأننى لست اهلا لمعالجة مثل هذا الموقف الصعب .

ولكن ادراك جورج آبلى بأهمية « جمعية انقاذ بوسطن » بالنسبة للمصلحة العامة سرعان ما تغلب على شعوره بالقصور والعجز ، وقرر الانضمام اليها . وجورج آبلى من هذا الطراز من الناس الذى اذا صمم على الدفاع عن قضية ما فانه لا يتراجع بعد ذلك قط . وقد ظل سنوات كثيرة يجمع لها المال من غير كلل أو ملل ، ويدعو أصدقاءه الى الانضمام اليها .

ان الأعمال التى قام بها « هنرى سولتر » وجمعية انقاذ بوسطن لأعظم من أن تكون فى حاجة الى تعريف فى هذا المقام . والمغزى السياسى لهذه الجمعية ، والتأثير الذى احدثته فى توعية الراى العام واطلاعه على كثير من المساوى ، وجراتها فى الكشف عن عدد كبير من المثالب والنقائص التى أحرجت المسئولين الرسميين ، كل هذا أصبح جزءا من تاريخ مدينة بوسطن . وفضلا على ذلك فان هذه الجمعية كان لها اثر فعال فى بث روح النشاط فى الجمعية وفى كثير من الجمعيات الأخرى مثل (جمعية المعلمين) التى فعلت الكثير للقضاء على مساوى التعليم العام ، و (جمعية الآباء) التى اذهلت الراى العام بالحقائق التى كشفتها عن النقص الأدبى الذى يعانيه أطفال المدينة .

وقد صدم جورج آبلى صدمة مؤلمة حينما وجد أن اهتمامه بهذه الجمعية قد صادف معارضة ، بل صادف ريبة ، من بعض الدوائر ، حتى من أفراد أسرته انفسهم الذين اختلفت آراء بعضهم مع آرائه فى هذا الصدد ، وقد تلقى من عمه وليام خطابا كان له وقع محزن فى نفسه :

عزيزى جورج :

لقد تحدثت معى ليلة أمس بشأن جمعية انقاذ مدينة بوسطن ، وكنت تقصد من ذلك أن أتبرع لها بمبلغ من المال . ولكن هل تريد نصيحة من شخص أكبر منك سنا ؟ . انك تقصد شيئا لا تستطيع ان تمضغه . اننى متعود على امثال هذا الرجل الذى تريد ان تهاجمه لانى وجدت أنه لا مناص من التعامل معه . انك لا تفهمه . وتذكر كلامى جيدا : انه سيخلق لك المتاعب ان عاجلا أو آجلا . انه لا يهتم مقدار ذرة واحدة بما تفكر فيه .

www.ibtesama.com

وقد تلقى جورج آبلى نصائح مماثلة من بعض أقاربه ، ناشدوه فيها أن يقلع عن أفكاره الاصلاحية التى وصفوها بأنها متطرفة ، وعلى ضوء الحقائق التى نعرفها ربما كان من الأفضل له أن يتبعها ، ولكنه لم يكن بالرجل الذى ينكص على أعقابه .

وقد كتب لعمه وليام يقول : « اننى لا اجد لذة او متعة فيما افعله. وقد تكون على صواب فيما تقول ، كشأنك فى معظم الاحوال ، ولكنى أشعر بان هذا واجبى ويؤسفنى أن أقول لك اننى سأمضى قدما فى طريقى » .

وعلى أى حال فان اهتمام جورج آبلى فى هذه الفترة من حياته بمثل هذه المسائل كان اهتماما سلبيا . فقد كانت حياته حينئذ قد امتلأت بالمشاغل الأخرى لعل من اهمها ما يوضحه خطاب ارسله الى لجنة قبول الاعضاء فى نادى المقاطعة ، وقد كان هذا الخطاب بداية صدام يعرف مؤلف الكتاب ان جورج آبلى كان يفضل أن يتحاشاه .

سادتى الأعزاء :

لاحظت اليوم وجود اسم (ماركوس رانسوم) على لوحة النادى . وان كلا من مستر (ستوريل مور) والمستر (فرانكلين فيلرز) يرشحانه لعضوية النادى . وأود أن أبلغكم انى اعترض بشدة على هذا الترشيح .

وهذا الاعتراض ليس له طابع شخصى ، فقد جلست معه عدة مرات فى مناسبات مختلفة . ومع انه أمضى فى بوسطن عشر سنوات فقط فان سلوكه طيب ويبدو كجنتلمان من الظاهر . انه لا يملك الصفات أو الخصائص اللازمة التى تميز اعضاء النادى ، ولكن ليس هذا هو سبب الاعتراض .

ذلك أن اعتراضى ينصب على الباعث الذى دفع السيدين مور وفيارز الى ترشيحه لعضوية النادى . انهما لم يفعلا ذلك لأنه يمت لهما بصلة القرابة أو الصداقة وانما لأسباب تجارية بحتة . اننى أعرف جيدا أن المستر رانسوم كان أداة لجلب عدد كبير من الأعمال التجارية لصالح بنك مور وفيلرز . وليس هذا على ما أعتقد سببا كافيا يبرر قبول المستر رانسوم عضوا فى نادى المقاطعة ، لأن هذا النادى انشىء لأغراض اجتماعية وليس لاغراض تجارية ، واننى لسوف أشعر بأن النادى قد فقد كثيرا من قيمته وسمعته اذا وافقت اللجنة على قبول

www.ibtesama.com

المستر رانسوم هذا وقد أرسلت نسخة من هذا الخطاب الى كل من المستر مور والمستر فيلرز .

ومن البديهى أن القارىء سيدرك على الفور أن أهمية كل من المستر مور والمستر فيلرز فى ميدان الأعمال التجارية ببوسطن كانت من الضخامة بحيث يعتبر تصرف جورج آبلى من قبيل الشجاعة الأدبية الفائقة . لقد فعل ما فعل اذعانا لما يعتقد انه مسألة مبدأ ، والفضل يرجع اليه فى أن نادى المقاطعة لايزال يحافظ على مستواه القديم الرفيع ولكن هذا الخطاب أثار مع ذلك جدلا شديدا فى بوسطن قسمها الى حزبين . وكثيرون ممن لم يسمعوا عن رانسوم من قبل ، وبعضهم أصدقاء لجورج آبلى ، احتضنوا قضيته وقد كتب المستر مور خطابا لجورج آبلى ، عثر عليه المؤلف ضمن أوراقه .

« عزيزى آبلى ..

لو كنت تهتم بأعمالك التجارية اكثر مما تهتم بهذا الخليط من التحقيقات الاجتماعية التى تقوم بها لآثرت أن تلتفت الى هذه الاعمال وجدها . وما شأنك مع المستر رانسوم حتى ترسل هذا الخطاب المضحك التافه الى نادى المقاطعة ؟ اننى أرجو أن تبحث موقفك من جديد فورا » .

وقد رد عليه جورج آبلى بخطاب مقتضب جدا جاء فيه « ان خطابى الذى بعثت به الى لجنة قبول الأعضاء الجدد فى النادى يوضح نفسه بنفسه ، وليس فى حاجة الى تفسير . وأخبرك بأنى لن اعيد النظر فى موقفى . »

وقد بعث جورج آبلى بخطاب آخر الى لجنة قبول الأعضاء الجدد فى هذه اللجنة جاء فيه :

« اذا وافقت اللجنة على قبول المستر رانسوم عضوا فى النادى فاننى سأجد نفسى مضطرا الى الاستقالة منه . وتستطيعون اعتبار خطابى هذا بمثابة استقالة نافذة المفعول بمجرد قبول المستر رانسوم . »

ومن الطبيعى أن تستجيب اللجنة لرغبة جورج آبلى ، وان تصرف النظر عن طلب المستر رانسوم الذى لم يكن ثمة وجه للمقارنة بينه وبين اهمية جورج آبلى . ومع هذا فان هذه المسألة ترتب عليها رد فعل شديد كان موضع ألم جورج آبلى حتى آخر يوم من حياته . وقد احزنه

www.ibtesama.com

بصفة خاصة ما وصـــفه به البعض بأنه « متغطرس » ، مع انه كان فى كل أعماله يتصرف بروح ديمقراطية حقيقية ، وكان ودودا دمث الطبع مع أصدقائه ومع كل من يتصل به من قريب أو بعيد .

وقد أدهشـــه أن البعض اتهمه بان تصرفه تجاه المستر رانسوم يرجع الى خصومة شخصية . وقد وجد هذا الاتهام أرضا خصبة فى المنطقة التى يقيم فيها المستر رانسوم فى ضاحية (وست نيوتن) التى يتمتع فيها بمركز خاص . وقد أكد جورج آبلى مرارا انه لا يحمل أية ضغينة لمستر رانسوم ، بل انه يحبه ويعجب به كرجل أعمال ماهر . وقد حاول جورج آبلى أن يثبت للناس هذه الحقيقة ، فبعث الى رانسوم ببعض عقود ليعقد معه صفقة تجارية ولكنه صدم وذهل حينما ردها رانسوم ورفض تنفيذها . ومع ذلك فان اهتمام جورج آبلى برانسوم لم يتوقف ومؤلف هذا الكتاب من الاشخاص القليلين الذين يعرفون أنه حينما ألمت ضائقة مالية برانسوم فى خريف عام ١٩٢٩ سارع جورج آبلى الى مساعدته ، مع أنهما لم يكونا قد رأيا بعضهما بعضا طوال سنوات كثيرة .

لقد كسب جورج آبلى أصدقاء كثيرين نتيجة لموقفه من مســـألة النادى ، ولكنه خلق لنفسه أيضا بسببها أعداء كثيرين ، بل ان بعضهم اتهمه بعدم النزاهة فى هـــذا الموقف الذى لم يكن يهدف من ورائه الا تحقيق ما يعتقد أنه مصلحة عامة وقد سبب له هذا الاتهام حزنا شديدا ظل يعانيه حتى آخر أيامه .

www.ibtesama.com

الفصل السابع عشر

حنان الأبوة وصيد الطيور

بدأ جورج آبلى فى هذه الفترة من حياته يبدى مزيدا من الاهتمام بشئونه العائلية ، وكان طفلاه ، جون واليانور ، قد بلغا منتصف سن الصبا . وكان جون وقد أصبح فى الثانية عشرة من عمره ، نحيفا ، شاحبا ، لطيف المعشر ، وكانت اليانور ، التى بلغت العاشرة من عمرها ، ذات شعر ذهبى اللون ، وقد ورثت من آل آبلى ملامحهم ورقة شمائلهم ، ووجد جورج آبلى نفسه مضطرا حينئذ ، كما قال ذات مرة ، الى أن ينظر الى هذين الطفلين كشخصين لهما كيانهما ، وليس كلعبتين . وكانت زوجته كاترين تعتقد ، وهى عقيدة ورثتها عن أمها ، أن ربة المنزل هى خير من يستطيع أن يعنى بالطفولة المبكرة ، ولكن جون واليانور كانا قد كبرا بما فيه الكفاية لكى يحطما قيود الطفولة ، ويهتما بمرافقة والدهما الذى بادلهما حبا بحب ، والذى بدأ يفكر فى مشاكل تعليمهما تفكيرا جديا .

والخطاب التالى الذى بعث به الى صديقه (ووكر) يلقى ضوءا كافيا على حياة هذه الأسرة السعيدة الهانئة : « أتمنى لو أنك رأيت ابنى جون ، فهو صورة طبق الأصل منى ، حينما كنت أذهب وأنا طفل الى مدرسة هوبسون معك . ويساورنى شعور غريب ، لابد أنه يساور جميع الآباء ، وهو أنى أعيش مرة ثانية فى شخص جون ، وانى أحاول أن أعود الى الماضى لكى أستطيع أن أفهم بطريقة أفضل افكاره وأمانيه . ولكنى اخشى الا أكون قد نجحت فى ذلك نجاحا تاما . ان كاترين تقول انى لا أفهمهما على الاطلاق ، وربما كانت على حق . لقد تركت فيما مضى مهمة الاشراف عليهما الى كاترين ، بناء على طلبها . ولكن جون كبر فجأة وأصبح شخصا آخر وكذلك اليانور ، اننى لا أفهم البنات ، ولكننى أحبها ، وأعتقد انها تحبنى كذلك .

أما جون فاننى أستطيع أن أفهمه أكثر ، ونحن نتحدث كثيرا

www.ibtesama.com

معا . وانني أعود دائما من المكتب الى المنزل بعد الظهر لهذا الغرض . انني اتمنى أن يصبح أكثر سعادة مني ، مع انه لم يكن ينقصني اى شيء لكي اكون سعيدا للغاية . وهو بارع جدا في فهم اخلاق وطباع كل من في المنزل ، ولا سيما أمه وانا . وكثيرا ما اقرأ له في المساء قصص (ويفرلي) التي كان أبي مفرما بها . وهو من هواة كرة القدم ، وكان هذا مبعث سروري ، وقد حدثته كثيرا عنك وعن فريق كرة القدم في جامعة هارفارد . وقد صحبته عدة مرات لمشاهدة بعض مباريات كرة القدم التي اشترك فيها فريق جامعة هارفارد .

ولكن الذي أزعجني حقا هو أن لاعبي فريق هارفارد في هذه الأيام يفتقرون الى روح الكفاح التي كانت لدينا حينما كنا شبابا . ان هؤلاء اللاعبين يبدون ناعمين ، بل أخشى أن اقول انهم مخنثين وليس مما يثير البهجة فضلا على ذلك أن يشهد الانسان مباراة تنتهي بهزيمة فريقه ، وقد تشكلت لحسن الحظ لجنة من خريجي الجامعة ، أنا أحد أعضائها لبحث أسباب انخفاض مستوى فريقنا .

وانى أعتقد أن الوقت قد حان لكي يمارس ابني جون الألعاب الرياضية فهي تصرف انتباه الشبان عن النساء وتقوى عودهم وأجسامهم ، وانا أريد أن يشب قويا متين البنيان ،وهذا هو اقصى ما اتمناه . اما ابنتي اليانور ، فانها ستدخل مدرسة (مس روز) ، وهي مدرسة ذاع صيتها بأنها تخرج طرازا طيبا من البنات . »

وقد ألحق جورج آبلي ابنه جون بمدرسة (جروتون) بالقسم الداخلي ، وقد ارسل اليه هناك خطابا هذا نصه :

عزيزي جون ..

لاشك أن مدرسة جروتون ليست مريحة مثل المنزل ، ولكني لم أرسلك الى هناك لكي تستريح . لقد أرسلتك الى هذه المدرسة لكي تعتاد الحياة الشاقة المنظمة . ان كثيرين منا لايستطيعون ان يفعلوا كل مايريدونه . فأنا مثلا كنت أريد أن أذهب في الصيف القادم مع والدتك ، وأنت واليانور في رحلة الى الخارج ولكني لا أستطيع ، وذلك بسبب انشغالي في العمل ، وكذلك بسبب مرض جدتك التي تشكو من ضعف في القلب . وكان ينبغي أن أذهب الآن مع خالك «هوراشيو » الى منطقة (كارولينا) لصيد السمان ، ولكني لا أستطيع أيضا ، بسبب مشاغل العمل . ان الشيء الذي ينبغي أن تفعله بأسرع ما يمكن هو أن تتعلم كيف تندمج مع الاولاد الآخرين وان تلعب كرة القدم .

www.ibtesama.com

ثم بعث اليه بخطاب آخر جاء فيه :

عزيزى جون :

ساءنى جدا انك غير سعيد ، وسأحضر فى اقرب فرصة لأراك ، ولكن ينبغى أن تتذكر انه ما من شخص يستطيع أن يكون سعيدا طوال الوقت . وأعتقد أن جزءا كبير من الحياة يتحتم على الانسان أن يقضيه فى تعلم كيف يكون غير سعيد من غير أن يتضايق من ذلك كثيرا .

ثم أرسل له خطابا آخر جاء فيه :

عزيزى جون ..

لا أستطيع أن أفهم سبب انخفاض درجاتك الى هذا الحد . كلانا، أمك وانا ، نشعر بقلق شديد بسبب ذلك . اننا نعرف أنك لست غبيا ، والمؤكد أيضا انك لست كسولا انك ستقضى وقتا طويلا من حياتك مع أناس أذكياء ويجب أن تتعلم كيف تكون ذكيا ..

بمثل هذا الاهتمام كان جورج آبلى يفكر ، كأب ، فى تربية ابنه وتقويمه . وحينما كان المؤلف يعد هـذا الكتاب بعث اليه جون آبلى بخطاب يصور فيه شعوره واحاسيسه عن هذه الفترة من حياته :

« لقد بدأت الآن فقط التمس الأعذار لوالدى حينما كان يبدى استياءه وتذمره من درجاتى حين كنت طالبا صغيرا . والواقع أننى كنت شخصا لايطاق بالنسبة لزملائه ولمدرسيه ، حتى لقد كان يساورنى أحيانا احساس بأنى لا أصلح للتعليم . هذا فى الوقت الذى لم يكن فيه والدى خلى البال ، فقد كان يواجه الكثير من المشاكل الأخرى التى تقصم الظهر ، ويحمل على عاتقه أعباء كثيرة تورث الهموم ويقوم بكثير من الأعمال التى اعتقـد انه لم يكن يحب نصفها ، ومع ذلك فقد كان يواصل القيام بها ، كما يفعل الجيش البريطانى .

والمدهش أن الطفـل يدرك جيـدا ما يدور حوله أكثـر مما يظن بعض الناس . فقد كنت أعلم وأنا ما زلت صغيرا أن والدى ، حتى وهو يظهر الشدة معى ، يحمل همـوما كثيرة ، وهى همـوم لا تزعج معظم الناس ، وانما تزعج الرجال ذوى الضمير الحى والاحسـاس المرهف وحدهم . ولم تكن أمى تجعل الأمور سـهلة أو هينـة امامه ، وهى لم تفهمه فى الواقع مطلقا ، كما أنه لم يفهمها . وكان هو يهتم بكل شىء ، حتى بالتفاصيل الصغيرة التى قد لا تثير اهتمام أحد . وكانت صـحة جدتى تزداد سوءا ، وكان يشعر بقلق شديد عليها . وكانت هناك ايضا

www.ibtesama.com

الاعمال الادارية وأعمال مكتبه التى تستهلك الكثير من وقته وجهده . هذا فضلا على نشاطه فى النادى وفى المنظمات الاجتماعية الأخرى . لقد كان مشغولا دائما بمائة شىء ، مع أنه لو اسقطها جميعا من حسابه لما ترتب على ذلك أى ضرر . ولكنه كان حى الضمير كما قلت . ولهذا فلم أكن ألومه حينما كان يبدو شديدا معى ، لانه كان شديدا مع نفسه بل كان شديدا جدا . »

ولكن هذه الصورة التى رسمها جون آبلى لأبيه تبدو مشوبة بشىء من المبالغة والتهويل ، فحياة جورج آبلى لم تكن قاتمة كئيبة الى هذا الحد الذى وصفه ابنه ، وانما كانت فيها جوانب مشرقة تفيض بالبهجة والسرور ، وكانت فيها صداقات جميلة تشيع فى قلبه السعادة والتفاؤل . وقد اعتاد أن يركب دراجته فى الساعة الرابعة صباحا فى يوم السبت من كل أسبوع ، خلال فصلى الربيع والخريف ، ويذهب للتجوال فى غابات صديقه (كالب جودريتش) فى منطقة ميلتون ، حيث يستمتع بجمال الطبيعة والوحدة ، ويرقب الطيور المختلفة الأنواع ويصيدها ، ويدون فى كتيب معه كل ملاحظاته عنها ، والسبب فى اختياره الدراجة بالذات أنه كان يعتبرها وسيلة نافعة من وسائل الرياضة . وقد ترك مذكرات ثمينة عن الطيور أودعت فيما بعد فى جمعية الطيور التابعة للدولة واثارت قدرا غير قليل من الاهتمام بسبب دقتها وطرافتها .

وزوجته كاترين تستحق الثناء فى الواقع ، لأنها فهمت تمام الفهم غرضه من هذه الجولات الاسبوعية التى استمرت سنوات طويلة ، ولم تعترض عليها ، اذ أنه لم يكن يقوم بها وحده ، وانما كان يقوم بها ، حتى العام الأخير من حياته ، مع صديقته منذ عهد الطفولة مسز (كلارا جودريتش) زوجة صديقه (كالب جودريتش) .

وقد كتب فيما بعد فى مذكراته يقول : من المدهش حقا أن كلارا تعرف الشىء الكثير عن الطيور ، بعكس زوجها « كالب » الذى تعتبر معلوماته فى هذه الناحية ضئيلة مثل زوجتى كاترين . ان شعور « كلارا » تجاه الطبيعة وجمالها يماثل شعورى . لقد رافقنا « كالب » عدة مرات فى جولاتنا ثم لم يلبث أن انقطع عن ذلك ، فى حين واظبت انا و « كلارا » على التجوال بانتظام فى الغابات ، ومعنا المناظير المكبرة ، والمذكرات التى ندون فيها ملاحظاتنا .

وليس ثمة شك فى أن هذه الرحلات كانت ذات فائدة عظيمة لجورج آبلى ، فقد كتب عنها يقول : « كنت أشعر دائما بأنى فى حالة أفضل بعد

www.ibtesama.com

عودتي من صيد الطيور مع « كلارا » • ان العالم يبدو حينئذ في نظري أجمل وأروع ، وتصبح حالتي المعنوية طيبة ، وتنزاح عن كاهلي جميع متاعب العمل • »

وكتب مرة أخرى يقول : « أخذت ابني جون وابنتي اليانور صباح اليوم في رحلة لصيد الطيور مع كلارا جودريتش • وقد خاب أملي حينما وجدت أنهما لم يستمتعا بهذه الرحلة مثلما استمتعت أنا ، وقد قررت أنا وكلارا الا نحضرهما معنا مرة أخرى بسبب كثرة صخبهما وضجيجهما »

وقد كتبت مسز كلارا جودريتش في مذكراتها تقول : « لقد كان من دواعي اغتباطي أن يمضي صديق عمري جورج آبلي أسعد ساعات حياته في غاباتنا وبحيراتنا في الصباح الباكر المشمس • وقد أحسن زوجي صنعاً لأنه ترك هذه المنطقة من الغابات على حالها فظلت محتفظة بكل طابعها الساحر الجميل • انني أحس حتى الآن حينما أسير فيها وحدي ، بأن جورج آبلي ، ذلك الانسان الهادىء العطوف ، يسير الى جانبي • انني أتخيله يسير بخطواته الواسعة ، وعيناه مفتوحتان ، يقظتان ، وقد أمسك بيده دفتر مذكراته الخاص بالطيور • ان جميع همومه ومتاعبه تبدو في هذه اللحظة كما لو كانت قد زالت الى الأبد • »

ومما يذكر أنه كان من عادة جورج آبلي ومسز كلارا ، بعد انتهاء جولتهما الصباحية كل يوم سبت في الغابات ، أن يتناولا افطارا شهيا مع المستر « كالب جودريتش » يتألف من الفاصوليا والخبز الاسمر والسمك ، وكان الافطار يتكون دائما من هذه الوجبة ، على مدار السنة، ولم يغيرا أصنافها مطلقا •

ومن الطريف أن نذكر هنا أن بعض ذوي العقول الضيقة كانوا ينتقدون الصداقة البريئة التي كانت قائمة بين جورج آبلي ومسز كلارا، مع أن الصداقة البريئة بين الجنسين كانت شيئا معترفا به في بوسطن. ومن الغريب أن الاحتجاج العلني الوحيد على هذه الصداقة جاء من القس العجوز (ناثانيال بيتنلي) الذي كان لايزال يواظب على زيارة مسز الميزابيث آبلي ، والدة جورج آبلي ، في الساعة الرابعة من بعد ظهر كل يوم فقد كتب الى جورج خطابا جاء فيه :

« ان والدتك التي تحبك كل الحب والتي تعتبرك مثلا أعلى للرجال لا تستطيع أن تعبر لك عن شكوكها • واني أكتب لك هذا الخطاب لأني أعتبر بمثابة أب لك • ولكني أعرف كيف أقرأ أفكار والدتك ونحن جالسان معا في داركم بشارع بيكون نقرأ مؤلفات (أمرسون) ، واني أعتقد أنها

www.ibtesama.com

تشعر بالقلق ، ليس لأنها تفتقر الى الثقة فيك ، اذ أنها تثق فى خلقك ثقة مطلقة ، وكذلك أنا ، ولكن لأنها تعتقد أن المحافظة على المظاهر شىء جوهرى • ان ما سأقوله لك قد يفسر بأنه ينطوى على اهانة ، ولكن الذى دفعنى الى ذلك هو اخلاصى العظيم لأسرتك : هل تستطيع أن تدبر الأمر بحيث تقلل من مقابلاتك لمسز كلارا ، أو أن تقابلها على الاقل فى صحبة عدد آخر من الأصدقاء ؟ اننى أخشى أن يساء فهم جولاتك الطويلة فى الغابات معها ، وأرجو أن تفكر جيدا فى هذا الموضوع من أجل خاطر أمك المريضة •

وقد ذهل جورج آبلى من هذا الخطاب، بل انه غضب أشد الغضب وشاركته أمه فى غضبه ، فقد بعثت اليه بخطاب جاء فيه :

« لقد سمعت أن (ناثانيال) أرسل لك خطابا غير لائق وتكلم عن أشياء غريبة جدا • وقد استغربت للغاية من أفكاره ياولدى العزيز • وقد كان ينبغى عليه أن يعلم أنه لايوجد فى الدنيا أجمل من الصداقة النقية الطاهرة بين رجل طيب وامرأة طيبة • اننى أحب كلارا كل الحب، وقد سمعتها تتكلم عنك كثيرا ، وانى أعرف أنها تعطيك الكثير مما لم تستطع زوجتك كاترين أن تعطيك اياه ، ولهذا فانى أعتقد أن كاترين كانت كريمة كذلك لانها أحبتها أيضا • لقد وجهت كلاما شديدا الى ناثانيال وأنحيت عليه باللوم العنيف بسبب ذلك • فلا تلق بالا الى ما قاله ، فان أحدا لا ، ولن يستطيع ، أن يوافق على آرائه • »

وربما كان هذا هو آخر خطاب بعثت به اليزابيث آبلى الى ابنها الذى كانت تعرف ، بقلب الأم الرءوم ، أنه ربما يكون فى حاجة الى حنان امرأة أخرى وتشجيعها ، بعد أن أحست انها توشك أن تغادر هذا العالم•

www.ibtesama.com

الفصل الثامن عشر

الوحدة

اعتادت اليزابيث آبلى أن تقيم مأدبة غداء بمناسبة عيد الشكر فى كل عام ، تدعو اليها الأهل والأصدقاء. وفى نوفمبر من عام ١٩٠٨ أصرت على اقامة الحفل كالمعتاد ، متجاهلة نصائح طبيبها ، وابنها جورج وابنتها أميليا ، الذين توسلوا اليها عبثا أن تعدل عن الاستمرار فى هذا التقليد اشفاقا على صحتها الضعيفة . ولكن الحفل أقيم على الرغم من ذلك بجميع دقائقه وتفاصيله . وأحست اليزابيث آبلى بابتهاج عظيم وهى ترى أولادها وأحفادها حولها ، وقالت فى نشوة : « ها هى ذى طيورى تعود لى مرة أخرى » . ولكنها لم تكن تدرى أن هذه هى آخر مرة تجتمع فيها طيورها من حولها .

وبعد الغداء جلست فى قاعة الاستقبال الكبرى مع حفيدها جون وحفيدتها اميليا ترقب أفراد الاسرة وهم يتبادلون الحديث والدعابات . واستطاع جورج آبلى ، بما عرف عنه من مقدرة فى مثل هذه المناسبات ، أن يلقى جانبا كل مظاهر القلق ، وأن يساهم فى جو المرح الذى يسود الحفل . وبعد قليل نادته أمه اليزابيث ، وقالت له انها متعبة ، وأنها تريد أن تذهب الى فراشها ، وطلبت منه فى الوقت نفسه أن يصعد اليها صديقها القس « بيتنجل » لكى يقرأ لها . وأصرت على أن يستمر الحفل كما لم يكن قد حدث شىء ، وأن يظل المدعوون فى مرحهم من غير أى ازعاج .

وقد كتب جورج آبلى فيما بعد يقول : « ان اهتمامها بالآخرين ظل قائما حتى النهاية » .

وبعد نحو ساعة ، وكان معظم المدعوين قد انصرفوا ، نزل القس بيتنجل من الطابق العلوى ودخل القاعة الكبرى . ولم تكن به حاجة الى الكلام . لقد أجهد الحفل قلب اليزابيث آبلى ، وماتت وصديقها يقرأ لها كما اعتاد أن يفعل بعد ظهر كل يوم ، ولكن النبأ لم يبلغ ، حتى حلول المساء ، الا للأقارب المقربين .

www.ibtesama.com

ومع أن جورج آبلى كان يعرف منـذ زمن طويل أنه لا مفر من هذه الفجيعة ، الا أنه ذهل لما فوجىء بها • وتحت مظهر الهدوء الذى حاول أن يحتفظ به كان قلبه ينفطر أسى ولوعة •

وقد كتب الى عمته خطابا بعد عدة أسابيع يقول فيه « اننى لا أزال غير مصدق أن هذه الدعامة التى كنت أستند اليها قد اختفت عنى الى الابد • لا أزال غير مستطيع أن أصدق أنه لم يعد فى الدنيا وجود لهذه الانسانية التى تؤمن بأن كل ما أفعله حق ، وأنى على صواب دائما • لاأستطيع أن أصدق أن قاعة الاستقبال فى شارع بيـكون ستظل مظلمة حتى الساعة الخامسة مساء وأن ندوة التطريز لن تجتمع فى يوم الثلاثاء ،الاول من كل شهر • اننى لم أشعر قط فيما مضى بمثل هذا الفزع والرعب ، وبأنى وحيد الى هذا الحد • انه شعور مخيف • انه يشبه شعورى وأنا طفل صـــغير ، حينما كانت أمى تطفىء غرفة النوم وتغلق الباب ، وتتركنى فى الظلام » •

ولم يكن غريبا أن يعتمد جورج آبلى بعد ذلك ، لفترة طويلة من الزمن ، على الذكريات يواسى بها نفسه • وقد تبرع بعشرة أفدنة لمجلس مدينة (ميلتون) البلدى لانشاء حديقة عليها تسـمى « حديقة اليزابيث آبلى »• وأمر باغلاق حجرتها فى شارع بيكون وحجرتها الأخرى فى دارها بمدينة ميلتون ، واحتفظ بالمفتاحين فى جيبه • وأمر بأن تظـــل قاعة الاستقبال الكبرى فى قصر هيلكرست على حالها كما رتبتهـــا أمه ، وألا تنقل أى قطعة من الاثاث من موضعها • وكان يمكن أن يمضى قدما فى مثل هذه الاعمال لولا أن زوجته كاترين منعته عن ذلك ، بعد أن استرعت نظره برقة ولطف الى أن هذا كله لن يجدى •

وفى الربيع الثانى انتقل جورج آبلى وأسرته الى قصر هيلكرست ، وتولت كاترين الاشراف ، ليس على ما فى داخل الدار فقط ، ولكن أيضـا على الحدائق المحيطة بالقصر • وقد اعترف كل من زار قصر هيلكرســت بحسن تنظيمها وجميل عنايتها • وقد أضـــفت على المنزل من روح المرح والبشاشة مما ساعد فىالنهاية على تخفيف حزن جورج آبلى والتسرية عن نفسه • وكان الفضل لها فى جذب انتباهه الى موضوع شغله بعض الوقت فى الشهور التى أعقبت وفاة أمه •

ذلك أنه فى حين كانت كاترين ترتب الـــكتب فى مكتبة قصر هيلكرست وتنفض ما عليها من غبار ، عثرت على كتاب ضخم يبـــدو أن موسى آبلى ، جد الأسرة الـكبير ، قد اشتراه من مكتبة جورج واشنطن ، محرر أمريكا • ومع أن جورج آبلى كان يفخر دائما بأنه يعرف مكان كل

www.ibtesama.com

كتاب فى مكتبته ، ألا أنه لايدرى كيف غفل عن هذا الكتاب الثمين الذى يحمل توقيع جورج واشنطن نفسه على الصفحة الاولى التى تحمل العنوان وقد بلغ من اهتمامه أن بادر الى كتابة خطاب الى مكتبة الكونجرس جاء فيه :

« بينما كنت أقلب صفحات كتاب هام كان يملكه فيما مضى الرئيس جورج واشنطن وهو الآن فى حوزتى ، اذ عثرت على شعرة بشرية فى وسطه، وقد شجعتنى زوجتى أن أكتب لكم فى ذلك . ان هذه الشعرة ليست شعرة جدى ، أو أبى ، ولم يفتح أحد من قبل ، كما أعتقد ، هذا الكتاب . ولما كنت أظن أن هذه الشعرة قد تكون شعرة واشنطن نفسه فانى أبعث بها اليكم فى المظروف المرفق على أمل أن تستطيعوا حل هذا اللغز » .

ولا يزال كل شخص خارج نطاق أسرة آبلى يتذكر الضجة التى أثارها هذا الاكتشاف ، والاهتمام الذى أبدته مكتبة الكونجرس فى هذا الشأن ، وان كان قد تبين فيما بعد أن هذه الشعرة جاءت من رأس آخر غير معروف .

وحينما قال جورج آبلى فى خلال هذه الفترة من حياته أنه «يشعر بأن كل شىء حوله توقف» فانه لم يكن يصور الواقع تصويرا تاما . فقد كانت لديه أعمال كثيرة تستغل وقته وتستحوذ على اهتمامه . فقد كان شريكا فى شركة المحاماة التى أصبح اسمها (ريد وآبلى) للمحاماة . وكان حارسا على كثير من الضيعات ، وبخاصة تلك التى وقفت على الاعمال الخيرية . كما أنه كان عضوا فى مجالس ادارة عدد كبير من الشركات ، نذكر منها على سبيل المثال شركة مصانع آبلى التى كان يتولى منصب المدير العام فيها بحق المولد ، وكان يتولى أيضا منصب مدير فى شركة (نورث آند لتخزين السلع) التى أسسها والده ، وفى بنك (ووتر كازيرز للادخار الذى يرأسه عمه وليام آبلى ، وفى شركة (وست آند) ، وشركة (فيتواى) ، وشركة (بازين ريال استيت) ، وشركة الغاز فى مدينة آبلى فولز وشركة المياه فى هذه المدينة ، وشركة (ماين بالب لاند تراست) ، وشركة (اخوان آبلى) ، وبنك (آبلى فوتس) . وربما لم يشغل جورج آبلى مركزا ممتازا فى أية من هذه الشركات ، ولكن وجوده فى اجتماعات مجالس ادارتها كان له أهمية كبيرة ، لانه كان بمثابة تشجيع للآخرين. وكان من عادته دائما أن يدخر قطعة الدولارات العشرة الذهبية التى كانت تصرف لكل عضو مجلس ادارة نظير حضوره اجتماعات المجلس لكى يوزع ما يتجمع منها على الخدم فى أعياد الكريسماس ، اذ أنه كان يحرص على أن يقدم خدماته لكل هذه الشركات من غير أن يتقاضى أجرا .

www.ibtesama.com

فاذا كان جورج آبلى قد قال انه يشعر بأن كل شيء حوله قد توقف، فان هذا يرجع فى الواقع الى أن تيار الحياة كان يحمله برفق وهدوء ، وأنه كان يحس بالاحساسات التى يتوهم معها راكب الزورق فى مجرى هادىء أن الزورق قد توقف عن الحركة ، مع أن كل شيء من حوله يتحرك ٠

وقد كتب حينئذ خطابا من ضيعة آل برنت (أسرة زوجته) الى كاترين قال فيه : « لقد غلبنى ابنى جون اليوم ونحن نلعب التنس ٠٠ جون ، الذى كان بالامس القريب يبكى ويصرخ بين ذراعى مربيته ٠ ان هذا يبدو لى كأنه أمس فقط ، ياكاترين ٠ ويخيل الى أنى فقدت الاحساس بالزمن ٠ لقد بلغنا ، أنا وأنت ، منتصف العمر من غير أن ندرى ، ومع ذلك فقد قال لى اليوم (هيوبرنت) ونحن نصعد الصخور انى متحفظ فى تصرفاتى وأنى متمسك بكل ما هو قديم ٠ وقد غضبت لهذا الكلام فانى أعتقد أنى واسع الصدر تجاه كثير من المسائل ، بل واسع الصدر جدا ٠ وأعتقد انى كريم جدا فى تقبل الافكار الجديدة ، وانى وأنت كنا متحررين جدا فى حياتنا ٠ وقد قلت هذا لجون بعد أن انتهينا من لعبنا التنس ٠ وقد تحدث معى كثيرا عن الرقص ، وقال ان فتيات نيويورك أجمل من فتيات بوسطن ٠ ويبدو لى أن شباب هذه الايام متمردون ، ولكن هذا ليس خطأنا ، وعلى أى حال فان جون يتحدث بروح عصره ٠ لقد قال لى انه ليس لديه ملابس كافية ، ولهذا طلبت منه أن يذهب الى (محلات ماكولك باركرز) لكى يشترى حلتين جديدتين ، وأن يختارهما بنفسه » ٠

ثم كتب بعد فترة قصيرة من ذلك الوقت خطابا الى صديقه (ووكر)، هذا نصه :

« هل تصدق ان ابنتى الصغيرة اليانور ذهبت الى حفل راقص مساء اليوم ولقد رأيتها وهى تغادر المنزل بصحبة (هانا) وصيفة أمى العجوز ٠ والذى أدهشنى حقا هو جمالها المذهل ، الذى ورثته كله عن آل آبلى ٠ وقد أثار جمالها بعض الحزن فى نفسى ٠ وقد كانت ترتدى فستانا أزرق اللون ، وحذاء من الجلد (اللميع) من غير كعب ، وفى يديها قفاز ٠ ولما وقفت أمام المدفأة لكى أنظر اليها ، تذكرت الفتيات اللاتى عرفتهن فى مدرسة الرقص ، حينما كنت أختبىء أنا وأنت تحت السلم ، فى عهد الشباب الباكر ٠ نعم ، لما رأيتها واقفة ، تبين لى أنها أكثر من فتاة صغيرة ، وتيقنت أنها كبرت ٠ ولما سألتنى : هل أظن أن أحدا سيرقص معها شعرت بدهشة حبست الكلام فى حلقى ٠ لقد خرجت مع (هانا)

www.ibtesama.com

لتواجه العالم ، وكان يبدو أنها خائفة منه • ولست ألومها كثيرا • ان العالم يبدو أحيانا شيئا غريبا كأنه وحش كاسر • يقولون ان الانسان يصنع حياته ، وقد حاولت أنا أن أصنع ذلك ، فماذا كانت النتيجة ؟ اننى لا أعرف ابنتى الصغيرة ، وأخشى ألا استطيع أن أعرفها قط •

اننى أحب أن أكون صديقا لأطفالى • لقد كانت أعز أمنية لى دائما أن أكون رفيقا طيبا لهم ، وأن يعاملونى كواحد منهم • ولكنى أتساءل : هل هذه الأمنية قد تحققت ؟ •• لقد شغلتنى أعمال وهموم حياتى، ويبدو لى اننى لم أستطع أن أجعل هذه الحياة تتلاءم مع حياتهم • ويبدو لى انهم لا يهتمون كثيرا بما أفعل • لقد حاولت أن أجعلهم يهتمون بتنسيق الحديقة فى قصر هيلكرست ، كما فعلت أمى معى ومع اميليا ومع المسكينة جين • ولكن يبدو لى أن هؤلاء الاطفـــال الذين هم من صلبى لا يهتمون بالازهار • لقد كنت أؤمل أن نلعب معا الالعاب التى كنا نقوم بها ونحن صغار ، وأن نؤلف أنا وكاترين وجون والياثور فريقا متفاهما ، وأن نقرأ معا ونتحدث معا ، فى المساء أمام المدفأة ، ولكنى تبينت أنى كنت غارقا فى الأوهام • يبدو لى أن العـــالم يسير فى عجـلة شديدة ، ولكن جون واليانور لا يدركان أهمية الاسترخاء هذه • ان أكبر شىء نشترك فيه أنا وابنى جون هو حبنا للكلاب ، ولكن لما كانت كاترين لا تســـمح بوجود الكلاب فى المنزل ، فان هذه المشاركة لا تؤتى ثمارها كما ينبغى • أما من جهة ابنتى اليانور فانها لم تجلس معى كثيرا وحدها ، ولم نتحدث طويلا على انفراد ، وها هو ذا العالم قد تقدم لكى يأخذها منى » •

ولا شك أن جورج آبلى قد كتب هذا الخطاب، وهو فى احدى نوبات الحزن التى كانت تنتابه بين حين وحين • ولكن مثل هذه النوبات لم تكن تستمر معه وقتا طويلا لحسن الحظ ، كما يثبت ذلك فى خطاب تلقاه من اليانور حينما كانت تزور ضيعة أخوالها فى (باكوج نيك) :

والدى العزيز :

أتمنى لو كنت معى الآن ، ولو أنك فعلت لأمضيت وقتا طيبا جدا • لقد سبق لك أن حضرت الى هنا مرارا حيث كنت تتبع أسلوبا فى الحياة يخالف أسلوب حياتك فى منزلنا • هل تذكر يوم ذهبنا معا ننقب فى الارض بحثا عن القواقع عند البحر وكيف انزلقت قدمك ووقعت فى الطين ؟ اننى أتساءل : هل تستطيع أن ترســـل لى بعض النقود لكى أشترى فستانا جديدا • اننى أريد أن أشتريه بنفسى ، من غير أن تعرف والدتى ، لكى يكون مفاجأة لها » •

www.ibtesama.com

وفى نهاية هذا العقد ذهب جورج آبلى مرة أخرى الى نيـويورك ، ولم تكن هذه الزيارة لمصلحة خاصة به ، وانما ذهب الى هنـاك نتيجة استجابة لرجاء صديقه (ووكر) الذى كان قـد تزوج حينئذ ، فى احدى نزواته ، من سيدة صغيرة تدعى (هابس) كانت تعمل من قبل فى المسارح . ومع أن أصدقاء (ووكر) قد صدموا بهذا الزواج ، وتخلوا عنه ، فان جورج آبلى ظل على وفائه له ، وليس هذا سوى واحد من مئات الامثلة على رقة قلبه وصدق اخلاصه .

وقد كتب جورج آبلى فى هذه الفترة خطابا الى ابنه جون قال فيه :

« لقد أعطانى والدى نصيحة ثمينـة جدا ، وهى ألا أقرض نقودا لصديق ، ان الصداقة لا يمكن قياسها بمعايير المال ، ولا ينبغى أن تكون كذلك ، ومع ذلك فانك قد تجد نفسك ، كما حدث لى ، محرجا أمام أناس يطلبون منك قروضا بسبب وقوعهم فى مأزق . وستدهش أحيانا من هذه الطلبات التى كان معظمها نتيجة عدم التبصر ، أو لعب القمار ، أو سوء التصرف . ومع هذا فان مواعظى الأخلاقية لم تنفع معهم اطلاقا . وكان من عادتى دائما أن أعطيهم مايطلبون من نقود ، وأن أنسى بأسرع مايمكن المسألة كلها . واعتقد أن هذا هو أفضل مايمكن عمله ، كما أعتقد أنه واجب » .

ومن المحتمل أن زيارته لنيويورك كانت تهدف الى القيام بمثل هذا الواجب نحو صديقه (ووكر) . ولكن انطباعاته عن المدينة الكبيرة ، بصرف النظر عن زيارته لووكر ، كانت عظيمة الأثر فى نفسه .

لقد كانت هذه الانطباعات أقرب الى الانطباعات التى يحس بها رجل غريب من عالم آخر ، يرى بعينيه مايمكن أن نسميه الآن « بداية التحول نحو الأسوأ فى أمريكا » .

وقد كتب حينئذ خطابا الى زوجته قال فيه :

« لم أشعر قط بالدهشة فى أى وقت مضى قدر شعورى بالدهشة خلال زيارتى هذه المرة لمدينة نيويورك . لقد كنت أتحدث فى ذلك صباح اليوم الى صديقى (براند شوز) و (جاك جيسوب)ونحن نتناول طعام الافطار فى فندق (بلمونت) الذى نزلنا فيه . انهما سيعودان الى بوسطون فى قطار الظهر ولكنى لن أستطيع أن أعود معهما . ومع أننا أمريكيون ، فانه يبدو علينا جميعا أننا غرباء ، فى مدينة أجنبية . ولا أعتقد أن هذه الظاهرة يمكن أن تبعث الاطمئنان بالنسبة للمستقبل . انها نذير بأن العالم

www.ibtesama.com

يتجه الى الجنون . وهى علامة على انتهاء عصر وقدوم عصر جديد . اننى استطيع أن أفهم السبب فى أنك لا تريدين أن ترينها . لأنها فى الواقع فوق متناول فلسفتنا الخاصة . لم يعد فى نيويورك غير عدد قليل من الخيول فى الشوارع ، وقد حلت محلها سيارات الاجرة والسيارات الخاصة التى تملأ الجو بأصوات ضجيج أبواقها المزعج . أما حى برود واى (حى المسارح) فقد امتلأ بالأضواء الكهربية الغريبة الكثيرة الأشكال التى تتحرك بطريقة تثير الأعصاب . ويخيل الى أنه سيأتى يوم لا نسمع فيه فى شارع بيكون ـ سوى أصوات أبواق السيارات بدلا من أصوات وقع حوافر الخيل وعجلات العربات . والجميع هنا ، فى نيويورك ، شبانا وشيبا ، يبدو أنهم اصيبوا بجنون مفاجىء يدفعهم الى الرقص . وفى كثير من المطاعم التى ترددت عليها مع (ووكر) وزوجته أماكن خاصة للرقص ، وقد شاهدت العملاء (الزبائن) يرقصون بين الوجبات .

وقد أبدى (ووكر) ، وهو لطيف كعادته ، دهشته من «سذاجتى» . اننى لا أعترض على الرقص ، كما تعرفين ، فاننى واسع الصدر كمعظم الناس ، ولكنى أستهجن الطريقة التى يرقص بها الراقصون . فالرجال والنساء يخاصرون بعضهم البعض ويلفون أذرعتهم حول أجسادهم ، ويحتضنون بعضهم بعضا وهم يتحركون على نغمات الموسيقى المجنونة التى سمعت اليانور مرة تعزفها على البيانو . وأسماء هذه الرقصات تدل وحدها على طبيعتها ، فهناك رقصة اسمها (الركض التركى) ورقصة أخرى اسمها « الدب الرمادى » ورقصة ثالثة اسمها « بانى هج » . والذى ادهشنى أكثر أن كثيرا من الناس الذين نعرفهم يندمجون فى الرقص بحرية . وبعد أن تطلعنا الى الراقصين والراقصات بعض الوقت ، دعتنى زوجة (ووكر) أن أفعل مثلهم ، وقالت لى انها تستطيع أن تعلمنى الرقص بسهولة ، اذ أن خطواته عبارة عن حركات يسير فيها الراقص الى الأمام ثم يرجع بعدها الى الخلف طبقا لنغمات الموسيقى .

والواقع أنها برهنت على أنها معلمة عظيمة فى هذا الميدان ، واستمتعت كثيرا فى الواقع بالرقص . وأعتقد أن الناس على خطأ جسيم فى نقدهم « ووكر » فزوجته سيدة مدهشة فى جمالها ورقتها . انها طبيعية فى تصرفاتها ، وتتميز بالبشاشة والود . وهى تختلف كثيرا عن أية امرأة رايتها من قبل ، فهى لطيفة جدا ، وعطوفة ، وبسيطة .

اننى أعتقد أنه قد آن الأوان لكى أترك هذا الجو المضطرب الصاخب ، وأعود الى منزلى . وانى لأتساءل : هل كتب على ابنى جون وابنتى اليانور

www.ibtesama.com

أن يعيشا هذا الطور من الحياة ؟٠٠ ان هذا عصر يتسم بالتطور والتغير ، ويجب أن نتلاءم معه ، وأن نستفيد من مزايا كل ما هو جديد ومزايا كل ما هو قديم ٠

ولاشك أن هذه الزيارة الأخيرة التى قام بها جورج آبلى لنيويورك قد تركت أثرا كبيرا فى نفسه ٠ فبعد عودته بوقت قصير أقام حفل غداء صغير دعا اليه عددا من أصدقائه ، وبعد أن انتهت المأدبة ، أخليت القاعة الكبرى، حيث توافد المدعوون عليها ، وعزفت الموسيقى ، واشترك كثير منهم فى الرقص ٠

وقد بادر الكثيرون منهم فيما بعد الى تلقى دروس فى الرقص فقد وجدوا أنه يعتبر بمثابة رياضة مفيدة ٠ ولكن جورج آبلى كان يحس على أى حال بأن هذه هى احدى علامات تغير الزمن ، وأن عصرا قد مضى وأقبل بعده عصر جديد ٠

www.ibtesama.com

الفصل التاسع عشر

هارفارد مرة أخرى ، ثم انجلترا

فى خريف عام ١٩١٠ دخل جون آبلى جامعة هارفارد ، بعد أن أدى امتحان القبول بنجاح وقد أثارت هذه الخطوة ارتياح والده جورج آبلى ، وجددت اهتمامه بالحياة ٠

لقد طرأ على مدينة كامبريدج ، التى توجد فيها جامعة هارفارد ، تغييرات كثيرة منذ كان فيها جورج آبلى ٠ فقد كانت قبل بضع عشرات من السنين أقرب الى أن تكون بلدة صغيرة ، أما الآن فقد تحولت الى مدينة كبيرة ٠ وكان مشروع «المترو» الذى يربط بين مدينتى كامبريدج وبوسطن قد أوشك على الانتهاء ، وقد أدى أخيرا الى اختصار الوقت الذى تقطع فيه المسافة بين المدينتين الى ١٢ دقيقة فقط بعد أن كانت تقطعها العربات فى نحو ساعة من الزمن ٠

وقد كتب جورج آبلى فى ذلك الوقت خطابا الى ابنه جون هذا نصه :

عزيزى جون ٠

أعتقد أنه من المفروض على أى أب أن يوجه الى ابنه بعض النصائح فى مثل هذه اللحظات الحاسمة التى يدخل فيها الجامعة وأنا لن أستثنى نفسى من هذه القاعدة٠ ان جزءا كبيرا من حياتك فى المستقبل سيتأثر بماسوف تعمله فى هذا العام ، والعادات والعلاقات التى ستكونها ستظل معك دائما٠ لقد كانت مضى أنا ، على الأقل ، وأريد منك أن تفعل الشىء الصحيح ٠ لقد كانوا يتحدثون كثيرا فيما مضى عن الديموقراطية ، وكان فى هذا الحديث قدر كبير من الحقيقة أما الآن فانى أشك كثيرا فى وجودها ، انك لن تستطيع أن تكون حذرا جدا فى اختيار أصدقاء يماثلونك فى التربية والنشأة ، وانى لأود أن يكون أصدقاؤك هم أصدقائى وأرجو أن تأتى بهم لزيارتنا كثيرا على قدر ما تستطيع فى شارع بكون فى أيام السبت

www.ibtesama.com

والأحد • ان هـذه الزيارات على قدر فائدتهـا لك ، فانها ستكون نافعة أيضا لشقيقتك اليانور ، وستكون موضع سرور لنا جميعا •

ويخيل لى أحيانا أنك تلتزم الصمت والـكتمان وتميل الى التحفظ فى أثناء الحديث مع والديك • وأنت مخطىء كثيرا فى هذا يا جون ، لأنى أعتقد أنى أستطيع أن أكون ذا نفـع كبير لك ، وأن أقدم لك ما أستطيع من مسـاعدة • اننى ما زلت معروفا جيدا فى النـادى ولى صـلات وثيقة بأعضائه ونصيحتى لك أن تجعل النادى هدفك الأول • ان كل شىء آخر بما فى ذلك دراستك ذاتها يجب أن يأتى فى المرتبة الثانية بعد النادى ، انك سـتدرك قيمة هـذه النصيحة يوما ما وأنا نفسى لا أعرف ماذا كان يمكن أن تكون عليه حياتى من غير النادى • انه درعى حينما أغادر بوسطن، وحينما أكون فى بوسطن فانه يكون خير معين لى فى تمضية وقت طيب ، والتغلب على هموم الدنيا ، انه يضم دائما أفضل الناس وصفوة القوم من الطراز الذى تستطيع أن تفهمه وتحبه ، لقد حاولت أن أفهم نوعا آخر من الناس ولكنى أظن أنى أضعت وقتى فى هذه المحاولة من غير جدوى ، ان الأشخاص الذين يكونون من بيئتك ومن طرازك يصـحبون أحسن الأصدقاء ، فلا تنس ذلك •

اننى أؤمل كثيرا ألا نفعل شيئا يجعلك معروفا بين الناس بغرابة الأطوار • اننى أعرف أنه من الصعب دائما أن يذعن المرء للعرف والتقاليد ولا سيما فى مثل سنك ، ويميل الى التمرد عليها ، ولكنك ستكشف أن هذا التمرد خطأ كبير ومضيعة كبيرة للوقت ، لا تحـاول أن تبدو مختلفا عما أنت عليه ، لأنك ستجد فى النهاية أنك لن تستطيع أن تغير شيئا فى نفسك • تعلم كيف تتقبل نفسك على علاتها ، ليس بعنف وعناد ولـكن بفلسفة وحكمة • انك تمثل شيئا له أهمية كبيرة، وأنت تستطيع بصورة ما أن تكون نموذجا للآخرين • انك لن تصـدق هذا الآن ولـكن ستدرك حقيقته فيما بعد ، وقد يكون من السخف أن أستمر فى ازجاء النصح لك، ولكنى سأفعل لأنى أريد أن تكون أسعد مما كنت أنا ، ان قدرا كبيرا من القلق والهموم التى كنت أشعر بهـا فى الماضى كانت مضيعة للوقت ولم يكن ثمة مايبررها ، كما تبين لى فيما بعد • وقد حاولت أحيانا أن أخرج على بيئتى ولـكنى عرفت فى النهـاية أنها البيئة الوحيدة التى يمكن أن أعيش فيها وانى لفخور بها ، وأشكر الله على أنى وجدت فيها • وستفعل هذا يوما ما يا جون •

ويخيل لى أنى أريد أن أتحدث معك بصراحة أكثر ، وسأفعل هـذا

www.ibtesama.com

من أجل مصلحتك ، اننى سأتحدث معك بصراحة عن النساء .. ينبغى عليك أن تكون كريما وشهما مع جميع النساء ، لانك ابنى . ينبغى ان تعاملهن جميعا ، حتى نساء المتعة والسرور ، اذا قابلتهن ، باحترام وتوقير . اننى أرجع بذاكرتى الى الوقت الذى كنت فيه فى مثل سنك ، اذ كنت أعرف فتاة خيل الى أنها غبية بعض الشىء ولا روح فيها لا لشىء الا لأنى ربيت معها وعشت معها فى بيئة واحدة ولكن هذا كان خطأ جسيما ، فمثل هذه الفتاة هى فى نهاية المطاف خير انسان يمكن أن يعيش معه المرء عيشة راضية ، وأمك هى نموذج حقيقى لذلك ، وخير مثال . وأنت تعرف أننى أعتمد عليها كثيرا ، وان اعتمادى عليها يزداد عاما بعد عام .

ولو أنى تزوجت امرأة من نيويورك أو من مدن غرب وسط أمريكا كما فعل بعض أصدقائى ، لحدث صدام لا مناص منه بين معايير السلوك والتربية والبيئة . صدقنى أن الزواج مهمته صعبة بحيث لا يحتمل تعقيدات اضافية . اننى أرجو أن تحتفظ بهذه النصيحة فى الجزء الخلفى من عقلك ، وان كنت أعتقد أنك لن تفعل . لقد كنت أتحدث مع صديقى « فاسال » فى هذا الموضوع منذ أيام قليلة وقد اتفقنا على أن فتيات بوسطن هن ، برغم كل شىء ، أفضل الفتيات .

ان هذا الحديث يدفعنى الى الاعتراف لك بشىء لانك ابنى . انها مسألة قلما تحدثت فيها مع أحد ، ولكنى طالما فكرت فيها ، لها تأثير على حياتى أكبر مما كنت أظن . لقد احببت مرة فتاة كنت قد قابلتها فى ميدان (سنترال) ولن أسمح لنفسى بأن أتحدث عنها بأى سوء وقد عرفت والدى الموضوع فى الوقت المناسب وتدخل لكى يضع حدا لهذا الغرام الطائش ولولا هذا لاتجهت فى الحياة اتجاها يختلف عن الاتجاه الذى سرت فيه حتى الآن . وانى أعترف الآن لوالدى بالفضل فى أنه أنقذنى من هذه الحماقة ، وان كنت قد ظللت عدة سنوات أشعر بالمرارة تجاه مافعله وكنت أتساءل أحيانا ، كما نتساءل جميعا فى مثل هذه الأحوال : هل من الأفضل لو أنى تزوجت هذه الفتاة التى كانت تدعى (مارى موناهان) وربما تعجب من هذا الكلام وتعتبره مضحكا ولكنك لن تعتبره كذلك لو أنك رأيتها ولكنى على يقين الآن ، على أى حال ، من أنى لو كنت تزوجتها لارتكبت غلطة شنيعة . انى أروى لك هذه القصة لكى أثبت لك أنى لست « دقة قديمة » كما قد تظن أو أنى رجل «خام» لايدرى شيئا عن مثل هذه الأمور ، ولكى أثبت لك أيضا أن الحياة خطرة فى مثل سنك . وعلى أى حال فاننا

www.ibtesama.com

لن نستطيع أن نغير طبيعتنا سواء الى أحسن أو الى أسوأ · فلا تحاول أن تغير نفسك ، يا جون ·

وهكذا يبدو أن جورج آبلى قد آمن فى هذه الفترة من حياته بنظرية « اعرف نفسك » وبلغ المرحلة التى يثق فيها المرء بنفسه ويذعن لقدره ، ويشعر بالرضا والطمأنينة ، ويبدو أن زوجته « كاترين » قد أدركت ذلك ، بدليل الخطاب الذى أرسلته الى أمها فى أثناء قيامها برحلة معه فى انجلترا مع أسرة (توماس ولكنسون) ·

أمى العزيزة :

لقد كان جورج لطيفا جدا طوال الوقت ، وكان شخصا ممتازا للغاية وبالطبع زرنا السير توماس واللادى هادلى لنرى اللوحة الفنية التى يفكر جورج فى شرائها للمتحف · لقد كان الجميع مسرورين برؤية جورج الذى كان يبدو فى الريف الانجليزى كأنه فى بوسطن وهو لم يعد يرغب فى الوحدة أو فى أن يجول وحده حزينا واجما كما كان يفعل فيما مضى ، لقد أصبح الآن روح كل اجتماع ومبعث بهجة كل انسان · اننى أعتقد أنه حينما يعود الى بوسطن سيكون أكثر ادراكا لأهمية مركزه وسيبذل جهدا أكبر ليتبوأ المكانة الجديرة بشخصيته · ويبدو أنه أدرك الآن أن الأشياء التى كنت أريد منه أن يفعلها هى فعلا الأشياء الهامة · وانى لأعتقد أنى أمضيت وقتا طيبا مع جورج ، وانى لفخورة حقا به ·

وقد بعث جورج آبلى من انجلترا بخطاب الى أحد أصدقائه فى بوسطن ينطوى على لهجة مختلفة بعض الشىء عن خطاب زوجته كاترين·

« لقد وجدت أن أفضل شىء هو أن أفعل ما تريده كاترين ، لأن هذا يجنبنى قدرا كبيرا من المتاعب ويتيح لى تحاشى كثير من المشاكل ، وهكذا فقد سمحت لها بأن تشترى تذاكر السفر بنفسها وأن ترتب كل شىء كما تشاء وتهوى · لقد زرنا عددا كبيرا من الكنائس النورمندية الطراز ، وزرنا عددا كبيرا من الناس الذين سبق أن تبادلت زوجتى الرسائل معهم ، ويبدو ،وهذا هو وجه الغرابة ، أن حياتنا القديمة تسير معنا أينما ذهبنا · وقد أدهشتنى كثرة عدد البوسطونيين (نسبة الى بوسطن) الذين يزورون انجلترا · ورحلتى الحالية تبدو لى أكثر بهجة من الرحلة السابقة التى قمت بها للخارج منذ زمن طويل ، فنحن جميعا نعرف بعضنا بعضا أكثر ، ويسود بيننا تفاهم أعمق ·

وقد يكون سبب ذلك أننى أصبحت أكبر سنا ، اننى حينما اتطلع

www.ibtesama.com

الى حياتى الماضية يخيل الى أنه لم يحدث فيها ما يستحق الذكر • اننى غير مستاء من ذلك وربما كان هذا أفضل ، ولكنى مع ذلك أود لو حدثت فى حياتى المقبلة أمور تستحوذ على حقيقة مشاعرى وتثير اهتمامى وتهز كيانى • اننى أريد أن أعرف نفسى ومن أى شىء صنعت ، ولكنى لا أعتقد أنى سأصل الى شىء من ذلك •

ولم يكن جورج آبلى يدرى ، وهو يكتب هـذا الخطاب ، أنه يقترب شيئا فشيئا من ادراك حقيقة نفسـه ، وهو لم يعرف نفسه الا فى صيف عام ١٩١٤ الذى كان ايذانا باشتعال الحرب العالمية الأولى ، انه لم يدرك المدى الحقيقى لقوة خلقه الا حينما نهض هو وحفنة من الناس يستنفرون الهمم ويثيرون الوعى الوطنى ويكشفون للأمريكيين الأخطار التى تهددهم ، وبدا أن ماضيه كله كان يمهد لهذه المرحلة الهامة من حياته ، كما سنرى فيما بعد •

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com

الفصل العشرون

أيام الحرب

كان موقف مدينة بوسطن تجاه المسائل المتعلقة بالحرب العالمية الأولى هو فى جوهره الموقف الذى اتخذه جورج آبلى ، وليس فى ذلك عجب لأن ضمير الرجال الذين هم من طرازه كان أساس رد الفعل الذى ساد مدينة بوسطن حينئذ . ان هؤلاء الذين زعموا أن اقليم نيوانجلند ، الذى تقع فيه مدينة بوسطن ، قد أصابه الانحلال ، عليهم أن يتذكروا دروس الحرب ، فان قوة روح العدالة الكامنة فيها ، وقوى التمييز بين الصواب والخطأ ، اللتين دفعتا بوسطن لكى تحتل دورها الطليعى فى الثورة الأمريكية وفى الحرب الأهلية هما ذاتهما اللتان دفعتاها للعمل أيضا بالاصرار والتصميم نفسهما فى خلال الحرب العالمية الأولى .

وقد كتب جورج آبلى فى ذلك الوقت خطابا لصحيفة (بوسطن ايفننج ترانسكريبت) قال فيه « لايمكن أن تكون هناك مهادنة بين الظلم والحق . ان المانيا على خطأ والحلفاء على صواب. ان اجتياح جحافل البرابرة لبلجيكا وتدميرهم لها وما ارتكبوه من فظائع فى كل مكان يعتبر اهانة بالغة للجنس البشرى المتمدين » .

كانت وجهة النظر هذه ، التى أبداها جورج آبلى علنا وعلى رءوس الأشهاد ، يشاطره فيها جميع الناس فيما عدا فئة قليلة خرجت على الاجماع ، وقد كرس منذ بداية القتال كل جهوده لخدمة قضية الحلفاء وكان يعرب فى كل مناسبة عن دهشته البالغة لعدم اكتراث بعض الناس بهذه الحرب التى بدأت تنتشر شيئا فشيئا حتى أصبح باديا للعيان أن الديموقراطية والحرية الانسانية أصبحتا فى خطر جسيم، كان جورج آبلى يرقب بجزع وقلق تصرفات الحكومة الأمريكية، تلك التصرفات التى كانت تنطوى على التردد وعدم المبالاة فضلا على أنه كان يشتم منها رائحة التدليل لألمانيا ، واعتبر جورج آبلى هذا الموقف بمثابة لطخة سوداء تشين البلاد

www.ibtesama.com

وتجللها بالعار الى الابد ، وأحس بأن واجبه يقتضى منه أن يعبر عن رأيه بحرية وصراحة عن هذه المسألة فى كل مناسبة تتاح له ٠

وكانت الخطابات التى بعث بها فى ذلك الوقت الى صديقه « ووكر » تنطوى على أهمية خاصة بالنسبة لهذه المسألة لأنهـا توضح قوة عقيدته التى لم يكن فى وسع أعدائه أنفسهم ، الذين كثر عددهم فى ذلك الوقت، الا أن يعجبوا بها كارهين ، ولأول مرة فى حياته تقريبا وجد نفسه أمام قضية حقيقية تستحوذ على كل تفكيره واهتمامه ويبذل من أجلها كل جهد مستطاع ٠

وقد كتبت كاترين فى ذلك الوقت خطابا جاء فيه :

« اننى لا أستطيع أن أفهم جورج ٠ يبدو أن هـذه الحرب قد قلبت أحواله رأسا على عقب ٠ انه لايتحدث الا عنها ولاشىء يثير اهتمامه سواها٠ حينما كنا نزور أسرة (كالدويل) منذ بضعة أيام قابلنا هناك شخصا يدعى (نيكسون) تلقى علومه فى جامعة (هيدلبرج) فى ألمانيا وله ميول ألمانية وقد أثارت آراؤه جورج آبلى بصورة عنيفة ولا سيما حينما قال ان الجيش الألمانى أحسن تنظيما وأوفر عتادا وأسلحة من الجيش الفرنسى ، ان مكتبة زوجى فى شارع (بيكون) مملوءة بالخرائط التى غرست فيها دبابيس توضح مواضع القتال بين الجيوش المتصارعة ، اننى أتمنى أن تنتهى هذه الحرب فى أقصر وقت » ٠

ومع هذا فان كاترين نفسها بدأت تهتم بالتدريج بمجريات هـذه الحرب وأخذت تبدى عطفها على فرنسا وتعرب عن اعجابها بشجاعة شعبها وما يظهره من بسالة وتضحية ٠ وقـد كتبت خطابا فى ربيع عام ١٩١٦ جاء فيه ٠

« لقد دعا جورج ضابطا فرنسيا الى تناول طعام الغداء فى دارنا وقد حضر الى أمريكا فى مهمـة لشراء أسلحة ، لقـد كان رائعا فى حلته الزرقاء وكان يبـدو أكبر سنا قليـلا من ابنى جون ٠ لقـد كان سلوكه وتصرفاته جميلين جدا وشعرت بالفخر للطريقة التى كانت ابنتى اليانور تتكلم بها بالفرنسية معه، ان اليانور تريد أن تعمل بالتمريض فى فرنسا ولكن هذه الفكرة سخيفة للغاية » ٠

ومؤلف هذا الكتاب الذى اشترك مع جورج آبلى فى كثير من اللجان التى شكلت خفية ، لاحظ تغيرا كبيرا فيـه ، فقد اكتسب ثقـة جديدة بالنفس وقوة جديدة تنطوى على العزم والتصميم ، انعكست فى الخطابات

www.ibtesama.com

التي كتبها الى أصدقائه وزملائه القدامى . وقد كتب خطابا الى أحدهم قال فيه :

« اننا نبذل أقصى جهدنا لاعداد الرأى العام لمواجهة أسوأ ما يخبئه له المستقبل . لقد أصبح واضحا جدا من المعلومات التى حصلت عليها من اللجان الكثيرة غير الرسمية التى اشترك فى عضويتها أن الجواسيس الألمان يملئون هذه البلاد وأنهم تغلغلوا حتى فى دوائر الحكومة فى واشنطن، ان فى بوسطن عددا كبيرا من الألمان الذين ينبغى مراقبتهم كلهم مراقبة شديدة ، وهم يحتمون بستار المدنية الذى يحميهم هنا لينشروا الفزع فى البلاد . لقد سرت شائعات تقول انهم يقومون بانشاء تحصينات الأسمنت المسلح على التلال المحيطة ببوسطن لوضع المدافع الثقيلة فيها ، وانهم أنشئوا شبكات من أجهزة اللاسلكى على طول الساحل للاتصال بالغواصات الألمانية ، وليس أمامنا فى الوقت الحالى الا أن ننتظر ونرقب سير الأمور ، وانى لأشعر بأسف عظيم لأنه سمح لأحد الألمان بأن يعمل فى بوسطن مديرا لفرقة الاوركسترا السيمفونية . وقد يكون هذا الرجل فنانا ، وان كنت أشك فى أنه يوجد ألمانى واحد يعرف معنى الفن ، ولكن التعامل معه وابداء العطف عليه يعتبر انتهاكا للعدالة وتهديدا لها ، وفضلا على ذلك فان هذا الرجل قد يكون جاسوسا بجانب عمله كموسيقار .

ومما يزعجنى كذلك أنه يوجد تساهل واضح أيضا فى جامعة هارفارد تجاه الألمان . نعم ان معظم الطلبة يسلكون الطريق السليم ولكن ابنى جون أخبرنى بأن أعضاء هيئة التدريس يعربون فى خلال محاضراتهم عن تأييدهم لألمانيا ، ومن الواضح أن وقوف أمريكا موقف الحياد تجاه المانيا لا معنى له فى الوقت الذى تظهر فيه عداء صريحا لنا وتحاول اقحامنا فى حرب مع المكسيك ، والعجيب أن المسئولين فى واشنطن يبدون غير مكترثين بكل هذا » .

وقد تكون مشاعر جورج آبلى خاطئة او صائبة ولكن هذا لا يغير شيئا من الحقيقة وهى أنها تدل على اقناع شديد ويقين ثابت ، وقد وقف آبلى موقفا صريحا ، كما فعل أجداده ، الى جانب ما يعتقد أنه حق ، ولما أغرق الالمان الباخرة « لوزيتانيا » فى شهر مايو ١٩١٥ تنفس الصعداء وأيقن أن الامريكيين سيفيقون من غفلتهم ، وسيقفون أخيرا الى جانب الحق ، ولكن موقف التراخى العجيب الذى وقفته الحكومة الأمريكية حينئذ واللهجة اللينة التى تنطوى على التدليل التى ظهرت فى تصريحات الرئيس الامريكى « ولسون » أصابت بالذهول « آبلى » الذى لم يتوقف عن

www.ibtesama.com

الاحتجاج ، فى الاجتماعات الكثيرة التى عقدها، على حادث اغراق السفينة « لوزيتانيا » .

وقد كتب فى ذلك الوقت خطابا لصديقه (ووكر) جاء فيه :

«لقد برز موقف قبيح آخر : وهو أن الايرلنديين فى بوسطن الذين ينقمون على انجلترا بسبب رفضها منح الاستقلال لايرلنـدا يعربون عن عطفهم على ألمانيا ، وقد سمعت أمس أشخاصا كثيرين يقولون ان ألمانيـا كانت على حق فى اغراق السفينة « لوزيتانيا » لأنها كانت تحمل أسلحة وذخائر . وقد عجبت من صدور مثل هذا القول عن أشخاص يعيشون بين ظهرانينا هنا فى بوسطن ، وان أخشى ما أخشاه أن يعمل الالمان على اثارة صراع قاتل بين أفراد الشعب وبث روح الانقسام والفرقة بينهم .

وعلى أى حال فقد شكلت لجان كثيرة هنا لمناصرة قضـية الحلفاء ، وقد بعثت اللجان روح الحيوية واليقظة فى المدينـة ، وهى تستقبل كل من يحضر اجتماعاتها بترحاب وتنـاقش فيها مختلف المسـائل الوطنية ويتردد عليها رجال السياسة والصحافة والأعمال والمحاماة ، وانى لأشعر باغتباط شديد حينما أتحدث معهم وأتبادل معهم مختلف الآراء .

وهناك لجان أخرى تتولى جمع الأموال والأغذية والمهمات والملابس لمنكوبى الحرب ، وخاصة البلجيكيين والصربيين والبولنديين ، ومما يدعو للأسف أنه توجد أيضا لجنة تجمع الأموال لشراء ألبان للأطفال الألمان ، ولكنها لم تحقق على أى حال نتائج كبيرة ، ومعظم هذه اللجان تضم جماعات ديمقراطية وان كان كثير من أعضائهـا لم أسمع بهم من قبل وهـذا يثير شيئا من الشكوك فى أن بعض الأشخاص يستخدمون هذه اللجان كوسيلة للظهور فى المجتمع وتحقيق مكاسب شخصية ولكنى أعتقد أن هذه الشكوك لا تقوم على أساس صحيح .

ومن دواعى سرورى أن كاترين واليانور اشتركتا فى هيئة الصليب الأحمر ، اذ يقومان باعداد الضـمادات ، والتدريب على شئون التمريض مع كثير من نساء المدينة . »

وكتب بعد ذلك خطابا لصديقه « ووكر » جاء فيه :

« لقد حدثتك من قبل عن الروح الجديدة التى سادت مدينة بوسطن وانى لفخور بهـا كل الفخر ، ومن دواعى الاغتبـاط أن هذه الروح قد اقترنت أيضا بنوع من اليقظة الدينية ، ولقـد استقبلنا هنا أخيرا رجلا من أعظم الرجال الذين رأيتهم فى حياتى وواعظا بليغا ، لـكلماته وقع

www.ibtesama.com

السحر فى النفوس ، وقد نصب سرادقا كبيرا فى شارع (هانتيجتون) بحجم سرادق « السيرك » وذهبت أول مرة مع ابنى جون الذى أكد لى انى سأغتبط من سماع هذا الرجل الذى يدعى (بيلى سنداى) وهو يخطب فى الناس ، وقد سررت فعلا من خطابه حتى انى ذهبت اليه فى المساء الثانى واصطحبت معى كاترين واليانور • انه رجل دين يعرف كيف يستثير الجماهير بعظاته البليغة وان كان عقلى لا يوافق على كثير من تفسيراته الانجيلية ، وقد قابلته ذات مساء عقب انتهاء أحد الاجتماعات التى عقدها ولن أنسى هذه المقابلة ما حييت ، وكان القس (بيلى سنداى) يتفصد عرقا بعد أن ألقى احدى خطبه المؤثرة وكان منظره وهو جالس اشبه بمنظر رجل رياضة محترف منه بمنظر رجل دين • وبعد أن تحدثنا بعض الوقت أمسك يدى بقبضته التى تماثل المطرقة فى قوتها وسألنى عما اذا كنت أعتقد أنه يعمل بنجاح فى طرد الشيطان من بوسطن ، وفى نهاية الحديث سلمته شيكا بمبلغ خمسة آلاف دولار بشرط ألا يذكر لأحد أنى تبرعت بهذا المبلغ •

وفى ذلك الوقت واجه جورج آبلى مشكلة تهدد أحد أقاربه وصديقه وابن عمه « جون آبلى » الذى كان من طراز آخر غير طراز جورج آبلى • كان جون آبلى شخصا محبوبا فى المجتمع ولكنه كان حاد الطباع متهورا ، وكان قد تزوج وهو طالب فى السنة النهائية بجامعة هارفارد بفتاة من اسرة ثرية اسمها « جورجينا ميرسن » من مدينة بروكلين وقد عاش معها بعد ذلك فى منطقة (نورث شور) التى بها ضياع أسرتها وحظائرها وجيادها •

وكان جورج آبلى قد تلقى دعوة من ابن عمه جون لتناول الغداء فى داره مع زوجته كاترين، وقد حضر مأدبة الغداء أيضا المستر (توم بريكنج) وزوجته ، صديقا جون آبلى وزوجته جورجينا ، وقد أقيمت المأدبة فى قاعة أشبه بحظيرة الخيول وكانت الصحاف والأطباق مزينة برءوس الخيول ، وكان فى وسط المائدة تمثال لرأس جواد قدمه نادى الصيد هدية لجون آبلى •

وبعد أن انتهى الجميع من تناول الطعام انسحب الرجال الى مكتب جون آبلى لتناول بعض النبيذ ، ثم نهضوا بعد ذلك للانضمام الى السيدات وخرجوا جميعا الى العراء حيث كانت بعض جياد جون آبلى مصطفة مع مدربيها ، وحينئذ أعربت السيدة (بيتى) زوجة توم بريكنج ، وجون آبلى ،عن رغبتهما فى امتطاء صهوة جوادين من هذه الجياد ، وقد فعلا ذلك وأخذا يمارسان بعض ألعاب القفز فى الساحة ولكن كان من الواضح

www.ibtesama.com

أن جورجينـا ، زوجة جون ، وبريكنج زوج بيتى ، لم يكونا مستريحين لهذا العمل ، ولم يبديا سرورهما بهذه الالعاب ٠

ومن السهل أن يستنتج المرء ما حدث بعد ذلك ، وان كان ما حدث قد وقع على جورج آبلى موقع الصاعقة ، فقد تلقى خطابا من ابن عمه جون هذا نصه :

عزيزى جورج :

« أود أن أخبرك أولا انى تركت جورجينا وقررت أن أطلقها ، فنحن لم نفهم أبدا فى خلال حياتنا الزوجيـة بعضنا بعضا ، وأضيف الى ذلك أن (بيتى بريكنج) هجرت زوجها هى الأخرى ، وأظن أن هـذا سيخلق موقفا معقدا ، ولكنى أعتقد أنك ستفهمه ، يا جورج، أكثر من أى شخص آخر » ٠

ثم لم يلبث حتى بعث الى جورج برسالة أخرى ردا على رسالة كان قد تلقاها منه :

عزيزى جورج :

لقد صـدمنى ردك واذهلنى ٠ لو انك تمهلت لتتذكر حادث غرامك القديم بالفتاة (كلارا جودريتش) لما تسرعت لكى تلقى على محاضرة حول سمعة الأسرة وحقوقها ٠ اننى أعرف أن هذه هى أول مرة يترك فيها أحد أفراد الأسرة زوجته لكى يتزوج امرأة رجل آخر ، ولكن ماذا فى هذا ؟٠

ثم أرسل جون خطابا ثالثا الى جورج آبلى هذا نصه :

عزيزى جورج :

« لقد فـكرت فى الحديث الذى دار بيننـا أمس كما طلبت منى أن أفعل وأصارحك القول بأنى لا أزال مندهشا ومتألما منه ٠

لقـد استمعنا اليك جيـدا ، بيتى وجورجينا وتوم وأنا ، ولم أكن أعرف مطلقا من قبل أنك تكشف أوراقك بهذه الصورة وتتكلم بمثل هذه الصراحة ٠ لقد كانت لك مآثر مالية على فترة طويلة من الزمن ولهذا فانى أشعر بأن يدى مقيـدتان تجاهك ٠ اننى اعترف بأنك كنت تتحدث طبقا لما تعتقد أنه حق وعدل ، وان كنت لا أشاطرك وجهة نظرك ، وانك تؤمن بضرورة المحافظة على وضع الأسرة وتضامنهـا ولـكن على حساب أرواح أفرادها ٠ حسنا لقد فعلتها ونجحت فى افساد خططى وفى فرض وجهة نظرك التى تهدف الى عدم تغير أى شىء ٠ اننى على أى حال سأظل محتفظا

www.ibtesama.com

بأحسن العلاقات مع بيتى ، ولكنى أريد أن أقول لك انى لن أتكلم معك قط بعد الآن ٠

والذين كانوا يعرفون جورج آبلى فى ذلك الوقت يتذكرون مقدار الألم الذى سببته له هذه المسألة المعقدة ٠٠ ومع اقتناعه بأن الموقف الذى اتخذه كان عادلا فانه قد دفع الثمن فادحا فخسر صداقة ابن عمه جون آبلى ومحبته ٠

ولم يشر جورج آبلى الى هذه المسألة فى أحاديثه الخاصة مع ابنه الا نادرا ، وكان من رأيه انه كلما قل الكلام عن هذه الفضيحة كان ذلك أفضل ، والواقع أنه أشار اليها بطريقة غير مباشرة فى خطاب بعث به الى ابنه جون فى خلال أجازة كان يقضيها فى نيويورك مع بعض زملائه فى الجامعة ٠

« صادفت أخيرا أزمة عويصة كانت تهدد أسرتنا ، وقد هزتنى أحداثها هزا عنيفا وأرجو ألا تعرف شيئا عن تفاصيلها ، فاذا قدر لك أن تعرف شيئا عنها فتذكر أن والدك قد تصرف لما فيه صالح الجميع وطبقا لما يعتقد أنه يحقق الخير، وقد حان الوقت لكى أخبرك بشىء قاله لى والدى فى محنة مماثلة صادفتنى فى مقتبل شبابى وهو أن الأسرة أهم من الفرد وأن الأسرة يجب أن تكون قوية تجاه العالم وأن مركز الاسرة يجب أن يظل سليما على مدى الأجيال ، بحيث اذا ارتكب أحد أعضائها خطأ ما فيجب أن يتضافر الباقون ويتعاونوا حتى لايلحقها أى أذى من جراء ذلك، ولحسن الحظ فان الذين ارتكبوا أخطاء جسيمة فى أسرتنا عددهم قليل لا يكاد يذكر ٠

يؤسفنى أنك لم تحضر الى هنا فى خلال اجازتك لكى ترى أمك وأختك وترانى ، ان هذه العادة العجيبة التى تجعلك تهيم بعيدا عن بوسطن لن تفيدك بشىء فى نهاية المطاف ، ولست أرى أن فى نيويورك شيئا يستحق كل هذا الاهتمام ، فهى مدينة غريبة الاطوار لا تتفق مع مشربك ، ولكن يبدو أن المرء يميل الى حياة المغامرات حينما يكون صغير السن ٠

والدتك واليانور فى أحسن حال ٠ وأختك اليانور أصبحت قبلة أنظار المجتمع ولكن الشبان الذين يأتون لزيارتنا لا يستحقون كثيرا من الاهتمام ويؤسفنى أن كثيرين منهم أصدقاؤك ومع أن سلوكهم وخلقهم لا غبار عليه الا أنه يندر أن يجد الانسان بينهم شابا يمكن أن يبعث الاعجاب ، أو يثير الأمل ، وهذا أيضا هو رأى أختك اليانور ٠ ولست

www.ibtesama.com

أقصد بذلك أنهم يفتقرون الى الثراء والجاه ، فانك واليانور ستكونان فى غنى عن أى ثراء آخر ، وانما أقصد شيئا لا يمكن شراؤه بالمال ، وهو اتفاق المشارب والطباع ٠

ان تكتم جورج آبلى ، والتزامه جانب الصمت فيما يتعلق بشئون الأسرة ، لم يكن مقتصرا على الفضائح فقط وانما كان من عادته أيضا ألا يتحدث عن كرمه تجاه كثير من الفروع البعيدة الفقيرة لأسرة آبلى ، ولم يعرف أحد ، الا بعد وفاته ، مدى ما بذل من المال والجهد لانقاذ كثيرين من أقاربه من غوائل الأزمات المالية ومن المرض ولمساعدة أبنائهم على استكمال دراستهم ، وعلى الأخص ما فعله فى خلال الأزمة المالية القاصمة التى اجتاحت الولايات المتحدة عام ١٩٢٩ ، فقد وقف حينئذ الى جانب كثيرين من أقاربه الذين كانت تهددهم هذه الأزمة بالافلاس وعاونهم على اجتياز مرحلة الخطر بسلام . ولا شك أن الثروة التى تركها بعد موته كان يمكن أن تكون أكبر كثيرا لولا هذا الاخلاص العجيب الذى كان يكنه لأفراد أسرته القريبين منهم والبعيدين ، والذى يدفعه الى البذل والجود ، من غير حساب ٠

www.ibtesama.com

الفصل الحادى والعشرون

الحرب تدق الأبواب

فى هـذه السنوات لم يكن لدى جورج آبلى من الوقت ما يتيح له الكتابة الا عرضا ، وقلما وجد فى خلالها فرصة للتأمل الهادىء وفجأة دقت الحرب أبواب البلاد حينما نشبت أزمة الحدود الأمريكية المكسيكية .

ومؤلف هذا الكتاب يتذكر جيدا احدى الأمسيات حين حدثه جورج آبلى بالتليفون وهو فى حالة اضطراب وقال له : « أريد أن أراك .. » ثم أردف قائلا «ابنى جون سيذهب الى الحدود .. جون سيذهب الى الحرب ..»

وقد كتب جون آبلى فيما بعد يقول « لم أكن أعرف أن أبى يهتم بى الى هذا الحد الا ليلة أن أخبرته بأنى سأذهب الى الحدود كجندى فى سلاح المدفعية . وقد طلب منى حينئذ أن نصعد الى مكتبته لنتحدث على انفراد وكان الرأى السائد فى ذلك الوقت أن الحرب مع المكسيك ستتخذ مظهرا عنيفا . وقد قال لى والدى :

« نعم .. هذا هو الطريق الوحيـد الذى ينبغى أن تسلكه وخاصة أن الجميع سيذهبون الى الميـدان ، وأنا مسرور لانك سـتذهب مع احدى فرق المدفعية التى تتألف من أبناء بوسطن ، ولكن هذا الموضوع سيقلب كثيرا من خططى رأسا على عقب » .

وكنت أعرف ما يعنيه والدى ، وان كان لم يشر اليه بالطبع ، فقد كان يعنى أن بقاء ذكر من نسله ، وهو ما جاهد فيه ، أصبح مهددا . لقد كان يفكر فى الأموال والتحف الفنية التى يملكها ، ولكنه كان يفكر فى أنا أيضا ، ثم لم يلبث أن سألنى :

« جون .. متى ستذهب الى الجبهة ؟ »

وقلت له :

« غدا .. »

www.ibtesama.com

وحينئذ سعل كما لو كان قد وقف فى حلقه شىء .

ثم قال :

« جون .. اننى لن استبقيك معى هنا الآن فربما كانت هناك فتاة تريد أن تراها قبل سفرك » .

فقلت له انه لا يوجد هناك شىء من هذا القبيل ، فسعل مرة أخرى كما لو كان لعابه قد جف ، ولاحظت أنه مضطرب جدا . ثم قال :

اظن انه من المناسب ان تذهب وتحضر صديقتك « ايفلين نيو كومب » فهل تفعل ؟

فقلت له :

« هل تقصد أنه يجب أن أتزوج الليلة لكى أترك وريثا ؟ وكانت هذه هى المرة الوحيدة التى رأيت فيها وجهه يحمر خجلا ، ولم يلبث ان قال :

« كلا بالتأكيد ، ولكنك اذا كنت تريد أن تتزوج يا جون فاننى لن الومك بأى حال » .

فقلت له انى سأفكر فى الأمر وحينئذ غير موضوع الحديث وبدأ يتكلم عن موضوعات أخرى ، ولكنه حينما فتح زجاجة نبيذ من النوع المعروف باسم (ماديرا) عاد الى مرة أخرى وقال :

« جون .. اننى أتحدث معك حديث رجل لرجل .. هل هناك فتاة معينة يهمك أمرها ؟ »

فقلت له انى أعرف فتاة قابلتها فى نيويورك فى الربيع الماضى . فقال :

« يا اله السماوات .. فتاة من نيويورك ؟ »

وتناول كأسا أخرى ثم أردف يقول :

« لا أظن أن كل ما فعلته سيصبح له قيمة » .

وكنت أفهم ما يعنيه حينئذ ، فقد كان يبنى آماله على بصورة ما ، واعترف بأنى لم أفهمه حق الفهم الا فى تلك الليلة . ثم قال :

«يالله ! . لماذا لم تنشب حرب وأنا ما زلت شابا ، اذن لكانت الأمور

www.ibtesama.com

قد سارت فى وجهة أخرى » ٠

ثم صافحنى وقال :

« اننى أريد أن تكون سعيدا يا جون ٠٠ »

وخيل الى حينئذ أن والدى يحاول أن يبدو متماسكا ولكنى لحظت لأول مرة فى حياتى ، أنه ينوء تحت أثقال الكمد واليأس ٠٠

ان اندلاع حرب بين الولايات المتحدة والمكسيك أمكن تحاشيه فى الوقت الذي غادر فيه جون آبلى ورفاقه مدينة (فرامنجهام) فى طريقهم الى الحدود وان كان الموقف ظل خطيرا بين الدولتين وفى هذا الوقت حدثت أزمة جديدة لجورج آبلى وان كانت من نوع آخر نتيجة لوفاة مسز هنرى آبلى ، وهى احدى قريبات أسرة آبلى، وان تكن من الفروع البعيدة٠ وقد دفنها أبناؤها ، وهذا من حقهم ، فى مدافن أسرة آبلى التى تقع عند جبل (أوبورن) وتسمى « مدافن جبل أوبورن » والتى استقر فى تربتها عدد كبير من الأشخاص ووجدوا فيها مكانا يستريحون فيه راحتهم الأخيرة وهناك غيرهم ينتظرون دورهم وبينهم مؤلف هذا الكتاب نفسه ٠

وكان من عادة جورج آبلى التى لا يحيد عنها مطلقا أن يشيع كل جنازة فى الاسرة ، ولكنه فى ذلك الوقت لم يستطع ، بسبب مشاغله الكثيرة ، أن يحضرجنازة مسز هنرى آبلى ، وقد كلف ابن عمه روجر آبلى أن ينوب عنه فى تشييع الجنازة ، وأن يقوم بما يلزم فى هذا الشأن ، وبعث اليه بعد ذلك بخطاب يعرب فيه ضمنا عن أسفه لعدم قيامه بهذا الواجب ، وذلك ضمن أشياء أخرى أفضى بها اليه :

عزيزى روجر :

كنت أمس أستقل السيارة مع زوجتى كاترين فى طريقنا الى ضاحية (كونكورد) حينما مررنا بمدافن (جبل أوبورن) ، فتوقفنا لزيارتها كما تعودنا أن نفعل كلما مررنا بها ، وقد كنت أريد أن أرى كيف نمت الأشجار التى زرعناها فى القسم الجنوبى من المدافن ومدى مقاومتها لحرارة الصيف ، وسرنى أنى رأيتها مزهرة ، وكنت على وشك أن أغادر المكان حينما لاحظت أن ابنة عمى (هاتى) قد دفنت فى المنطقة التى يعرف الجميع أنها مخصصة لفرع أسرتى المباشر ، وانى أقصد بذلك المكان الذى توجد به شجرة البلوط التى أمر والدى بزراعتها هناك وكان هذا المكان هو المفضل لديه ، ولهذا فان له أهمية عاطفية بالنسبة لى وبالنسبة لأولادى ، ان هذه المسائل تزداد أهمية مع مضى الأعوام وأنا لا أستطيع

www.ibtesama.com

ان أفهم ما الذى جعلك تسمح بأن تحتل ابنة عمى (هاتى) هذه البقعة: اننى فقط لا أسمح بأن تكون فى هذا المكان ولكنى أعترض أيضا على وجود هذا التمثال الذى يمثل الملاك على شاهد القبر فهو يختلف عن التماثيل المصنوعة من الرخام الأبيض التى اعتدنا أن نضعها على شواهد قبورنا .

اننى أعترف بأن أفراد أسرة هنرى آبلى أقارب لنا ، ولكنهم من فرع بعيد بحيث يمكن تقريبا اعتبارهم انهم ليسوا كذلك . وينبغى أن أذكرك أيضا بأن أعضاء أسرة هنرى آبلى لم يساهموا مطلقا ، بسبب سوء أحوالهم المالية ، فى شراء الأرض التى بنيت عليها المدافن أو فى صيانتها . أننى لا أتذكر انى كنت أرى ابنة عمى (هاتى) الا فى حفلات الغداء التى كنا نقيمها بمناسبة عيد الشكر ، باستثناء مرتين زارتنى فى خلالهما لكى أساعدها فى دفع مصروفات حفيدها فى الجامعة وطبقا لهذه الملابسات فانه يبدو لى أن أسرة هنرى آبلى كانت شبه متطفلة وان كنت لا أحب أن أستخدم هذا اللفظ حينما وضعت يدها على البقعة التى دفنوا فيها قريبتهم .

وليس من المجدى الآن أن أتحدث أكثر من ذلك فى هذا الموضوع ولكنى لا أستطيع أن أنسى انى تركت ترتيب هذه المسائل لك بصفتك أحد الأوصياء المنوط بهم الاشراف على هذه المدافن ، اننى موقن بأنك لا تدرك مدى الألم الذى سيحدثه قرارك فى نفسى أو فى نفس عمى وليام آبلى الذى ينوى أن يضع رأسه ليستريح فى هذه البقعة وأخشى ان يفعل ذلك فى المستقبل القريب . ان عمى وليام ، كما تعرف ، يكره بعض الناس وكانت (هاتى) ضمن من كان يكرههم ، اننى متردد فى ابلاغه بأنها مدفونة هناك ومع هذا فانى سأضطر قطعا لابلاغه ذلك ، اذ أنه طلب منى أن أذهب معه فى الأسبوع المقبل الى المدافن لكى يختار بنفسه المكان الذى يريد أن يدفن فيه ، اننى أعتمد عليك فى اقناع أسرة هنرى آبلى باخراج جثة ابنة العم (هاتى) ونقلها الى مكان آخر فى المدافن قرب المنحدر ، اذ أن هذه البقعة خالية من الأموات فى الوقت الحاضر وأرجو أن تفيدنى بما تستطيع عمله فى هذا الموضوع ..

ثم بعث اليه بعد ذلك بخطاب آخر هذا نصه :

عزيزى روجر :

سرنى جدا أنك أدركت أهمية هذا الموضوع ، وأوافقك على أنه يتطلب كياسة خاصة فى معالجته ، ولكنى لا أوافقك على أن الوقت أصبح متأخرا اكثر من اللازم لعمل شىء فى هذا الشأن . حينما انشىء المترو تحت

www.ibtesama.com

مدينـــة بوسطن اخرجت جثث كثيرة جدا من المقـابر القديمة فى المنطقة القديمة ، المنطقة التى حفر فيها نفق المترو وأعيد دفنها من جديد فى مكان آخر ، وقد لاحظت أنك لا تريد أن تقابل بنفسك أفراد أسرة هنرى آبلى لكى تتحدث معهم فى هذا الموضوع ، ولهذا فمن الأفضل منهم الحضور الى لكى أتولى أنا الأمر بنفسى ، وسأكتب اليوم خطابا لهنرى آبلى كما اقترحت ..

وقد كتب جورج آبلى خطابا لهنرى آبلى هذا نصه :

عزيزى هنرى :

لقد دفن جثمـان أمك ، نتيجة خطأ أعتقـد أنه لا يد لك فيه ، فى بقعة فى مدافن الأسرة يعرف الجميع ضمنا أنه مخصص لفرع عائلتنا ، وأود أن أدخل فى الموضوع مباشرة لأطلب منك أن تبادر الى نقل رفات أمك الى الجهة الجنوبية من المقابر التى تقع عنـد المنحدر ، وأرجو أن تكون واسع الصدر بحيث تفهم أهمية هذه المسألة بالنسبة لنا ، وانى لأدرك أن طلبى هذا قد يؤلمك فى هذا الوقت بالذات الذى لا تزال تشعر فيه بلوعة الحزن على الفقيدة ، ولكن ليس باليد حيلة، وأريد أن تعلم أننى سأدفع، بالطبع، جميع النفقات التى يتطلبها نقل الجثمان وأرجو أن تبلغنى فورا بالترتيبات التى ستتخذها فى هذا الشأن .

ثم بعث بخطاب آخر الى هنرى آبلى هذا نصه :

عزيزى هنرى :

اننى أعزو كثيرا ممـا ورد فى خطابك الى الاضطراب والحزن الذى تشعر به ، بطبيعة الحال ، فى مثل هـذه الظروف ، ولـكنى لا أرى سببا يبرر هـذا القرار الذى اتخذته من جانبك فى هـذا الشأن ، ان المدافن تخصنا جميعا ، واعتراضى ينصب على المكان ولست أشعر بأن لى أقل حق فى أن أطلب نقـل جثمان أمك من مدافن أسرة آبلى فأرجـو أن تتـذكر ذلك جيدا .

واذا رأيت مع ذلك أن نقل الجثمان من مدافن الأسرة كلها هو أفضل حل لهذه المشكلة وسيخفف ما تشعر به من ألم فانى لن أعارضك فى ذلك وأكرر مرة أخرى انى مستعد لدفع جميع النفقات .

وهذا الموقف المحرج المؤلم ليس جديدا فمثل هذه المشكلة صادفت كثيرا من الناس وقد تصرف جورج آبلى ازاءها طبقا لمـا يعتقد انه حق ، ولهذا يستحق العطف فى الواقع أكثر مما يستحق اللوم ، ومن الواضح

www.ibtesama.com

أن هـذه الأزمة هددت باحداث تصـدع خطير فى الأسرة وبسببها وقعت خلافات شديدة لم تلتئم الجراح التى نتجت عنها حتى الآن • ولكن الذى أثار دهشة جورج آبلى وأحزنه بعض الشىء هو رد الفعل المعادى له الذى بدر ضـده من بعض أقاربه وتبين له لأول مـرة أنه على الرغم من كرمه ونواياه الحسنة فانهم يحملون له بين ضلوعهم شعورا ينطوى على الاستياء والتذمر ، بل انه يبلغ فى بعض الأحيان حد الكراهية • وقد واجه هذا الموقف ، الذى يدعو الى الأسى بثبـاته المعهود معزيا نفسـه بأنه يفعـل ما يمليه عليه ضميره •

حتى خاله «هوراشيوبرنت» ذاته ، الذى كان يقاسى فى ذلك الوقت من آلام المفاصل ومن أزمة شديدة فى القلب ، انحاز ، مع حبه واخلاصه الشديد له ، الى جانب وجهة نظر هنرى آبلى • والخطاب الذى بعث به اليه فى هذا الشأن يدل على مدى تمسك جورج آبلى بآرائه ، ومهما يكن رأى الناس فى هذه الآراء فانها تعـكس خلق جورج آبلى الذى يستطيع دائما أن يخلق المعارضة وأن يقف ثابتا أمامهـا • وفيما يلى نص الخطاب الذى أرسله « هوراشيوبرنت » فى هذا الصدد :

عزيزى جورج :

اننى الآن فى (باكوج نيك) وأجلس فى الشرفة التى جلست فيها معى كثيرا وقدمى تغطيهـا الأربطة وزوجتى ، التى تبعث اليـك بتحياتها لا توافق على أن أتناول عقاقير منبهة ، وقد اتخذت التدابير اللازمة لانشاء مصعد يحملنى الى الدور العلوى •

وقد يكون من المضحك أن أرى العالم كله يبدو شابا فتيا كسابق العهد به ، وأن أشم رائحة الهواء الملىء بالملح ، وأن أرى المياه تلمع فى الخليج ، وأن أجد نفسى فى الوقت نفسه عجوزا كهلا • صدقنى ياجورج •• ان هذا الشىء لا يسر بتاتا • اننى أفكر فى الأيام الطيبة التى امضيناها معا ، وفى الأيام التى قمنا فى خلالها برحلة الى باريس أنت وأنا وزوجتى وابنتى هنرييتا ، لكى تجعلك تنسى قصـة غرامك الفاشل وتستطيع أن تضحك على هذا الآن ولـكنى أفكر فى كل هـذه الأشياء لأنه ليس لدى ما أفعـله غير ذلك وأرجو ألا تسخر من خالك وهو يكتب لك مثـل هذه الأشياء لأنه يحبك •

وقد سمعت بالطبع عن مسألة مدافن (جبل أوبورن) ، وكان الجميع هنا يتحدثون عن هـذا الموضوع فى خلال الأسـبوعين الماضيين ، اننى

www.ibtesama.com

لا يهمنى أين تدفن (هاتى) ولا يهمنى أن يدفن أى شخص آخر ، ولكنى أتساءل : ـ هل تعرف كيف ينظر الناس اليك ؟

اننى لا أحب أن يتهكم الناس خارج نطاق الأسرة عليك يا جورج، وأن يقولوا انك تحاول الظهور بمظهر العظمة وأن تبدو شخصا مهما ، لأنى أعرف أن هذه ليست من صفاتك ، اننى أعرف سبب المشكلة التى نعانيها وهى أننا ربينا منذ صغرنا على أننا أشخاص مهمون وعلى أننا يجب أن نفعل الشىء الصحيح ، ولكن صدقنى انك لن تشعر بأنك مهم وأنت تشكو من آلام المفاصل ، أريد أن أخبرك بشىء لن يضيرك أن تتذكره دائما ، وأعترف أنى نسيته انا نفسى فى احيان كثيرة ، ولكن هذا الشىء هو : أن معظم الناس فى العالم لا يعرفون من هى أسرة آبلى ولا يهمهم أمرها فى قليل أو كثير ، اننى لا أقول هذا بقصد الاهانة ولكن بقصد التسرية وجلب الراحة .. واذا أنت تذكرت هذه الحقيقة فانك لن تعود تشعر بأية ضرورة تدعوك للتفكير فى شئون أسرة آبلى بمثل هذا الاهتمام المغرق فى التطرف والجد ، وأرجو أن تفهم ما أعنيه فهما دقيقا .

ومع أن جورج آبلى استقبل ما تضمنه هذا الخطاب بصدر رحب وحبذ ما جاء فيه الا أنه فى الوقت نفسه قد أزعجه وأقلقه . والخطابات التى أرسلها الى ابنه جون ، الذى كان قد ظل يرابط عند الحدود ، تدل على أنه يتمسك كعادته بمسئولياته ، كما تدل على مدى اهتمامه بمستقبل أولاده وسعادتهم ، وتشير فضلا على ذلك الى خوفه من أن يشعر أولاده نحوه شعورا معاديا . والواقع أن جورج آبلى كان قد وصل الى المرحلة التى ينبغى أن يواجه فيها كل أب هذه الظاهرة العامة التى تنطوى على تمرد الشباب ضد أسلوب حياة آبائهم :

عزيزى جون :

سرنى أنك تستمتع بكل وسائل الراحة فى تكساس، وكان خطابك لطيفا ومثيرا للاهتمام للغاية ، وان كنت لم استطع أن أفهم جزءا كبيرا منه ، ان الاستعدادات الدفاعية التى تقوم بها بلادنا أمر جوهرى للغاية وان كان تباطؤنا فى حمل السلاح ضد الألمان يعتبر لطخة سوداء فى جبين بلادنا الى الأبد ونحن هنا نفعل كل ما نستطيعه لنصرة قضية الحلفاء ، ولسنا من أنصار التهدئة لحسن الحظ مثل بعض الناس فى أقاليم وسط غرب أمريكا ، ولجنة الدفاع فى بوسطن ، التى أنا أحد أعضائها ، تنظم الآن سلسلة من الاجتماعات ، ونحن نبذل كل جهدنا لتوعية الرأى العام لكى يفهم أن انجلترا الباسلة وفرنسا الشجاعة تقفان جنبا الى جنب

www.ibtesama.com

لانقاذ بلادنا المجللة بالعار من قبائل الهون (الألمان) البربرية • ان كثيرين من الأشخاص المثقفين الذين يحضرون الى النادى لتناول طعام الغداء يعتقدون أن الحكومة الأمريكية موالية للألمان وانى أرجو أن تفهم وجهة نظرى ، على الرغم من الاستخفاف الذى تنظر به أحيانا الى مثل هذه المسائل •

ويسود أيضا الاعتقاد بأن مدينة بوسطن تعج بالجواسيس الألمان الذين يبذلون أقصى جهدهم لنشر دعايتهم وسط الجماهير ، وقد حققوا بعض النجاح فى هذا الصدد ولا سيما بين الايرلنديين الذين يعيشون فى الطرف الجنوبى من بوسطن والذين يظهرون عداء واضحا لانجلترا ويناصرون بحماس حركات الثورة فى ايرلندا ، ويقال أيضا ، وهناك دلائل تحملنى على تصديق ذلك ان الكنيسة الكاثوليكية الايرلندية هنا تؤيد القضية الألمانية ، وحينما تعود الى هنا فلن تسخر من هذه المسائل كما كنت تفعل فى الماضى •

وكتب له خطابا آخر جاء فيه :

عزيزى جون :

« ان ردك على خطابى يدل على أنك لا تدرك مدى خطورة الحالة هنا فى بوسطن ، وانى أرجو ألا تكون قد أصبحت من أنصار سياسة التهدئة (وصدقنى انى أقول ذلك من قبيل الفكاهة لأن هذا شىء لا يمكن تصوره بالطبع) ولكن موقفك على أى حال لا يبعث على السرور بل انه ينطوى على أشد الأخطار ويجب ألا تنسى أن اسمك مرشح لنادى الاقليم ، ومثل هذه الاقوال التى وردت فى خطابك تلحق بك ، اذا قيلت فى اجتماع عام ، أبلغ الأذى وأفدح الضرر •

لقد حدث شىء جميل هنا أخيرا فقد زار بوسطن ضابط بريطانى برتبة ماجور كان قد جرح فى الحرب وحضر فى اجازة وألقى محاضرات فى بعض النوادى والجمعيات وقد أعطى لنا صورة واقعية لمايدور فى مواقع القتال فى فرنسا ، انه شخص لطيف للغاية واسمه (فيتز هيودارسى) وهو يقيم معنا الآن فى قصر هيلكرست ، وقد أعددت بمعاونته خريطة اضافية كبيرة للجبهة الغربية ووضعتها فى المكتبة وغرست فيها دبابيس توضح مواقع مختلف الجيوش المتحاربة على طول نهر السوم بفرنسا •

وبمجرد أن تصل صحيفة (ترانسكريبت) كل يوم يبادر هو وأختك اليانور فى كل مساء الى تغيير مواضع الدبابيس طبقا لتغيير الموقف

www.ibtesama.com

فى ميدان القتال وأود أن أخبرك بصراحة أن اليانور تبدو مهتمة به كثيرا، وأمك وأنا مغتبطان من ذلك .

وأرسل له خطابا آخر :

عزيزى جون :

« اننى لا أستطيع أن أفهم ما تقصده فى خطابك ، من الأفضل أن تترك لى أنا مهمة الحكم على خلق الماجور دارسى ، والسؤال عن أصل أسرته ، وقطعا استطيع أنا أن أحكم على أخلاق أى رجل بمجرد أن أراه . ان تحذيرك لى بأنه قد يكون مغامرا أفاقا ليس له أى مسوغ ، فكل الناس هنا مسرورون من لطف شمائله وجميل خصاله . لقد تخرج فى كلية ساندهرست الحربية ، وهو يعرف كل شخص أعرفه فى انجلترا ، وأظنك توافقنى على أن هذا يكفى ، وقد حاز ميداليتين تقديرا لبسالته بالاضافة الى أن سلوكه حميد جدا. واليانور معها كل الحق فى أن تهتم به ، ولاشك أنك ستفعل ذلك أيضا لو أنك سمعته يشرح بتواضع بعد الغداء كيف أن كتيبته قامت « بالهجوم » على الألمان فى موقعة المارن. ان أمك مسرورة منه أيضا وهو يقول ان قصر هيلكرست يعتبر قطعة من انجلترا ، سأكتب الى السفارة الانجليزية فى وشنطن لأسأل عنه ، كما اقترحت ، ولو أن مثل هذه الحيطة لا مبرر لها فى الواقع .

لقد حدث شىء مزعج منذ غادرتنا أخيرا فان شجرتى الدردار الضخمتين القائمتين على ممر الحديقة عند مدخل القصر قد أصابهما الذبول وبمجرد أن لاحظت ذلك ، بادرت الى اخطار جمعية فلاحة البساتين التى أوفدت نحو اثنى عشر رجلا لفحص جذورهما. ان الماجور دارسى واليانور يقفان الآن معهم وأنا أكتب لك هذا الخطاب وهما سيقومان بنزهة قريبا الى جبل (بلوهيل) وقد كنا مشغولين جدا فى الايام الاخيرة فى جمع الاكتتابات لصالح القرض الفرنسى والبريطانى .

ثم كتب لابنه خطابا آخر جاء فيه :

ابنى جون :

مع أن النبأ الذى تلقيته اليوم من وشنطن لا يقوم على أى أساس مطلقا ولا يمكن تصديقه بأى حال فان المشكلة التى أثارها قد حلت وحدها بوجيل الماجور دارسى . لقد سافر بعد أن خلف وراءه ديونا قيمتها خمسة آلاف دولار ، وقد أعربت عن استعدادى لدفعها بكل سرور ، ومع هذا فانى وأمك نشعر بأنه فى جوهره شخص «جنتلمان » وليس مغامرا

www.ibtesama.com

الماقاه. وهو اذا كان قد أبدى شيئا من الاهمال فيما يتعلق بالمسائل المالية فان هذا يرجع ، فى رأى كل الذين هم فى مركز أفضل منك فى معرفة حقائق الأمور، الى مجرد السهو والنسيان نتيجة الارهاق الذى كان يعيش تحت وطأته ، وانى واثق انه سيعود الينا قبل مضى وقت طويل .

اننى لا أفهم لماذا تشعر اليانور بمثل شعورك ، والواقع أن هناك أشياء كثيرة تتعلق بكما لا أستطيع فهمها .

لقد زارنا صديقك (رويال) لكى يرى اليانور ، وهو فى طريقه للاقامة بعض الوقت فى أحد مصايف اقليم نيوهامبشاير . لقد سبق أن كلمتك فى ضرورة ابداء مزيد من الحذر فى اختيار أصدقائك الذين تدعوهم لزيارتنا ، وانى الآن أعود فاسترعى نظرك لذلك . ويجب أن تعلم أن ما قد تعتبره أحد مظاهر الكرم من جانبك قد ينطوى على نتائج خطيرة بالنسبة لأختك اليانور وبالنسبة لنا جميعا ، ليس لدى أنا نفسى ما أستطيع أن أقوله ضد رويال ، ولكن الواقع أن أحدا لم يسمع أى شىء عنه من قبل ، أو يعرف شيئا عن أسرته وفضلا على ذلك فانه لم يكن عضوا فى نادى هارفادر أو فى أى ناد آخر ، ان اهتمامه الواضح باليانور ،وهو اهتمام جعل أمك تحدثنى عنه ليلة أمس ، لا يمكن أن يعزى الا الى أموالها ، وان كانت هذه المسألة تبدو فى نظرى الى حد أنى أكره الاشارة اليها ، وانى أعتقد مع ذلك أنه ليس الشخص الذى يعتبر من طرازنا .

ثم أردفه بخطاب آخر جاء فيه :

عزيزى جون :

ان ردك على خطابى بشأن صديقك الشاب « رويال » أزعجنى كثيرا وجعلنى أكاد أعتقد أنك أصبت بداء الاشتراكية ، يجب أن تفكر فى هذا الأمر مليا ان التشريعات والقوانين التى تصدر أصبحت تتضمن باستمرار الكثير من مبادىء الاشتراكية ، وأمام الجمعية التشريعية للولاية الآن قانون بشأن مساعدة العجزة والكهول ، ان هذه التشريعات يجب تركها للجمعيات الخيرية وجهات البر وابعادها عن تدخل الحكومة ، وقد ذهلت ليلة أمس حينما سمعت اليانور تتحدث بحرارة عن هذه التشريعات وأخشى أن تكون قد استوحت هذه الآراء منك .

ان شجرتى الدردار المريضتين فى الحديقة يجرى تغذيتهما الآن بالطرق الصناعية وقد تحسنت حالتهما وقد يسرك أن تعلم أننا اشترينا سيارة جديدة من طراز (باكار) وقد زرت أمس عمك وليام الذى كان

www.ibtesama.com

يبدو فى حالة صحية سيئة جدا ، وقد سألنى بصفة خاصة عنك وأدهشنى حينما قال انه يحبك ، ان حالته العقلية فى تدهور مستمر منذ بعض الوقت وأرى أنه يجمل بك أن تبعث اليه بخطاب .

وأرسل جورج آبلى خطابا آخر لابنه جون هذا نصه

عزيزى جون

لقد واجهتنى مشكلة صعبة جدا خلال الاسبوع الماضى واحب أن أطلعك عليها بصورة جدية اذ ان الوقت الذى ينبغى أن تتولى فيه مركزك هنا كرجل الأسرة يقترب رويدا رويدا ، لقد لاحظت أنك لاتبالى بهذه المسئولية ولكن لاشك فى أن تدريبك العسكرى فى تكساس سيغير موقفك

ان هذه المشكلة تتعلق بحديقة الورود السفلى التى تحوى كما تعرف عددا من شجيرات الاجهورى التى أتى بها جدك الكبير من حديقته فى مدينة « سالم » نعم ان الشجيرات أصبحت عتيقة وازهارها لم تعد تجذب الانظار ولكن فكرة ازالتها وانتزاعها من الأرض لايمكن تصورها ، غير أن هذا هو ما تريده أمك وقد فاجأتها ظهر اليوم فى الحديقة حيث رأيتها تحاول انتزاع خمس شجيرات منها ، انك تعرف أن اعجابى بأمك يفوق اعجابى بأية امرأة أخرى ولكنها شديدة العناد وصلبة الرأس ، لقد ذهبت اليها عمتك اميليا بعد ظهر اليوم لكى تكلمها بخصوص هذه الشجيرات ولكنها لا تزال تصر على ازالتها . اننى لم أتعود أن أقف فى طريق أمك حينما تصمم على رأيها ، ولكن الوقت الذى يجب أن أفعل فيه ذلك قد حان ويؤسفنى أن أقول ان أختك اليانور انحازت الى صفها فهل تتكرم حين تتسلم هذا الخطاب ، بارسال برقية لها تقول لها فيها انك لاتريد انتزاع شجيرات الورد الأجهورى ؟

واذا لم تجد مكتبا للتلغراف قرب معسكرك فاننى واثق من أن الكابتن أو الكولونيل الذى تعمل تحت رياسته سيسمح لك بالتوجه الى المدينة لهذا الغرض اذا أخبرته بأن الأمر مهم ، وهو مهم فعلا

www.ibtesama.com

الفصل الثانى والعشرون

وليام آبلى

قرب نهاية هذا الصيف المضطرب وقع فى أسرة آبلى حادث كان بمثابة امتحان شديد لصبر جورج آبلى ، وتأثر به الأقربون من أهله الى أقصى حد والحادث المشار اليه يعرفه كل من يقرأ صفحات هذا الكتاب ، كما يعرفه عدد كبير من الناس

ففى خلال هذه المرحلة المفعمة بالنشاط الجم ، والتى بلغت ذروتها قبيل اللحظة الحاسمة التى قررت فيها الولايات المتحدة دخول الحرب الى جانب الحلفاء ، بعد طول تردد وتفكير، لم يسمح جورج آبلى لمشاغله الأخرى بان تتدخل لتمنعه من أداء واجبه فى زيارة عمه المريض وليام آبلى بعد ظهر كل يوم . ولما كان وليام آبلى قد رفض أن يدخل المستشفى ، فقد بقى خلال العام الأخير فى داره تحت رعاية مس (برنتيس) وهى ممرضة ماهرة من مستشفى (ماساشوستس) العام وقد ظل على الرغم من مرضه يواصل الاشراف على ادارة مصانع آبلى الى الحد الذى اضطر معه (وليام بيتشارد) المدير الادارى للمصانع والذى أصبح فيما بعد رئيسا لها ، الى الحضور الى المنزل كل يوم لتلقى التعليمات منه .

وقد ترك بيتشارد ، الذى دخل جامعة هارفارد عقب مؤلف هذا الكتاب بعدة سنوات ، والذى عرف عنه أنه من أكبر المشجعين لنادى هارفارد الرياضى أدبيا وماديا ، ترك مذكرات طريفة عن هذه الزيارات وقد قرأ منها مقتطفات فى الحفلة التذكارية التى أقيمت ، عقب وفاة وليام آبلى ، فى مكتبة آبلى العامة فى مدينة آبلى فولز . وفيما يلى جانب مما جاء فى هذه المذكرات

« اننى أعتقد أن قبضة هذا الرجل العظيم ، الذى يجب الاعتراف بانه أحد المؤسسين الحقيقيين لاقليم نيوانجلند ، قد تراخت بعد المصاعب الشديدة التى أعقبت الاضرابات التى حدثت عام ١٩٦٢ . ومع أنه كان حينئذ فى الثمانين من عمره ، فان الفضل يرجع اليه وحده فى أن مدينة

www.ibtesama.com

آبلى فولز لم تشعر بالنكبات التى ترتبت على انشاء النقابات العمالية ، وقد نجحت الجهود التى بذلها فى وقف هذه الاضرابات عند حدود مصانع آبلى ، وفى منع اتحاد عمال هذه المصانع من الاشتراك في الاضرابات العامة التى وقعت فى ذلك الوقت . ولما ظهر بعض مثيرى الشغب المتطرفين فى المدينة لبث روح الفتنة والهياج بين عمال مصانع آبلى ، الذين كانوا يتناولون اجورا مناسبة ويستمتعون بالسكن فى منازل بنيت بالقرميد ، خلال الحرب الأهلية الامريكية ، بادر وليام آبلى الى اتخاذ خطوة تردد شركاؤه الشبان بصراحة فى انتهاجها ، فقد طلب من السلطان القاء القبض، ليس على هؤلاء المهيجين فقط ، ولكن أيضا على بعض العناصر التخريبية التى علم أنها تمارس نشاطها داخل المصانع . وبهذا الاجراء الحاسم ، الذى قد يكون مفرطا فى الشدة ، وان كانت تبرره دواعى العدالة الاجتماعية ، استطاع وليام آبلى المحافظة على العلاقة بين أصحاب الأعمال والعمال فى مصانع آبلى ، والتى تقوم على أساس أنهم جميعا أسرة كبيرة سعيدة ، وقد كانت هذه هى حالهم فى الماضى ، والمأمول أن يظلوا كذلك فى المستقبل .

ومع هذا فان هؤلاء أعجبوا به أكثر من غيرهم . كانوا يعتقدون دائما أن القوة الادبية اللازمة للارتفاع الى هذا المستوى قد اضعفت «العم وليام»، كما بدأ شركاؤه الذين هم أصغر سنا يسمونه، وفى هذه الأيام الأخيرة من عام ١٩٢٦ كانت أفكاره متجهة الى تحقيق أسباب الراحة لموظفيه وعماله أكثر من اتجاهها الى زيادة « الطلبيات » التى كانت قد بدأت تأتى ، الينا من الخارج .. »

ومع أن جورج آبلى لم تكن له علاقة مباشرة بادارة مصانع آبلى ، فانه كان دائم الاهتمام بها باعتبارها مؤسسة للأسرة ، وفى خلال زياراته اليومية لوليام آبلى كان يناقش معه شئونها .

وقد كتب جورج آبلى خطابا فى هذا الصدد الى صديقه (ووكر) جاء فيه :

« ان عمى وليام يبدو فى هذه الأيام نشيطا ، يقظا ، كالعهد به دائما وهو لا يزال حتى الآن بالطباع الحادة نفسها ، ونفاد الصبر ، كما كان يفعل حينما أرسلنى أبى اليه ، لما كنت شابا ، لأتعلم منه أصول الادارة . وقد فاجأنى بعد ظهر هذا اليوم بالذات بقوله :

ـ جورج .. انك لا تعرف شيئا مما تقول .. وقد كان ابوك على حق فى أنه لم يجعل منك رجل أعمال .

www.ibtesama.com

وقد يكون هذا « الجنتلمان » العجوز على حق ، وهو على حق فى معظم الأحيان • وعلى أى حال فانه لايزال يبدو عظيم الهيبة وهو جالس على مقعده الوثير كأنه صورة أحد الاجداد العظام لاسرة آبلى ، وقد وقفت خلفه ممرضته مس (برنتيس) تحكم وضع الدثار على كتفيه ، ومع الضعف البادى عليه فاننى أشعر تجاهه بالاحترام الذى كنت أكنه له دائما ، ان من الصعب الهرب من روابط الشباب • حقا ، ان عقل العم وليام يقظ جدا ، وقد أبدى لى بالامس فقط ملحوظة أخرى •

ان المصانع ستكسب مالا كثيرا من هذه الحرب . ومهما يحدث فيجب أن نجعل أيدينا طليقة لكى نربح أقصى ما نستطيع ربحه .

وانه لشىء يبعث على الاطمئنان والثقة أن تكون فى المنزل سيدة بارعة رقيقة ، عطوف ، مثل مس (برنتيس) • وقد كان عمى وليام يضيق ذرعا بغيرها من الممرضات ، ولكن يبدو أنه مستريح منها ، وراض عنها كل الرضا .

وقد بعث جورج آبلى الى ابنه جون ، الذى كان قد ظل عند الحدود ، بخطاب غنى عن التعليق :

عزيزى جون :

لقد أبلغتك فى البرقية التى بعثت بها اليك أمس نبأ الكارثة التى حلت بنا • انها صدمة مؤلمة لانها تمس اسم الاسرة • لقد كان يساورنى الشك منذ بعض الوقت فيما يتعلق بسلامة تفكير عمك وليام ، ولكن اليقين قطع الآن كل شك • لقد تزوج عمك ممرضته (برنتيس) فجأة ، من غير أن يخطرنى أو يخطر أى فرد فى الأسرة : ولا شك أن هذا الحادث أفدح من أن يثير الضحك ، وأبشع من أن يحتمل الابتسام ، ان امك ، وأنا وجميع أفراد الاسرة ، تشعر بحزن عميق ، وليس أمامنا ما نفعله الا أن نذكر الناس بالنزوات التى تطرأ على بعض كبار السن من الرجال •

لقد أمضيت نهار أمس كله مع أمك نستدعى أفراد الاسرة والاصدقاء لنقول لهم اننا مسرورون جدا ، واننا كنا نعلم بموضوع هذا الزواج منذ فترة طويلة من الزمن •

وقد أقمنا بعد ظهر اليوم حفلة شاى فى قصر هيلكرست لزوجة عمك الجديدة (املين) ، وهذا هو الاسم الاول لمس (برنتيس) • ولست فى حاجة الى أن أقول لك ان الاسرة يجب أن تقف متماسكة ومتضامنة

www.ibtesama.com

فى مثل هذا الظرف الدقيق وانى أرجو أن ترسل برقية تهنئة الى (املين) زوجة عمك ، على الفور ، وأن تبعث الى أصدقائك بخطابات تخبرهم فيها أنك كنت تعلم مسألة الزواج هذه منذ زمن طويل ، وأنك مسرور بذلك كباقى أفراد الاسرة الآخرين . وحبذا لو قلت أيضا ، كما فعلت أنا ، ان عمك وليام يعتبر هذا الاجراء أفضل ما يمكن عمله للاعراب عن اعترافه بالجميل ازاء عناية مس (برنتيس) به ورعايتها له ، ولا بأس أيضا من أن ترسل لعمك وليام برقية تهنئة ، اذ أن الاسرة يجب ، كما قلت لك ، أن يسودها التضامن والتماسك .

ومهما قيل فى مسألة هذا الزواج فان أى رجل له دراية بأحوال الناس يعلم أن مثل هذه الازمة ليست نادرة الحدوث وأنها كثيرا ما تقع لبعض كبار السن من الرجال الذين يشعرون أحيانا ، حين يتقدم بهم العمر ، بحنين عجيب الى الحب ، وفى مثل هذه الحالة يكون من الافضل أن تحيط الاسرة الرجل الكهل ، الذى يصادفه مثل هذا الموقف ، برعايتها واهتمامها ولا سيما اذا كان ثريا يستطيع أن يتحداهم ويضرب بمعارضتهم عرض الحائط . وعلى أى حال فان مثل هذه الامور التى هى جزء من الحياة لا يترتب عليها عادة ضرر يذكر ، وقد اعترف المجتمع بكثير من المدرسات السابقات والممرضات والبائعات اللاتى تزوجن رجالا لهم مكانتهم واحترامهم وأصبحن زوجات مثاليات ، والواقع أنه ينبغى الاعتراف بأن «املين برنتيس آبلى» من هذا الطراز من النساء ، وقد أعجب بها كل الذين عرفوها وامتدحوا صفاتها وخصائصها وتجتمع الآن ندوة التطريز فى منزلها بعد ـ ظهر كل يوم جمعة ـ واذا كان جورج آبلى قد استقبل هذه الازمة فى بدايتها بكبرياء غريزى فان التطورات التى حدثت عقب ذلك أدخلت السرور فى نفسه وأزالت ما كان يشعر به من ضيق وكرب .

وفيما يلى خطاب بعث به الى ابنه جون فى هذا الشأن :

عزيزى جون :

لست فى حاجة الى أن أقول لك انى مغتبط جدا بموقفك وبالاهتمام الذى أظهرته فيما يتعلق بعمك وليام ، فقد كان هذا هو ما توقعته من ابنى .

وأستطيع الآن أن أبلغك أنباء سارة هى من غير شك خير جزاء على الشجاعة التى أبديت تجاه هذه الازمة لقد تحدثت أمس مع عمك وليام

www.ibtesama.com

ومع زوجته وقد سرنى أن أتبين أن عمك لايزال يضع مصلحة الأسرة فوق كل شيء ، وانى أشعر الآن بصراحة بعد هذا الحديث بأنى كنت مذنبا حينما ساورتنى الشكوك حول تصرفاته . ان عقل عمك يقظ فى كثير من النواحى ، بل فى كل النواحى تقريبا كالعهد به دائما . لقد أعرب عن عزمه فى أن تظل ممتلكاته ملكا للأسرة ، واتخذ التدابير القانونية فعلا لتنفيذ ذلك ، واقترح أن تمنح زوجته «املين» مرتبا كافيا طوال حياتها على أن تئول كل ممتلكاته اليك والى شقيقتك اليانور وقد اعترضت على هذا القرار لان من رأيى أن تئول هذه الممتلكات لى أنا خلال حياتى ، على أن يوزع الدخل بوساطتى عليك وعلى اليانور طبقا لما أراه صالحا ، وأنت تعرف انى لست فى حاجة الى هذه الأموال ، ولكن خبرتى وتجاربى فى الحياة تجعلنى أكثر أهلية لتحمل المسئولية أكثر منكما ، والواقع انى أشعر بأنك تبدى أنت واليانور ميولا معينة ستندمان عليها فى المستقبل ، وأرى أن واجبى يحتم على أن أضع حدا لها . ومع هذا فان وجهة نظر عمكما وليام فى هذا الشأن تختلف عن وجهة نظرى وعلى هذا فان هذه المسألة ستظل معلقة فى الوقت الحاضر .

وعلى أى حال فانى أحس براحة عظيمة وقد سررت بصفة خاصة من موقف زوجة عمك «املين» الذى يتسم بالعقل والادراك ، والواقع انها تريد أن تساهم فى تسهيل كل الأمور وتدرك قيمة الثروة الكبيرة التى هبطت عليها وتعترف بمسئوليات مركزها الجديد كعضو فى الأسرة، اننى أعتزم أن أصطحبها يوم السبت القادم فى رحلة صيد الطيور التى أقوم بها عادة مع كلارا جودريتش .

ان هناك شيئا واحدا ينبغى أن تدركه وان تفكر فيه جيدا ، وهو انك فى حالة وفاة عمك وليام ، وأخشى أن يحدث هذا خلال بضعة شهور قليلة ، ستكون فى حالة طيبة من الثراء ، وان كنت لا أعرف معرفة تامة مدى الثروة التى ستهبط عليك وقد حان الوقت ياجون لكى تفهم أكثر مما فعلت فى أى وقت مضى أهمية مركزك الجديد وانت لن تستطيع أن تنسى الآن ، سواء أردت أو لم ترد أنك تحمل اسم الأسرة ، انك ستصادف كثيرا من المصاعب وستواجه كثيرا من المطالب وسيطلب منك أناس كثيرون اعانات ومساعدات ، فيجب أن تتعلم كيف تنفق نقودك بحكمة وتبصر ، ولست فى حاجة أن أقول لك ان والدك سيكون مستعدا دائما لأن يقدم لك الرأى والنصيحة ، ان نصف دخلك يجب أن يعاد استثماره فى كل عام ، أما النصف الباقى فيقسم بين نفقات المعيشة

www.ibtesama.com

وبين أوجه البر والخير ، وأهم شيء هو ألا يكون بين يديك مال كثير يغريك على الانفاق من غير مبرر ، والتبذير فيما لاطائل وراءه .

واذا كان جون آبلى لم يتبع هذه النصائح فان النتائج التى ترتبت على ذلك لايمكن التعقيب عليها أو التنديد بها فى هذه الصفحات ، وعلى أى حال فان هذا الخطاب يدل على مدى اهتمام جورج آبلى بمستقبل أبنائه ودأبه على توفير أسباب السعادة لهم . والرسائل التى بين يدى مؤلف هذا الكتاب تضم دلائل كثيرة على هذا الاهتمام ومن بينها الخطاب التالى المفعم بالآراء السديدة والموعظة الحسنة ، وقد سلمه جون آبلى للمؤلف وهو مقدر لما جاء فيه كل التقدير .

عزيزى جون :

أؤمل أن تعود الينا من الحدود فى أقرب وقت ، وأنا مازلت غير مستطيع أن أفهم هذا التصرف غير اللائق من جانب السلطات تجاهك ورفضها السماح لك باجازة لتشييع جنازة عمك . وهذا الشعور يشاطرنى اياه زميلى العزيز القديم الماجور (ستانهوب) الذى كنت أعتبره دائما من أهم الشخصيات فى بوسطن وقد تلطف فكتب الى نائب القائد العام فى وشنطن وكذلك الى وزير الحربية يشرح لهما الأسباب التى ينبغى من أجلها منحك اجازة ، ويخيل الى أنه قد حدث فى هذا الموضوع سوء فهم ، وانى أرجو أن ترسل للماجور (ستانهوب) خطابا تشكره فيه على الجهد الذى بذله من أجلك فى هذا الشأن ، ولايفوتنى أن أقول لك بهذه المناسبة انه أحد منفذى وصية عمك .

ان أملى عظيم فى أن تعود الينا بسرعة . ان الحاجة اليك هنا اكثر من حاجة حدود تكساس اليك ، وانه يبدو أنه ليس من المتوقع حدوث اشتباكات مع المكسيك ، اننى أخشى ، طبقا لما أسمعه من أخبار ، أن تقع فى المحظور وأن تنزلق في مهاوى الزلل فقد سمعت ان مدينة (الباسو) القريبة منك مملوءة بنوادى القمار وبحانات الخمر ، ولكنى أثق فى حسن ادراكك للأمور وفى حصانة عقلك ، وأعتقد أنك لن تسمح لنفسك بعمل شيء تندم عليه فيما بعد ، ان هذا لا يعنى أنى ضيق الأفق أو انى أطالبك بالتزمت المفرط فانك كنت ترى دائما زجاجات النبيذ على مائدتى .

اننى لاأخشى الخمر بقدر ماأخشى النساء ، وانى واثق من أن موقفك حيال هذا الموضوع يماثل موقفى ، وربما كان ينبغى أن أتحدث

www.ibtesama.com

معك من قبل عن بعض الأخطار التى تنجم عن التعرف بالنساء ، ولكنى أعتقد أن التزام الصمت يكفى . ولكن هناك شيء واحد ينبغى أن تضعه فى ذاكرتك انك ستقابل يوما ما الفتاة التى تريد أن تتزوجها وستشعر بأسف شديد اذا وجدت نفسك لاتستطيع أن تخبرها بصدق عن ماضيك ، وقد ساورنى هذا الشعور ذاته مع أمك ، وحينما تعود الينا سنتحدث طويلا فى هذه المسألة وربما يتم ذلك لست فى حاجة الى أن أذكرك بأنك رجل «جنتلمان» وأن مسئولياتك تقتضى منك أن تكون مثالا للآخرين ، لقد ابتعدت عن بوسطن فترة طويلة من الوقت ومن رأيى أنها أطول كثيرا من الفترة التى أمضيتها بعيدا عنها خلال رحلاتى الى أوربا ، ولا أعتقد أن هذا شيء طيب غير أنه يعزينى انك ذهبت مع كتيبة من بوسطن ويحلو لى أن أحس بأنك تجتمع مع زملائك البوسطنيين فى كل مساء فى خيامكم وتتحدثون عن بلدكم وعن ناديكم وهذا يجرنى الى الحديث عن شيء آخر وهو أن اسمك مرشح لعضوية نادى الاقليم كما ان بعض أصدقائك قد رشحوك بناء على اقتراحى ، لنادى بيركلى . وأعتقد انه مما يعزز مركزك هنا أن تعد بحثا عن الاحوال الاجتماعية مثلا فى بلدة (الباسو) التى ترابطون بقربها لكى تقرأه فى احدى الحفلات التى نقيمها فى الشتاء القادم فى دارنا بشارع بيكون ، واذا وجدت صعوبة فى جمع المعلومات والبيانات اللازمة فانى أعرف شخصا نافعا جدا فى هذا المجال فى قسم التاريخ فى جامعة هارفارد ، ويسره أن يساعدك فى جمعها وقد ساعدنى من قبل فى اعداد بعض البحوث . نعم ان الافكار كانت أفكارى ولكن لم يكن لدى وقت يسمح لى بجمع الحقائق والبيانات .

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com

الفصل الثالث والعشرون

يقظة اب

عزيزى جون :

من أهم الأشـياء التى أريد منك أن تفعلها حين ـودتك ، التى سمعت أنها ستتم قريبا ، هو أن تجلس الى أختك اليـانور وتحـدثها حديثا طويلا جديا فى موضوع يثير قلقى لأنى أعتقد أنها تستمع جيـدا الى نصائحك وستكتب أمك اليك أيضا فى هذا الشأن ولكنها كما تعرف ليس لها نظرتنا الواسعة الى الأمور .

ولست فى حاجة الى القول بأنه يجب الاحتفاظ بهـذا الأمر سرا لا يعرفه أحد ، والا فان اى حديث عنه سيلحق باليانور ضررا لا يزول أبدا ..

لقد غادرت اليانور فى الاسبوع الماضى قصر هيلكرست بالسيارة فى طريقها الى « محطة الشمال » لتستقل قطار الساعة الخامسة مساء لزيارة عمتها فى مدينة (ناهانت) ولكنها لم تصل الى هناك حتى الساعة الحادية عشرة مساء وتبين أنها لم تصل عن طريق السكة الحديدية وانما بالسيارة وكان معها شاب يدعى (سيرنج) قالت انه صديقها وقد قالت عمتك ، التى يعرف عنها أنها واسعة الأفق فى مثل هذه الامور ، ان هذا الشاب لم يكن ثابتا وانما كان يترنح عندما ساعد اليانور على النزول من سيارته ، وان رائحة الخمر كانت تفوح من فم اليانور ويبدو أنهما كانا قد ذهبا من غير أن يرافقهما رقيب الى احدى الاسـتراحات المنتشرة على الطريق التى سبق أن حدثت اليانور عنها كما قالت وقد علمت أن هذه الاسـتراحة بالذات تتردد عليها الفتيات اللاتى يعملن فى المكاتب وغيرهن ممن هن أسوأ حالا ، وبنـاء على هـذه الظروف وجدت نفسى مضطرا الى استدعاء (سيرنج) لمقابلتى كما تكلمت مع والديه فى الموضوع ولكى أكون منصفا فانى أعترف أنه تصرف الى حد ما كجنتلمان وقد

www.ibtesama.com

افهمته ان افشاء سر هذه النزهة لأى انسان سيلحق باليانور بالغ الاذى، وقد وافق على أن يلتزم الصمت ، ومما أراح قلبى أنهما أكدا لى انه لم يرهما أحد يعرفهما على الاطلاق ، وبالطبع لن نستقبل (سيرنج) فى منزلنا بعد الآن قط واليانور ذاتها تفهم ذلك جيدا .

وان ما يقلقنى أكثر من أى شيء آخر هو موقف اليانور تجاه هذه المسألة كلها ويبدو أنها متذمرة من الخطوات التى اتخذتها الى حد أننا لم نتبادل أية كلمة تقريبا خلال اليومين الماضيين ، اننى لاأستطيع أن افهم كيف تفعل ابنة لى من لحمى ودمى مثل هذا العمل ثم بعد ذلك لاتبدى أية علامة من علامات الندم ، انكما انت واليانور لاينقصكما أى شيء وقد كافحنا ، انا وأمك ، لتحقيق كل أسباب الراحة لكما وصنعنا من أنفسنا نموذجا للزواج الموفق السعيد ، واليانور تستطيع أن تستخدم قاعة الاستقبال الكبرى فى أى وقت تشاء لكى تستقبل ضيوفها فيما عدا ليالى الأربعاء حيث تعقد فيها اجتماعات النادى . .

واظن أنه ينبغى أن تقيم ، حينما تعود ، بعض حفلات من أجل اليانور فى منزلنا بشارع بيكون ولا بأس أيضا من اقامة حفلة راقصة .. اننى لن أتكلم أكثر من ذلك ، فمشاكل الأسرة بجانب مشاغلى الكثيرة الاخرى تشكل عبئا جسيما ينوء به كاهلى ، اننى لاأستطيع أن أفهم ماذا حدث لك ولاليانور ، انكما تعرفان اننى لست فقط أباكما ، وانما انا أريد أيضا أن أكون صديقا ورفيقا لكما .

وقد اطلع المؤلف أخيرا اليانور آبلى على هذا الخطاب نظرا لأنه كان مترددا فى نشره وادماجه فى هذا الكتاب بسبب دقة الموضوع الذى عالجه ولكنها لم تشاطر المؤلف وجهة نظره ولم تعارض فى نشر الخطاب ، وقد بعثت اليه بخطاب فى هذا الشأن يمثل مشاعر هذا الجيل ويمثل حالة ابنه فى هذا العصر المتغير وهو شيء كان يثير استغراب أبيها جورج آبلى وعجبه الشديد وفيما يلى نص خطابها :

« .. ولماذا لاتستخدم هذا الخطاب اذا أردت ؟ انك تعرف أننى كدت أنسى تماما كيف تغيرت الأشياء تغيرا تاما ، لقد عاش ابى المسكين لكى يشهد العصر الذى تخرج فيه الفتيات وحدهن حتى بعد أن يرخى الليل سدوله ، اننى أتذكر القصة كلها .. لقد كنت أحب (سيرنج) فعلا وان كان كل شيء قد انتهى بيننا ، وهو يعيش الآن حياة لايحسد عليها فى شارع (مارلبروه) لقد أردنا كلانا أن نعرف كيف تكون الخطيئة ، وهكذا قررنا أن نذهب الى هذه الاستراحة التى تشبه النادى الليلى

www.ibtesama.com

التى تقع على طريق السيارات وهى لم تكن جميلة جدا على أى حال لقد كان فيها نساء متبرجات وكان فيها رقص وأعلام ملونة وبيانو وباعة جائلون ولكنها كانت تمثل الخطيئة فى نظرى ونظر «سيرنج» وقد مكثنا فى هذا المكان نحو ساعتين وشربت كاسا من (الجن) وربما شرب «سيرنج» أكثر من كأس ، ولما عدنا الى السيارة سألنى : هل أوافق على أن يقبلنى مع أننا غير مخطوبين ، وقد قبلنى مرة واحدة وشعرنا كما لو كنا قد ارتكبنا جرما ، اننى مسرورة لان هذه القصة لم تترك فى نفسى أثرا بعد أن انتهت ، وان كنت أعرف فى الوقت نفسه انى خاطرت بسمعتى حينما قمت بهذه المغامرة التى أعتقد أن فتاة محترمة لا تجرؤ على القيام بها ، ولكن الذى دفعنى اليها هو شعورى بأنى غير جميلة وشعورى بالاضطراب فى حفلات الرقص ، لقد كانت هذه المغامرة نوعا من التمرد ، وكان ثمة من الاسباب ما يدعونى الى التمرد أنا وأخى جون ، وان كانت الاسباب التى لدى أكثر من تلك التى لدى جون ، لقد كانت أمى لا تسمح لى بحرية التصرف فى أى شىء حتى فساتينى كانت هى التى تتولى اختيارها ، والشىء الوحيد الذى آلمنى هو الاثر السيىء الذى تركته هذه القصة فى نفس أبى ، لقد كنت أبدو فى نظره « فتاة سارت فى طريق الضلال » ولم يعد يبدو عليه بعد ذلك أنه ينزعج من أى شىء أفعله لأنه فهم أن فى دمى شيئا رديئا ورثته عن أسرة أمى ، اننى لاأريد ان اسخر من ابى فقد كان لطيفا معى دائما وكان يحاول دائما أن يجعل منى مثلا أعلى ربما لأنه فشل فى ذلك مع أمى .

اننى أتذكر ما قاله لى جون حينما عاد من الحدود . لقد دخل قاعة الجلوس وكان يبدو نحيفا أسمر الوجه وقال لى وهو يتلفت حواليه ليتيقن أنه ليس هناك أحد غيرنا :

ـ ألم تتزوجى البطل البريطانى يا اليانور ؟

فقلت :

ـ كلا .. ولكنه حاول أن يتزوجنى .

ثم قال وهو يتلفت حواليه مرة أخرى :

ـ لقد كانت تصلنى أخبارك دائما ..

ثم اردف قائلا وهو يتطلع الى جوانب الغرفة : ـ

www.ibtesama.com

ـ لقد نسيت منظر هذا المكان العتيق يا اليانور والأفضل أن نغادره قبيل أن يتشبث بنا ويرغمنا على البقاء فيه ٠

وكنت أعرف بالضبط ما يعنيه وربما تعرفه أنت أيضا ٠

والواقع أن ماقالته اليانور فى خطابها ليس فى حاجة الى تعقب ٠ان من الظواهر الغريبة التى لوحظت فى العقدين الاخيرين هى الرغبة غير المنطقية لكثيرين من الشبان فى الفرار من بوسطن ، لقد رأينا فتيات من أسر كريمة ثرية يهجرن بوسطن لكى يعشن بمفردهن فى شقق خاصة فى نيويورك حيث يعملن كموظفات فى المكاتب أو حتى كبائعات فى المحال التجارية أو يظهرن كممثلات على المسرح من غير أن تكون ثمة حاجة تدفعهن الى تكبد كل هذا العناء ، وكثيرون من أبناء الأسر المعروفة تركوها أيضا ليقوموا برحلات على السفن التى تجوب البحار أو يبممون شطر القطب الجنوبى أو يذهبون الى مزارع الموز فى بلاد أمريكا اللاتينية أو يعملون حتى كمندوبى اعلانات فى راديو نيويورك ، ان الذى لايمكن تعليله هو أن هؤلاء الشبان والفتيات هجروا بوسطن من غير سبب مفهوم اللهم الا اذا كان هدفهم اشباع رغبة ملحة فى التغيير ، وهى رغبة أمكن السيطرة عليها بصفة عامة فى الجيل السابق الذى عاش فيه مؤلف هذا الكتاب ٠ لقد رأينا جورج آبلى ذاته يوشك أن يذعن لهذه الرغبة العارمة ولكن احساسه بالمسئولية ساعده أخيرا على كبح جماح هذه الرغبة فاذا كان هذا الضعف ذاته قد ظهر فى نسله فان هذا لم يكن ليبعث السرور فى نفسه بل كان من دواعى شقائه وعذابه ٠

ان كل أب يكرس جانبا كبيرا من حياته فى الكفاح من أجل أن يمهد لأطفاله السبل ليحتلوا مركزا طيبا فى المجتمع فاذا كان هؤلاء الأطفال قد رفضوا هذا المركز فلابد أنه كان هناك خطأ ما فى تنشئتهم أو فى البيئة التى عاشوا فيها ، ومن حسن حظ جورج آبلى أن حياته كانت غنية وكانت رحبة فسيحة بحيث مكنته من مواجهة هذه الصدمة بنوع من الفلسفة ، ومهما تكن مبررات مثل هؤلاء الأطفال وبواعثهم تجاه تصرفاتهم فى هذا الشأن فانه ليس من المجدى أن نتكهن باحتمال أن الحياة التى اختاروها أكثر سعادة أو هناء من الحياة التى عاشها آباؤهم ٠

وليس فى وسعنا أخيرا الا أن نقول ان الفضل يرجع الى رجاحة عقل جورج آبلى فى أنه تقبل بصدر رحب رغبة ابنته اليانور فى التغيير حينما قررت عقب زواجها بعد ذلك بعدة سنوات أن تعيش مع زوجها فى جهة

www.ibtesama.com

اخرى بعيدة عن بوسطن بدلا من أن تحاول اقناعه ، كما اقترح عليها آبلى ذاته ، بقبول منصب هام فى ادارة مصانع آبلى فى مدينة بوسطن .

أما الأثر الذى تركه فى نفسه زواج ابنه جون فانه يختلف لأسباب كثيرة عن الأثر الذى خلفه فى نفسه زواج ابنته ، ولكن هذه المسألة ستعالج فى مكان آخر من هذا الكتاب ، ولكن يكفى الآن أن نقول ان جورج قد تزوج سيدة مطلقة .

ان ألوان النشاط التى قام بها جورج آبلى حينما قررت بلاده فى النهاية أن تدخل الحرب فى صف الحلفاء والجهود التى بذلها بالاشتراك مع غيره من المواطنين فى خلال هذه الفترة العصيبة التى ابتليت فيها البشرية بأشد المحن والكوارث هولا ليست فى حاجة الى تعقيب . ان مهمة المؤلف هى وضع اطار لحياة هذا الرجل وكشف جوانب المسرح الذى لعب فوقه دوره وايضاح القوى والبواعث التى أفضت به فى نهاية المطاف الى تلك الأزمة التى ألقت ظلالا قاتمة على حياته وجعلت كثيرين من أفضل أصدقائه يسيئون فهمه وألحقت بسمعته أذى كبيرا .

وعلى أى حال فان بوسطن كانت فى حاجة فى خلال الحرب الى رجال ذوى جراة وايمان وكان من الطبيعى أن يتخذ جورج آبلى موقفه فى طليعتهم وقد جعل من داره مركزا يتجمع فيه الشبان المجندون — بصرف النظر عن أى اعتبار يتعلق بوضعهم الاجتماعى أو بنشأتهم — الذين يوشكون أن يسافروا عبر البحر للاشتراك فى الحرب الدائرة الرحى، كما أنه كان يستضيف البعثات العسكرية ويقيم لها مأدبات التكريم ويتبرع بمبالغ ضخمة من المال لصالح ما كان يسمى « حملة الحرية » وقد أمر بحراثة حدائقه وزراعتها بالقمح والبطاطس مساهمة منه فى الجهود التى كانت تبذل لتوفير المحصولات الزراعية فى البلاد ، وذلك على الرغم من وجود أراض كثيرة أخرى صالحة للزراعة ، وعلى الرغم من أن الحدائق اعيدت الى حالتها الاولى حينما أعلنت الهدنة وزرعت فيها الورود والأزهار من جديد فانها لم تستعد بهاءها وجمالها الأصلى قط .

www.ibtesama.com

الفصل الرابع والعشرون

ابن فى الجبهة

كتبت زوجة جـورج آبلى خطابا الى أبيها ، عقب مضى عام على وفاة أمها ، قالت فيه :

« سيتدرب زوجى جورج مع كتيبة الدفاع الوطنى مساء اليوم انه يبدو رائعا وهومتمنطق بحزامه ، اننى فخورة به حقا ، وفخورة أيضا باليانور التى انضمت الى فرقة السيارات الوطنية ، ولكننا أكثر فخرا بجون الذى يحارب فى الجبهة ولم تصلنا منه خطابات منذ أسبوعين ، وهذا يؤكد لنا أن كتيبته قد تحركت الى ساحة القتال ، اى الى المكان الذى نريد ، أنا وجورج ، أن يكون فيه جون . لا احد يستطيع أن يقول ان اسرتنا تنكص على أعقابها فى وقت الجد ، أو تتردد لحظة عن امتشاق الحسام . أرجو أن تكون صحتك قد تحسـنت ، وسـأحضر اجتماع الصليب الأحمر غدا .

وقد بعث جـورج آبلى الى صديقه « ووكر » خطابا يشرح فيه مشاعره فى ذلك الوقت :

صديقى العزيز :

ياللجحيم ، ان من المؤلم جدا أن يجد الانسان نفسه كهلا فى هذه الأيام بحيث لا يستطيع أن يفعل غير القليل وقد كنت أفضل أن أكون حيث يوجد جون الآن ، ولا شك فى انك أيضا كنت تفضل ذلك . لقد حرمنا شرف الذهاب الى الميدان ، ووجدنا أنفسنا ، بدلا من ذلك ،نعيش مع النساء والأطفال ، لا تشغلنا غير التفاهات فى هذه الأيام التى ندرت فيها اللحوم ، والتى شح فيها البنزين . ان الحالة المعنوية لكل فرد هنا مرتفعة جدا ، ولابد أنها كذلك لدى ابنائنا فى الجبهة أيضا . ان الأنباء المزعجة التى تتردد عن الهجوم الذى شنه الألمان أخيرا فى اتجاه

www.ibtesama.com

باريس تجعلنا نحمد الله لأننا لم نتأخر اكثر مما ينبغى فى الوقوف الى صف الحلفاء .

وعلى اى حال فانه مهما يحدث ، فاننى سأستطيع أن ارفع راسى عاليا لأن ابنى جون يحارب مع الفرقة الثانية فى جبهة القتال . وربما يكون قد نظر الى هذه المسألة نظرة تتسم بالاستخفاف ولم يحملها على محمل الجد ، فقد قال قبل سفره انه ذاهب الى القتـــال لأن الجميـــع ذاهبون ، ولاشك فى أن هذا تعبير مرح يخفى تحته قوة اليقين . وعلى اى حال فانه سافر مع الأفـواج الأولى يغمره السرور والابتهاج كانه متوجه لتناول طعام الافطار ، ومع ذلك فانى واثق انه سيكون فى المواقع الأولى فى ميدان القتال . وانى لأكرر مرة أخرى انى أتمنى لو كنت أنا وأنت مع جون فى الجبهة . ولقد تحدثنا كثيرا فى النادى ، انا وانت، عن رغبتنا فى الذهاب الى ميدان القتال . وعلى اى حـال فلا اظن أنه يوجد اليوم رجل فى مثل سنى يملؤه الفخر والاعتزاز لأن ابنه يقاتل فى الجبهة .

اننى ايضا اقوم بتضحية كبيرة مثل ابنى ، فاننى لا استطيع أن اواجه الحياة من غيره . وليس للحياة مذاق بدونه ، وغيابه يجعل كل شىء عديم القيمة فى نظرى . واذا مات فى ميدان الشرف فساعزى نفسى بأن موته سيعفيه من كثير من متاعب الحياة ومشاكلها ، ومن كثير من أوهام الدنيا وخداع الناس . واذا مات فانه سيموت وهو فى عنفوان قوته ، وهذا ليس بالشىء القليل . ومع هذا فانه يجب أن يعود سالما غانما ، وهذه هى الفكرة الوحيدة التى تستطيع أن تشرح قلبى وتبث فيه الطمانينة ..

وكتب جورج آبلى لابنه جون خطابا قال فيه :

عزيزى جون :

تلقيت خطابك الذى أرسلته من المستشفى وقد ازال المخاوف التى ساورتنا منذ علمنا أنك جرحت فى ميدان القتال . ان الندبة التى ستتخلف عن الجرح الذى أصابك فى ســاقك ، كما قلت فى خطابك ، ستكون وسام شرف لك طيلة حياتك ، وهو وسام يؤسفنى انا نفسى أننى لا أحمله . وقد فهمت انك أصبت من شـــظية قنبلة وانت تؤدى واجبك حينما كنت تقود رجالك فى المعركة ، وقـد توجت بهـذا العمل

www.ibtesama.com

اسرتك باكليل الغار ، ولا اعتقد انه توجد فى بوسطن اسر كثيرة تستطيع ان تفخر بأن لها ابنا جريحا .

وليت عمك ويليام ، وخالك هوراشيوبرنت ، وجديك ، كانوا على قيد الحياة ليسمعوا انباء بطولتك . وقد اقيم قداس من أجلك فى الكنيسة يوم الأربعاء الماضى . وقد قرات خطابك على جميع موظفى وخدم قصر هيلكرست ، لأنى أعرف انهم يحبونك حبا جما ، وقد طلبوا منى أن ابعث لك بتهنئتهم وتحياتهم . وارسلت للسفارة لكى تخطرنى بأى شىء قد تكون فى حاجة اليه ، ولاشك فى انها قد اتصلت بك فى هذا الشأن .

ان كل شىء هنا يسير على مايرام ، ونحن ننتظر عودة ولدنا ، لكى نتلقاه بالأحضان ، وحينئذ سنحاول أن نضع معا مشروعات أخرى . انك لن تعرف الحديقة حينما تعود وتراها ، فقد زرعنا فيها بطاطس . لقد أديرت الأنخاب من أجلك فى حفل الغداء الذى اقيم فى نادى الاقليم يوم الاثنين الماضى .

وليباركك الله ياولدى العزيز ، ولتعد الينا فى اقرب وقت .

وكان اعتقاد جورج آبلى الراسخ ، حتى يوم وفاته ، وهو اعتقاد شاطره فيه كثير من الناس ، ومن بينهم مؤلف هذا الكتاب ، أن قوات الحلفاء فشلت فى اغتنام الفرص التى اتيحت لها الى اقصى مدى ممكن ، بعد أن تحول سير الحرب الى مصلحتها فى مطلع خريف عام ١٩١٨ . لقد كانت هذه الفرص المتاحة لها عظيمة ، بعد أن أرغم الجيش الألمانى على الركوع على قدميه ، وبعد أن فرت صفوة الأوتوقراطيين البروسيين الى الدول المحايدة للاحتماء بها . لقد كان الطريق مفتوحا الى برلين ، وكان السبيل ممهدا لايقاع هزيمة حاسمة بالجيش الألمانى تؤدى الى القضاء على الامة الألمانية ، باعتبارها مصدرا لتهديد السلم العالمى ، لأعوام كثيرة قادمة . وقد برهنت الاحداث التى وقعت بعد ذلك على صحة اعتقاد آبلى الذى ألقى اللوم على عدم انتهاز هذه الفرصة على حكومة وشنطن التى كانت تنتهج السياسة الضعيفة التى كانت تنطوى على التدليل ، وعلى « النقط الأربع عشرة » التى أعلنها الرئيس الامريكى ويلسون ، وعلى « السلام بدون نصر » ، وهو الشعار الذى كان سائدا فى بعض الدوائر الأمريكية فى ذلك الوقت .

وقد بعث بكثير من الخطابات الى صحيفة (بوسطن ايفننج

www.ibtesama.com

ترانسكريبت) والى صحيفة (بوسطن هيرالد)يشرح فيها وجهة نظره فى هذا الصدد ، وقد نشرت هذه الخطابات أيضا فى كتيب ، وفيما يلى نص خطاب منها :

« ليس هذا هو الوقت الذى ينبغى فيه أن نتوقف . اننا بعد ان شهرنا السيوف متأخرين ، لا نستطيع ولا ينبغى ، أن نغمدها من قبيل الرحمة بعدو لم تعرف الرحمة سبيلا الى قلبه . اننا ينبغى ان نقوى شعورنا بالعدالة بتذكر النساء والأطفال الذين هلكوا على يد هذه الامة العسكرية الضارية . ان كلب أوربا المخبول يجب أن يقيد ، وسيكون أمامنا بعد ذلك متسع من الوقت نفكر فى خلاله فى مسألة الرحمة . اننا يجب ألا ننسى الدين الذى طوقت به أعناقنا انجلترا وفرنسا اللتان صمدتا بشجاعة سنوات كثيرة لتحمياانا من شىء هو أسوأ من الموت فى الوقت الذى كنا نكدس فيه نحن الأرباح . وما قيمة الارباح لو أن أمريكا فقدت روحها ؟ واذا نحن لم نبادر الآن الى تخفيف العبء الملقى على كاهل حلفائنا الشجعان الذين أرهقتهم كوارث الحرب ، وأثخنتهم بالجراح ، فكيف نستطيع أن نواجه أبناءنا حينما يعودون من ميدان القتال ؟ .

وقد زادت هذه الخطابات من قدر جورج آبلى فى أعين الجماهير ، كما كسبت تأييد السناتور هنرى كابوت لودج ، الذى كافح آبلى تحت لوائه فى العام التالى ضد هذه المنظمة التى اطلق عليها اسم «عصبة الأمم » .

والمعروف أن الرئيس الامريكى ويلسون كان قد قام بحملةكبيرة لحث الشعب الأمريكى على انتخاب المرشحين الديموقراطيين فى الكونجرس، وقد اقترح كثيرون من أصدقاء آبلى ومريديه أن يخوض المعركة الانتخابية فى صف الجمهوريين لكى يحتل مقعده الجدير به تحت قبة الكابيتول ، ولكنه رفض على أساس أنه يستطيع أن يكون أكثر نفعا فى مدينة بوسطن منه فى مدينة وشنطن .

وفى ذلك الوقت لاحظ جورج آبلى وجود كثير من العناصر المخربة فى بوسطن تروج لفكرة التساهل مع الألمان ، فبعث بخطاب الى مجلس أدارة نادى الاقليم فى بوسطن هذا نصه :

سادتى :

يؤسفنى أن أبلغكم انى سمعت بأذنى بعض اعضاء نادى الاقليم ،

www.ibtesama.com

الذين يسرني ان أقدم اســـــماءهم الى مجلس الادارة اذا طلب ذلك ، يدافعون عن نظرية السلام بدون نصر . ومن رأيي أنه يجب على كل عضو في النادي أن يفهم فهما تاما أن بلادنا في حالة حرب وأن قواتنا تتقدم الى الأمام وتوشك أن تلحق الهزيمة بالعدو الذي بدأت قواته تنهار . وأي حديث في هذا الوقت يدل بشكل قاطع على أن قائله يناصر وجهة النظر الألمانية ، وأقترح على المجلس بأن يستدعي هؤلاء الاعضاء لكي يوبخهم وينذرهم . !

ولم يعثر المؤلف على رد لهذا الخطاب بين الأوراق والرسائل التي عهد اليه بفحصها .

ولكن لما أعلنت أخيرا شروط الهدنة ، اعتبرها جورج آبلي بمثابة تزكية للجهود التي شـــارك في بذلها مع الآخرين من أجل نصرة قضية الحلفاء ، وان كانت هذه الشروط لم ترق في نظره بصفة تامة . وكان يؤمل ، مع غيره من الناس ، أن تعقب هذه الهدنة فترة طويلة من السلام، بدلا من الأيام العصيبة التي تلتها ، كما كان يؤمل أن يتاح له الوقت الكافي للتفرغ لشئونه العائلية ، ولكنه وجد نفسه منهمكا مرة أخرى في كثير من ألوان النشاط العام ، وقد ساهم في الجهود التي بذلت في ذلك الوقت لايجاد عمل للشبان العائدين من ميدان القتال ، وفي الحملة التي شـــنتها المنظمات الوطنية لحث الناس على الاقتصاد ، بقصـــد توجيه مدخراتهم الى صناديق الخير أو استغلالها في أسهم القرض الوطني ومشروعات الاستثمار الأخرى .

وقد بعث في ذلك الوقت خطابا الى صديقه « ووكر » ينم عن شعوره بالرضا عن نفسه ، جاء فيه : ـ

« يبدولي أن الأشخاص الذين تؤهلهم ثقافتهم وتقاليدهم للعمل في ميدان الخدمة الوطنية قد أخذوا مراكزهم مرة أخرى في الطليعة ، حتى ان رجال السياسة المحترفين انفسهم بدءوا يتجهون اليهم طلبا للنصح والمشورة . ان هذه علامة تبعث على الأمل والتشجيع . وفي هذا الوقت الذي نواجه فيه تغييرات كبيرة في المجتمع وفي شئون الحياة ، يجب أن نعمل على توجيه هذه التغييرات الى ما هو أفضل . وينبغي علينا أيضا أن نكافح روح التذمر التي تدفع بعض الناس في بوسطن الى القيـــام بأعمال طائشة تنم عن التمرد والتهور .. »

ان هذه التغييرات التي أشار اليها جورج آبلي ، والتي رأيناها

www.ibtesama.com

تجتاح العالم على مهل فى العقد الأول من هذا القرن ، أخذت بعد ذلك تسرع فى خطاها بحيث استرعت جميع الأنظار اليها . وقد بعث جورج آبلى بخطاب الى ابنه يتحدث فيه عن الانطباع الذى تركه فى نفسه هذا التطور الجديد :

عزيزى جون :

ارجو أن تكون الآن فى دور النقاهة بعد أن خرجت من مستشفى مدينة (ايكس) العسكرى . اننى لاأجد سببا يدعو الى البقاء فى فرنسا بعد أن وضعت الحرب أوزارها ، ولاسيما أنى استوثقت من أنه يمكن اتخاذ الترتيبات اللازمة لتسهيل عودتك فى أى وقت مادامت صحتك تسمح بذلك ، وقد فهمت أنا وأمك من خطاباتك أن صحتك طيبة . ومادمت تستطيع أن تسير متوكئا على عصا ، فانك تستطيع أن تحتمل الرحلة عبر المحيط . وقد قلت فى خطابك انك حصلت على عمل فى مؤتمر السلام ، وانى لأتساءل : ما الذى يدعوك الى ذلك ، ولاسيما أنك خدمت بلادك بمافيه الكفاية اننى أوافقك على أنك مازلت فى حاجة الى الاستجمام ، لكن جميع فرص الراحة متاحة لك هنا ، بين أفراد أسرتك وأصدقائك الذين يتوقون لرؤيتك . وانت محق فى قولك انك تريد مشاهدة معالم فرنسا ، بعد أن سئمت رؤية الجثث وحطام البيوت ، فان فرنسا كانت دائما عشيقتى ، وهى متسعة بما فيه الكفاية بحيث تستطيع أن تحتمل عشق كل منا ، وسنتحدث فى ذلك كثيرا حينما ترجع الينا .

ويسرنى قولك ان المرضات الشابات فى مستشفى « ايكس » جميلات جدا ، ونحن لن نستطيع أن نوفيهن حقهن من الشكر لما قمن به من اجلك . ولكنى أؤمل الا يكون جمالهن اكثر مما ينبغى . ان هناك أوقاتا تتغلب فيها على الانسان ، ولاسيما اذا كان يشعر بالضعف والوحدة ، عوامل لاتتفق مع الادراك السليم ، وتدفعه الى القيام بتصرفات غير منطقية بدافع الرغبة فى التعبير عن الامتنان . لقد فعلها عمك وليام آبلى مرة حينما تزوج ممرضة ، ولا أريد أن يفعلها ابنى مرة اخرى . ان علاقتك مع هؤلاء الفتيات لاينبغى أن تتعدى حدود الصداقة والزمالة . انك حينما تعود الى بوسطن ستجد فيها قلوبا كثيرة تريد منك أن تفزوها ، وقد سألتنى عنك أمس (ايفيلين نيوكومب) وهى

www.ibtesama.com

فتاة جميلة جدا ، وعضو فى نادى (فنسنت) وكانت تقدم برنامجا فى الراديو عن شئون الشباب .

ولا شك فى أنك ستذهل ، كما ذهلت أنا ، من بعض التغييرات التى لاحظتها هنا ، فالشباب مثلا أصبح يفتقر الى روح التحفظ التى كانت سائدة من قبل ، وأصبح أشد انطلاقا وتحررا فى تصرفاته . ومع أن قانون منع الخمور سيصدق عليه قريبا ، وهو ما أعتبره على أى حال ضربة جسيمة موجهة الى حقوق الفرد ، فان شرب الخمر منتشر بصورة عجيبة ، حتى ان كثيرا من الفتيات الصغيرات اللاتى تعرفهن شوهدن وهن يحتسين الخمر بافراط . اننى لا أعترض على أن يتناول المرء كأسا واحدة قبل الغداء فى المناسبات السارة ولكنى لا أحب منظر أختك اليانور وهى تتناول كأسين وان كان يبدو عليها أنها لاتتأثر منهما .

وهناك أشياء اخرى أسوأ من هذا بكثير ، واخشى ألا تكون الحرب قد ساعدت على تحسين مستوى الأخلاق بين الجنسين ، وانى أستطيع أن أقص عليك أشياء تثير الذهول فى هذا الصدد ، ولكنى لا احب القيل والقال .

وأسوأ من هذا أيضا تلك الموجة العجيبة من التذمر وعدم الرضا التى تسود طبقات العمال ، مع أنهم يتناولون الآن أجورا لم يحلموا بها من قبل . وبدلامن أن يدخروا بعض المال ، ويقتصدوا بعض الشىء فى نفقاتهم ، فانهم يذهبون الى المسارح ، ونساؤهم يشترين الجوارب الحريرية ، ومعاطف الفرو أحيانا وكثير منهم أصابهم مرض جنون شراء السيارات ، وقد كلفهم هذا مالا يطيقون ودفعهم الى الاستدانة . وكثير من أسر العمال فى مدينة (آبلى فلز) تحرم نفسها الطعام لكى تستطيع أن تشترى سيارة . ولاشك فى أن عملاء الروس يعملون بهمة لنشر روح التذمر بين عمال المصانع والمتاجر ، وحتى بين عمال السكك الحديدية أيضا ، والدليل على ذلك أن الاضطرابات منتشرة فى كل مكان ، وانى أخشى أن نكون مقبلين على أيام عصيبة .

وقد شغل جورج آبلى كثيرا فى السنوات التالية بالخطر الأحمر الذى يهدد البلاد ، ولم يكن هو وحده الذى ساوره القلق الشديد من جراء ذلك . وقد بذل جهودا كبيرة للحد منه ، ولاسيما بين دوائر المثقفين فى بوسطن ، وفى جامعة هارفارد بالذات التى كان بعض أساتذتها يجرون وراء الأوهام ويعتنقون نظريات خطيرة .

www.ibtesama.com

وفى هذه الفترة كرس جورج آبلى كثيرا من وقته لابنه الذى كان قد عاد من فرنسا فى صيف عام ١٩١٩ ، واستأنف دراسته فى كلية الحقوق بجامعة هارفارد فى الخريف التالى . ولكن من المؤسف أن حماسة جورج آبلى الفائقة فى عمل أى شىء يحقق مصلحة ابنه ، واهتمامه الشديد بكل شئون ابنه ، لم يصادف النهاية الطيبة التى كان يتوقعها . فقد شابت علاقاته مع جون شوائب لم تسره ، ولم يصرح بها لأحد وان كان قد أفضى بها الى صديقه «ووكر» كما سنرى فيما بعد .

www.ibtesama.com

الفصل الخامس والعشرون

الحواجز المحطمة

كتب جورج آبلى خطابا الى صديقه «ووكر» قال فيه :

« اننى لا أستطيع أن أفهم لمـــاذا يبدو أن الحرب قد باعدت بين جون وبينى ، واحدثت هوة عميقة بيننا فى الأفكار . وقد حاولت مرارا أن أجمع بعض المعلومات التى تلقى ضوءا على الانطباعات التى قد تكون المعركة احدثتها فى نفسه ، وتركت فى نفسه أثرا عميقا يفسر هذا التغيير الذى طرأ عليه . وقد حاولت أن أجعله يتكلم ، عقب عودته الى الوطن فى حفل غداء اقمته له وجمع أصدقائى واصدقاءه المقربين فقط ، عن الأحداث التى وقعت له فى فرنســـا ، ولكنه أبدى تحفظـا غـريبا أثار دهشتى . اننى لا أستطيع أن أنفذ الى اغوار نفســه ، ويبدو لى انه يعانى من صدمة اثرت فى أعصـــابه نتيجة لانفجار القنابل ، وان كنت لا أرى ان هذا ينبغى ان يمنعه من الكلام عن كثير من الأعمال التى قام بها فى ساحات القتال ، والتى يمكن أن تســتوجب الفخر والاعتزاز . ولكنى لاحظت من جهة اخرى أنه يحب التحدث عن بعض السهرات التى كان يقضيها فى منزل صديق له فى شارع (دى براى) بباريس ، وان كان يتحفظ أيضا فى ذكر ما كان يحدث خلالها . ان كل ما استطعت أن أجمعه منه من معلومات كانت تتعلق بالجانب الخفيف فقط من الحرب ، مثل تناوله طعـام الغداء مع فتيات هيئة الصـليب الأحمر ، ولكنى لاحظت انه برع فى التحدث باللغة الفرنسية الى حد أثار دهشتى مع العلم بأنه لم يكن يقاتل فى صفوف الجيش الفرنسى ، وانما كان يحارب مع القوات الأمريكية . واذا كان الشباب لهم بعض الحق فى أن يستمتعوا ببعض المغامرات ، فى نطاق محدود ، فانه يبدو أن شبابنا قد استمتعوا ايضا بنصيبهم فى هذا المجال فى فرنسا ، ويخيل لى أن ابنى جون يعتقد أنى سألومه على ذلك . وعلى هذا فانى لا استطيع أن اعرف ما فعله هناك ، سواء فى الجبهة أو وراءها . وقد ســألته

www.ibtesama.com

مساء أمس عما تركته تجربة الحرب فى نفسه ، وعن الدروس التى تعلمها منها ، فقال انها علمته انه حسن الحظ لأنه بقى على قيد الحياة وأن هذا ليس بالشيء الذى يؤبه له كثيرا . وقد حاولت أنا وأمه ان نجعله يرى أصدقاءنا ، وأن نقنعه بارتداء بزته العسكرية التى تحمل وسام الشجاعة ، الذى يشير الى أنه جرح فى الميدان ، ولكنه رفض، ويبدو لنا أحيانا أنه يشعر بالعار منها .

ان مايزعجنى على الأخص هو انتقاده المستمر للأماكن والأشخاص الذين يحيطون به هنا ، والذين سيقضى حياته بينهم . انه مؤدب جدا معهم ، ولكنه بين حين وحين يتفوه بكلمات تنم عن شعوره فى هذا الصدد . ولاشيء أفعله يبدو أنه يثير اهتمامه فى قليل أو كثير . وقد أخذته معى عدة مرات الى نادى الاقليم ، وتناولنا الغداء معا فى بعض الأماكن الأخرى ، ولكنه لم ينفعل من أى شيء رآه .

ولما اقترحت عليه فى نادى (بيركلى) أن يشترك فى الفناء مع «الكورس» ، كما يفعل أعضاء النادى القدامى ، رفض . وأستطيع فقط أن أعزو هذا الى الأهوال التى رآها .

والتى لابد أنها أثرت فى نفسه ، وأصابت روحه بالذبول . ولكنى انا وأمه نبذل أقصى جهدنا لتسليته والتسرية عنه ، ونحن نقيم له ـ تحقيقا لهذا الغرض ـ سلسلة من حفلات الغداء ، والنزهات الخلوية فى عطلة نهاية الأسبوع ، حيث يستطيع أن يلتقى ببعض الفتيات الجميلات . ومع أنه يبدو معهن مؤدبا جدا ، فانه لايشعر باهتمام حقيقى تجاه أية واحدة منهن . ومع هذا فانه ينبغى أن يدرك ان الوقت قد حان لكى يستقر ولكى يهدأ بالا ، ولكى يطيب نفسا .

انه يذهب كثيرا الى نيويورك ، وأرجو أن تتاح له الفرصة لكى يزورك ، وان كنت أظن أنه لن يفعل . وقد سمعت انه تناول طعام الغداء فى احدى المرات مع محررى صحيفة « نيوربيليك » . لقد سبق على أى حال ان انتابته مثل هذه الحالة التى يعانيها الآن ، حينما كان صغيرا فى مدرسة (جروتون) وقد اجتازها بسلام وانى واثق من أنه سيتغلب على هذه الحالة الآن ايضا .

غير أن حالة الجمود وعدم الاهتمام ، التى كانت تستولى على جون قد تغيرت مؤقتا نتيجة للحادث الذى لم يهز مدينة بوسطون وحدها ، وانما هز الأمة كلها ، ألا وهو اضراب رجال الشرطة . ففى

www.ibtesama.com

هذه الأيام التى وجد فيها الغوغاء فرصة سانحة للعبث بالامن العام ، بادر جورج آبلى نفسه بالاشتراك فى الدوريات ، التى تألفت على عجل من بعض المواطنين للمرور فى الشوارع ، كما قاد ابنه جون بعض زملائه من المحاربين القدماء وطهر شارع (الكومنولث) من الدهماء الذين كانوا يعملون فيه السلب والنهب ، ويعيثون فيه فسادا .

وقد كتب جورج آبلى فى هذا الوقت خطابا الى صديقه (ووكر) قال فيه :

« لا يمكن أن يشك أحد بعد الآن فى مقدرة جون على الاطلاق . لقد كسب لنفسه مركزا مرموقا فى بوسطن بما بذله من جهود لاخماد الفتنة التى انتشرت فيها ، وأدرك الجميع أن لدينا رجلا قويا يثير مجرد ذكر اسمه الاعجاب فى كل مكان . اننى فخور بأن يكون لى مثل هذا الابن . وان كان قد أدى دوره بالاشتراك مع أبناء أصدقائنا الآخرين . لقد كان يذهب صباح كل يوم ليؤدى مهمته بمرح وسرور كما لو كان ذاهبا لتناول طعام الافطار ، وقد علمت أن اقتراحاته وآراءه بشأن اخماد فتنة الغوغاء كانت مفيدة جدا . اننى أعرف من غير أن أقصد المباهاة ، أن جون فيه صفات الزعيم ، واننى ازداد اقتناعا كل يوم بأنه يشبه جده الأكبر .

وقد ترك الموقف الذى حدث فى بوسطن نتيجة لاضراب رجال الشرطة وماحدث فيها حينئذ من فتن واضطرابات ، اثرا عميقا فى نفس جورج آبلى ، وقد تبين له من الأحداث التى وقعت فى ذلك الوقت مدى الفساد والخلل الذى تتسم به الادارة المحلية فى المدينة . ويبدو أن هذا الحادث كان بداية المعركة التى خاضها ، وقد كانت معركة خاسرة ، ضد عوامل الفساد فى بوسطن . ولكن يحسن ، قبل أن نخوض فى تفصيلات هذه المعركة ، التى سنتكلم عنها فيما بعد ، أن نشير الى حادث وقع فى هذا الوقت وجعل جورج آبلى يشعر بخيبة أمل مريرة .

ففى شهر يونية من عام ١٩٢١ قرر جون آبلى ، الذى كان يزور نيويورك حينئذ ، قبول وظيفة فى مكتب احدى شركات المحاماة هناك ورفض رفضا قاطعا المنصب الذى كان أبوه قد أعده له فى مكتب (آبلى ورايد) للمحاماة فى بوسطن . وليس ثمة حاجة الى القول بأن القرار الذى اتخذه جون كان بمثابة صدمة أليمة لأبيه الذى بعث اليه بالخطاب التالى :

www.ibtesama.com

عزيزى جون :

تأخرت فى الرد على خطابك مدة يومين لأننى كنت مريضا والازم الفراش وهى أول مرة أمرض فيها منذ سنوات كثيرة . وقد تلقيت خطابك حينما كنت أرتدى ملابسى استعدادا للتوجه الى النادى لالقاء محاضرة عنوانها «الحرب ، فى الماضى والحاضر» وبعد أن انتهيت من القاء المحاضرة شعرت فى خلال تناول الطعام فى النادى بألم اضطررت معه الى استدعاء الطبيب . وقد تحسنت صحتى الآن ، ولكن خطابك جعلنى أشعر بأننى افقد شيئا ما فى حياتى ، لاأعرف كنهه بالضبط . ولكنه بالتأكيد سلبنى أعز ماكنت أتمناه فى الحياة ، وهو رفقة ولدى، ووجوده الى جانبى وملازمته لى ، وقد كانت هذه الأمنية عزيزة جدا على قلبى الى درجة لا أستطيع أن أصفها لك . والآن ، وقد قررت أن تبقى فى نيويورك ، فقد أدركت أنى لن أستطيع تحقيق هذه الأمنية وقد فكرت فى أن أرجوك أن تغير رأيك ، ولكنى لن أفعل لأنى افترضت انك فكرت فى هذا الموضوع جيدا قبل أن تتخذ قرارك . انك لابد قد رأيت الفرص الطيبة المتاحة لك هنا ، حيث تستطيع أن تعيش حياة أفضل لايمكن أن تتوافر لك فى أى مكان آخر . اننى لاأستطيع أن اتصور أن مافعلناه أنا وأمك من أجلك قد ذهب هباء ، ولا استطيع أن أتصور أنك لاتحب هذا المكان كما أحبه ، ولا أعتقد انك ستشعر بطعم الحياة وحلاوتها فى بلد آخر مما يجعلنى أمل فى انك ستعيد النظر فى قرارك فى خلال عام أو عامين . واذا لم تفعل ، فمن الذى سيرعى قصر هيلكرست بعد أن أوارى التراب ؟ اننى أكبر منك سنا ، وكلما ازدادت الأعوام التى أحملها على كاهلى ، ازددت اقتناعا بانه يجب أن يحمل عنى ابنى أعباء الحياة فى هذا العالم المتغير ، وأن يستمر فى حمل اسمى ، وهذا شىء يتمسك به كل أب ، ويعض عليه بالنواجذ ، ولايجوز لك أن تسقطه من نظرك بمثل هذه السهولة .

اننى أعرف أنك سخرت من كثير من الناس ، ومن كثير من التقاليد كما فعلت أنا فى شبابى ، ولكن أرجو أن تكون قد سخرت برفق كما فعلت أنا .

وقد تكون غلطة هذا الزمن أن الشخصيات العظيمة التى كنا نعرفها قد تركتنا . لقد كانت مدينة بوسطن تعج فى عهد شبابى بكثير من الرجال البارزين فى ميدان العلم والأدب ، مثل الدكتور هولمز والمستر هويتبار ، والدكتور هيل بيرسن ، وكثير من المؤرخين مثل امرسون ،

www.ibtesama.com

وثورو ، ومرجريت فولر ، لقد أصبحوا الآن جميعا فى زمرة الموتى ويؤسفنى انك لم تسمع صوتهم ، ولكن ستظل تسمع صداه .

لقد قلت ان مدينة بوسطن أصبحت مدينة راكدة ، آسنة ، يتركز معظم نشاطها فى تكديس المال ، والبحث عن مخلفات الأدب القديم . ولم يفتنى أن أفهم ماتعنى ، فأنت شاب كما كنت أنا يوما ما ، وتريد أن تسبح فى مد التغيير الذى يجتازه العالم ، كما أردت أنا ذات مرة ، ولكن سيأتى وقت تحن فيه الى السلام والاستقرار والهدوء ، والى انجاب نسل يحمل اسمك ، وسأبذل طاقتى لكى أحقق لك ذلك ، أو على الأقل لأولادك .

وفى أثناء ذلك سأوجه اهتمامى الى أشياء أخرى تثير ابتهاجى ، وأرى لها فى نظرى قيمة كبيرة ، وان لم تكن كذلك فى نظرك ، اننى أريد أن أجعل المكان الذى أعيش فيه أفضل ، وأحسن حالا ، وأريد أن أحاول بجهدى المتواضع أن أنفذ أفكار الآخرين ومشروعاتهم . واذا كنت قد تركتنى ، فينبغى أن أفعل ذلك وحدى ، وأن أرجو الله ان يباركك ، ولكننى أؤمل أن تعود .

ان امك ستكتب اليك أيضا ، ولكننى أخشى أن يكون كلامها حادا ، وعباراتها تنطوى على الغضب ، اذ أن خطابك صدمها صدمة عميقة . وأظن أنك تستطيع ، بأقل تقدير ، أن تعدها بأن تحضر لتمضى معها شهرا كل صيف فى جزيرة بيكود ، مهما تكن مشاغلك . ولابد أن تتذكر أن أمك عنيدة ، ولم تتعود أن يرد لها أحد طلبا ، ولهذا فانها حين تغضب تقول أشياء لاتقصدها فعلا . والشىء نفسه ينطبق على عمتك أميليا التى تضمر لك حبا عظيما .

أما ماسوف يظنه باقى أفراد الأسرة هنا عن أسباب تفضيلك البقاء فى نيويورك فهذا مالا أستطيع التكهن به . ولكنى أستطيع أن أعدك بأن أبذل كل جهدى من أجلك هنا ، وأن أضطلع بالعبء الذى كان مفروضا أن يقع عليك . اننى أعزى نفسى بأن العمل الذى اخترته فى نيويورك مهم جدا ، وأرجو أن يكون هذا صحيحا . فاذا كان الأمر كذلك فان كثيرا من الناس سيكونون أكثر استعدادا ليفهموا لماذا تركتنا .

اننى أتساءل أحيانا: — هل من الممكن أن تعمل فى السلك الدبلوماسى انك اذا اتخذت مثل هذه الخطوة فانها تكون مفهومة فهما تاما ؟..

وبعد أن نفذ جون آبلى قراره وأقام فى نيويورك ، وهى خطوة بدت

www.ibtesama.com

غامضة وغير مفهومة لكثير من أصدقائه وأفراد أسرته ، لم يتوقف ابوه عن الكتابة اليه ، والواقع أن جورج آبلى كان رجلا حكيما متسامحا رحب الصدر ، ولم يسمح لمشاعر الاستياء والغضب أن تؤثر على نفسه . وظل يكتب لابنه سنوات كثيرة خطابا فى كل أسبوع ، باستثناء الفترات التى كان جون يحضر فيها الى بوسطن . وهذه الخطابات الكثيرة تشكل فى مجموعها ، ذخيرة ثمينة ، لأنها تلقى ضوءا قويا على كثير من الاحداث، والأشخاص ، والذكريات ، وتعطى صورا جميلة مليئة بالالوان عن بوسطن ، وهى صور تهدف الى اثارة الرغبة فى نفس جون لكى يعود الى مسقط رأسه . ونحن نجد فى هذه الخطابات شيئا من روح الدعابة والفكاهة قد يبدو متناقضا عما عرف عن جورج آبلى من تحفظ ، ولكن هذه كانت احدى الصفات التى تنم عن التناقض فى خلقه ، والتى جعلت الكثيرين من أصدقائه يحبونه . ولكن هذه الخطابات مفعمة على أى حال بالحنين الجارف الذى يشعر به أب نحو ابنه البعيد عنه ، ورغبته الشديدة فى أن يشاطره اهتمامه ومشاعره . وهذا خطاب منها :

« كنت أتمنى لو كنت معنا الليلة ، فقد عدنا الآن توا ، امك وانا ، من الخارج حيث استمعنا الى محاضرة ألقاها الشاب الانجليزى الرائع (فيليب جيبس) فى القاعة السمفونية ، وحضرها عدد كبير من أبرز شخصيات بوسطن . وقد توجهت امك الى فراشها ، واعتقد أنها تشعر باجهاد عاطفى نتيجة لما سمعته ، وهنا أول مرة أراها تشعر بالاجهاد . ليتك رأيت هذا الشاب المرموق ، النابه ، انه رجل بمعنى الكلمة . لاأعتقد أنه يوجد فى الدنيا شىء أروع من «جنتلمان» انجليزى . صدقنى، انه جعلنا جميعا هذه الليلة نشعر بالعار والخجل بعد أن تكلم ، فى أدب بالغ ورقة متناهية ، عن الدين ، الذى نحمله فى أعناقنا لانجلترا .. لقد تكلم بتواضع جم عن مبادرة انجلترا الى الوقوف فى وجه الغزو الألمانى ، وصمودها أمامه حتى تحقق النصر ، وقال . ان هذه الوقفة أنقذت الانسانية . ثم تحدث عن الأعباء الجسيمة التى وقعت على كاهلها نتيجة للحرب ، وعن العلاقات التى لاتنفصم بين جميع فروع الجنس الانجلو ـ سكسونى .

ولقد اقترح على البعض أن أوجه الدعوة اليه لتناول طعام العشاء مع نحو خمسة أو ستة من الأصدقاء ، حيث تتاح الفرصة لتبادل الحديث فى جو هادىء ، ولكننى فى الواقع كنت أشعر بالخجل من مقابلته ، بعد أن شرح بأدب ، ولكن بوضوح ، السياسة التجارية التى تنتهجها الولايات

www.ibtesama.com

المتحدة تجاه انجلترا • نعم ، لقد شعرت بالعـار حينما فكرت فى أننـا نطالب انجلترا بأن تدفع ديونها الخاصة بالحرب ، الى آخر درهم ، كما لو كان المال يمكن أن يقارن بالأرواح البريطانية التى أزهقت دفاعا عنـا • أجل ، اننى أشعر بالذلة والهوان ، لأننا نستغل ضعف موقف انجلترا لكى نرغمها على بناء أسطول لنا ، ونحملها فوق طاقتها ، فى الوقت الذى نعلم فيه أن حياتها تعتمد على البحار ، وأنها فى حاجة الى كل سفينة تصنعها •

أعـود فأقول ليتك كنت معى فى هذه الليلة ، اذن لجلست معى فى شرفة الدار نتطلع معا الى حوض نهر (تشـارلس) ، ونعقب على هذه المحاضرة ونحن ندخن السيجار ، وربما ارتشفنا أيضا كاسا أو كاسين من نبيذ (ماديرا) المعتق • فلا يزال فى القبو بضع زجاجات منـه تنتظرك يا جون ، وان كنت أخشى أن تكون حركة السيارات المتزايدة فى شـارع بيكون قد هزتها قليلا • أن النسيم اللطيف يهب على وجهى الآن من ناحية النهر ، ويجعل النوافذ تصطفق ، وانى أرى من موضعى هذا أضواء جسر (ماساشوسيتس) تتلألأ فى الظلام •

اننى أشـعر بارتياح عميق حينما أجد نفسى جالسـا فى مكتبى ، حيث أرى أمامى كتب ديكنز ، وثاكراى ، وتورو ، التى خلفها جدك ، وانى لأوصيك بأن تستمر فى المحافظة عليها بعد أن أوارى التراب • أجل ، انى أشـعر بارتيـاح عظيم وأنا جالس فى المكتبة ، وأمك فى الفـراش ، اننى لا أعرف أين ذهبت أختك اليانور الليلة ، ولكنى سـأعرف قطعا حينما تعود ، لأنى أجلس دائما فى انتظارها • وبعد : فلا شىء هنـاك أجلب للمتعة من سيجار جيد ، وكتب جيدة ، ونحن لدينا كلاهما فى بوسطن •

www.ibtesama.com

الفصل السادس والعشرون

انطباعات جديدة

عزيزى جون :

أريد أن أحضر لزيارتك فى نيويورك فى المستقبل القريب ، اذا استطعت الانتهاء من بعض الاعمال العاجلة هنا ، لكى أمضى معك بضعة أيام ألتقط فى خلالها أنفاسى من دوامة العمل التى أعيش فيها فى بوسطن، ولا سيما انه مضت سنوات كثيرة لم أسافر فى خلالها الى مكان بعيد. اننى لا أفكر فى أن أزعجك فى شقتك ، وانما سأطلب منك أن تحجز لى غرفة هادئة وحماما فى فندق « بلمونت » الذى يتذكرنى مديروه من غير شك ، فطالما نزلت فى هذا الفندق فيما مضى . وحينما أحضر اليك أرجو أن تأخذنى لمشاهدة المسرحيات الجديدة ، ولا تظن أنى سأصدم بها ، فان والدك يستطيع أن يفهم كل شىء يا جون . لقد سمعت أن بعض الكلمات البذيئة تنطق بصوت عال فى هذه المسرحيات ، وهذا ما لم يكن يحدث من قبل حتى كلمة « مومس » أيضا يسمعها الجمهور ، ولكنى أريد أن أسمع ذلك بنفسى حتى أقتنع بهذا التطور الجديد الذى طرأ على المسرح . وأريد أيضا أن أرى المسرحيات القوية التى تسمى « ما ثمن المجد ؟ » ، وكذلك الكوميديا الموسيقية التى يظهر فيها صديقك (تشيكرنج) ، ولا شك أن والده سيسر اذا علم أنى ذهبت لأشاهد ابنه على خشبة المسرح .

ان مشاغلى منعتنى من الوقوف على كثير من التغييرات التى سمعت عنها . ولحسن الحظ أنها غير واضحة وضوحا تاما فى بوسطن ، وان كنت سمعت عنها بين حين وحين ، فى حفلات الشاى التى يحضرها شبان نادى (بيركلى) . هل صحيح أيضا ما سمعته من أن الشبان والفتيات فى نيويورك وفى المدن القريبة منها ، مثل بلتيمور وفيلادلفيا ، يجلسون وحدهم فى السيارات يحتسون الخمر من زجاجات يضعونها فى جيوبهم.

www.ibtesama.com

لقد طرد فى الصيف الماضى فتى وفتاة من نادى « مالبورى » لأنهما ارتكبا مثل هذا العمل غير المألوف بين الناس الذين تعرفهم أنت وأعرفهم أنا ٠

اننى أريد أيضا أن تأخذنى الى أحد هذه المحال التى يتناول فيها الناس الخمور على الرغم من الخطر الذى فرضه القانون ٠ ان والدك مستعد للتعاون فى عمل أى شىء ، حتى لو أدى الأمر الى خرق القانون ، والتعرض للاعتقال ، وباختصار فانى أريد أن أشاهد المدينة ، وما طرأ عليها من تطور عجيب ٠

عزيزى جون :

لا شك أن شقيقتك اليانور قد أمضت وقتا طيبا جدا حينما زارتك فى نيويورك وقد لاحظنا ، أمك وأنا ، أمارات البهجة والسرور عليها بعد عودتها ، على الرغم مما كان يبدو عليها من شحوب واجهاد ٠ ولكن هناك شيئا واحدا أزعجنى بشأن هذه الزيارة ، وأعتقد أنك تستطيع أن تفهمنى حينما أخبرك به ، فأنت قد تركت بوسطن منذ مدة طويلة وتعلم أن فتيات نيويورك يستطعن ارتكاب بعض الاخطاء ولا يجدن من يلومهن على ذلك ، بل ان آباءهن قد يغضون الطرف عنها ، ولكن هذا لا يمكن أن يحدث لاليانور ولا يسمح به مركزها ٠ فقد قالت اليانور أمس عرضا ، فى أثناء حفلة غداء صغيرة حضرها ابن خالك (نيت هانكوك) وصديق له وبعض الضيوف الآخرين ، انك اصطحبتها الى أحد المحال التى يتناول الرواد فيها الخمر على الرغم من حظر القانون ٠ وقد طلبت بعد ذلك من الشابين ، ونحن جالسون فى المكتبة ندخن السيجار ، أن ينسيا ما قالته اليانور ، وألا يذكراه لأحد ، وانى أعتمد على روح فروسيتهما فى تحقيق هذه الرغبة ٠ وفعلت أمك الشىء نفسه حينما جلست فى قاعة الجلوس مع ضيوفها من الفتيات والسيدات ، وقد وعدنها بألا يذكرن لأحد شيئا مما قالته اليانور ، وان كنت أشك فى أنهن يوفين بوعدهن ، لأن النساء لا يستطعن كتمان أى سر ٠ لقد حاولت باخلاص أن تجعل اليانور تمضى « وقتا طيبا » ، ولكنك نسيت ما يمكن أن تجره هذه الهفوة من شائعات قد تؤذى سمعة أختك ٠

لقد أصيبت عضلات ظهرى بتقلص بعد ظهر اليوم فى نادى الاقليم بسبب التزحلق على الجليد ٠ والواقع أنى لم أكن أريد أن أمارس اليوم هذا النوع من الرياضة ٠ فقد وجدت من الملائم أن أطلع زملائى على مقدرتى فى هذا المجال ٠

www.ibtesama.com

لقد أغرقت المياه الغرف السفلى من الدار بسبب غزارة الأمطار التى هطلت فى الأسبوع الماضى · وقد اهتم صديقك المهندس الشاب (بولك) بهذا الأمر ، وكان ينزل كل مساء هو وأختك اليانور الى الدور الأسفل لفحص الجدران وقياس ارتفاع المياه وقد أكد لى أنه ليس ثمة ما يستوجب القلق ·

وسرنى ما علمته من أنك تقوم بنشاط واسع النطاق ، وهذا شىء يتفق مع شخص فى مثل سـنك ومركزك · ولست أجد مبررا لتحـدثك بخجل عن تناولك طعام الغداء مع مجموعة من الأدباء فى فندق (الجونكين)، لأنه لم يسرنى فى شىء ممـا أخبرتنى به منذ شـهور كثيرة قدر سرورى بذلك · وليت جدتك كانت على قيد الحياة لتسمع هذا النبأ ، فقد كان فى قلبهـا مكان رحب للأدب ، وكانت تعتز دائمـا بالأدباء · وما دامت بوسطن قد سلمت شعلة الأدب الخلاق لنيويورك ، فانه من الطبيعى أن يصبح أحد أبنـاء أسرتنا عضـوا فى زمرة الأدباء · وانى أؤمل أن يتيح اتصالك بهذه العقول المستنيرة الى تشجيعك لكتـابة شىء · أنت تعرف جيدا أن كتابة مجرد كتيب صغير لا يتجاوز بضع صفحات يدخل أعظم البهجة على قلوب أفراد أسرتك وأصدقائك هنا · ما ألذ الأحاديث التى تدور حول مائدة يجلس اليها طائفة من أهل الأدب · وكان لطيفا منك أن تخبرنى بأن أصدقاءك الجدد يتوقعون رؤيتى حينما أذهب الى نيويورك ولكنى استغربت من قولك انى لن أستمتع بصحبتهم · أرجوك أن ترسل لى بعـودة البريد طردا يحتوى كتبهم ، وان كنت أعرف أن بعضها قد حظرت « لجنة انقاذ بوسطن » تداوله ·

عزيزى جون :

اننى ما زلت مسـحورا من زيارتى لنيويورك ، ولا أملك الا أن أشكرك عليها بالغ الشكر · لقد كانت تجربة مدهشة ·· مدهشة جدا·

ولكن لا يساورنك أى خوف من أمك ، فاننى لن أقول لها شيئا عن كثير مما شاهدناه معا · وقد كانت فكرة رائعة منك اذ أعطيتنى بعض قوائم (كتالوجات) معارض التصوير الكبرى ، فقد استمتعت بقراءتها فى القطار · ولكنى ما زلت لا أدرى السبب الذى دفعك الى أن تحجز لى مقعدا فى الصالون بالقطار ، ولم يخطر ببالى قط أنك سبق أن سافرت فى الصالون ، كما أن هذا لم يحدث لى مطلقا من قبل · انى أعتبر هذا بمثابة تبذير للمال من غير مبرر ، وان كانت أسرتنا تمتلك بضعة آلاف

www.ibtesama.com

من أسهم قطارات «البولمان» وقد استطعت بعد عودتي أن أقنع أمك أننا أمضينا فترة طويلة من الوقت فى رؤية المعارض والمتاحف وما الى ذلك من أشياء تستحق المشاهدة ٠

أما فيما عدا ذلك ، فالواقع أن انطباعاتى عن نيويورك تبدو مشوشة ، ومضطربة ، وقد تحققت من أن العالم يسير بسرعة ، وأنه يسبقني فى عدوه ٠ ولكنى أعتقد الآن انه عالم مجنون ، مخبول ، وأن نيويورك ليست مدينة أمريكية ٠ ان لدينا فى بوسطن الايرلنديين ، ولديك فى نيويورك اليهود ، وكلاهما لا يطاق ، انهما مثل الصليب الذى يضطر الى حمله من كتب عليه العذاب ٠

اننى أحب كثيرا المنطقة الجنوبية من بوسطن ، وقد يكون هذا من قبيل التعود وسأخبرك فى خطاب آخر بالتفصيل لماذا أحبها ، ولكن يكفى الآن أن أقول لك انى أستمتع حتى بالرقصات التى أشاهدها فى « نادى الزنوج الليلى » ٠ ان الملونين أذكياء جدا ، وأجسامهم فى غاية الرشاقة ، ان نيويورك لا تعنى شيئا بالنسبة لى وانى لأشعر بأنى أكثر سعادة هنا ٠

عزيزى جون :

أظن أني حدثتك فى آخر مرة رأيتك فيها عن (هوبكنز بولك) وعن الاهتمام الواضح الذى يبديه بشقيقتك اليانور ٠ وقد طلبت منك ألا تذكر أى شيء عن ذلك لاليانور أو لأى شخص آخر ، اذ أنه كان من المهم جدا ألا يحدث شيء يعرقل مثل هذا الموضوع وهو لا يزال فى مرحلته التمهيدية ٠ أما من جانبنا ، أمك وأنا ، فاننا نحاول أن نبدو طبيعيين على قدر الامكان على الرغم من اهتمامنا الشديد ، ورغبتنا العميقة فى أن نرى كيف ستتطور هذه المسألة ٠

ولست فى حاجة لأن أتحدث اليك عن (هوبكنز بولك) ، فأنت تعرفه ، كما أنى أعرف أباه ٠ وقد كانت أسرتانا فى الواقع متجانستين ومتوادتين ، ولهما أفكار واحدة تجاه كل المسائل الهامة تقريبا ٠ ولما اقترح مفتش عام الحدائق اقامة ساحة صغيرة للأطفال قرب بحيرة الحديقة العامة ، ساعدنى هوبكنز كثيرا ، بصفته مهندسا ، فى تنفيذ هذا المشروع ، وقد أحببته فعلا منذ ذلك الوقت ٠ وربما لا يعتبر ثريا مثل اليانور ولكن الزمن يدور ، ولا يصح أن يتمسك الانسان دائما بالشكليات ٠ ان هوبكنز له ذوق فنى رفيع، وقد يأتى وقت يصبح فيه من

www.ibtesama.com

كبار المهندسين · وحينما تزورنا في المرة القادمة سأجعلك ترى بنفسك مجموعة المباني التي أنشأها أخيرا لبعض المعـــاهد التعليمية في مدينة كامبريدج · ومن رأيي أنها رائعة جدا ·

ولا أريد أن تشعر ، لمجرد اني معجب بالمباني التي أنشأها هوبكنز، أني أؤيد كل التـأييد النظريات الجديدة في التعليم الخاصـة برياضـة الأطفال والتي أنشئت هذه المبـاني من أجلها · ومع هـذا فاني لست ضيق العقل بحيث أعارضها كلية ، فهي تصلح موضوعا شائقا للحديث حول مائدة الطعام · وأنا نفسي أعتقد أن هذه النظريات تقوم على أسس قوية لأن صديقتي مسز « جود ريتش » تبدي اهتماما شديدا بها ، وقد أشارت الى النتائج الباهرة التي حققتها بالنسبة لأطفال الجيل الجديد ·

لقد سمعتك تعقب على تصرفات (لوكريشيا) ابنة مســتر توم أوزويل ، وابنة أخت صديقتي مسز جود ريتش · والواقع أن هذه الفتاة الصغيرة تنتابها نوبات هستيرية وهي في الفراش ، ويبدو أن الضـعف العقلي في أسرة أوزويل قد ظهر في هذه الطفلة التي تمثل الجيل السابع · ولكن حالتها تحسـنت بعد أن وضـعت تحت اشراف مس فوكس في روضة الأطفال ، واكتسبت ما يطلق عليه رجال التربية العصريون اسم « روح الجماعة » وقد أخذتني مسز جود ريتش في احدى المرات لكي أرى (لوكريشيا) وهي تقوم بدور بارز في مهرجان عيد الشكر الذي اشترك فيه آباء وتلميذات روضة الاطفال ، وقد أعطيت دورا في احدى التمثيليات التي أدتها تلميذات المدرسة·وتحاول مسز فوكس ،ناظرة المدرسة ،أن تعود (لوكريشـيا) على تحمـل المسـئولية ، وقد عهدت اليها لهذا الغرض بالاشراف ، وحدها ، على تربية خنزيرة من (غينيا) وصغارها الستة ، وقالت انه لا ينبغي ارهاقها بشيء لعدة سنوات قادمة · والاقتصـار على تعليمها القراءة والكتابة فقط في خلال هذه الفترة · والعجيب أن حالة لوكريشيا أصبحت أفضل مما كانت عليه من قبل وقلت نوبات صرخاتها الى مرة واحدة في الأسبوع ·

انني أعرف أنك ستضحك من كل هذا يا جون ، اذ أني أيضا أميل الى الضحك من هـذا ، ولكن الانسـان ينبغي أن ينطوي على التسـامح ورحابة الصدر في هذه الايام ، وأن يحاول النظر الى الناحية المفيدة في كل شيء · انك تعرف أن أختي المسكينة « جين » تقاسي من هذا النوع من الهستيريا ، وهي تعيش الآن تحت اشراف ثلاث ممرضات ، وربمـا لو كانت هناك رياض أطفال حينما كانت صغيرة لأصبحت حالتها أفضل

www.ibtesama.com

الآن • انهم يقولون ان نظريات التربية الحديثة التى تطبق فى هذا النوع من المدارس تؤدى الى نتـائج طيبة ، ولا سيما بالنسبة للمتخلفين من الوجهة العقلية • اننى أحاول أن أقنع نفسى بأن هذا صحيح ، وان كنت فى قرارة نفسى لا أصدق هذه الآراء العصرية •

عزيزى جون :

بينما كنا نتناول العشاء ليلة أمس ، أمك واليانور والشـاب المهندس بولك وأنا ، اذا بأختك تبدأ فى الحديث فجأة عن علم النفس • وقد أذهلنى أنها كانت تمضى أخيرا جانبـا كبيرا من وقتها فى المكتبـة العامة تقرأ مؤلفات عالم يقال ان اسمه (فرويد) هل سمعت عن وجود رجل بهذا الاسم ؟ اننى أتذكر أنى سمعت بعض اصدقائك فى نيويورك يرددون اسمه • اننى سأبعث الآن بخطاب الى مجلس ادارة المكتبة العامة أطلب فيه أن يضعوا مؤلفات هذا الرجل فى حجرة مغلقة ، فهى أعسر من أن يستطيع الجمهور هضمها ، فضلا على أنه لا يليق السماح للفتيات غير المتزوجات بقراءتها •

ان الاثر الذى تركه هذا الرجل « فرويد » فى نفس اليانور قد أزعج أمك أشد ازعاج • اننا لم نتعود مطلقا سماع كلمة « الجنس » تقال على مائدة الطعام ان « هوبكنز بولك » قد ظهر عليه الاستياء وهو يسمع أختك تقول أشياء يتحرج الرجال أنفسهم عادة اذا تحدثوا فيهـا • لقد قالت ان نشوء الحضارة كلها كان نتيجة رغبة الجنس البشرى فى التناسل ، كما قالت ان الجنس هو أساس كل الفنـون ، وكل ألوان الفلسـفة • وقالت أيضـا ان فهم أمور الجنس فهما صريحـا يمكن أن يغير أحـوال أشخاص كثيرين فى بوسطن ، ذكرتهم بالاسم ، وقبل أن تختتم حديثها فى هذا الموضوع قالت انه يوجد عداء جنسى غريزى بين الرجال والنساء هنا فى بوسطن • وأن هذا هو سبب ميل هذين الجنسين الى اعتزال كل منهما للآخر والانزواء فى جماعات منفصلة • وقالت ان كثـيرات من السيدات اللاتى تزوجن منذ سنوات ، وقد ذكرت أسماءهن ، يقاسين من عقدة اسمها عقدة « العفة » ! •

اننى أعرف يا جون أن لك تأثيرا على اليانور أكثر من تأثيرنا عليها، ولهذا فانى أرجو حينما يصلك هذا أن تطلب منها أن تزورك فى نيويورك، والأفضل أن تأتى أنت الى بوسطن ، وتتحدث معهـا فى هذا الموضـوع وتنصحها بالكف عن مثل هذه المهاترات السقيمة • ان خطابى هذا يجب

www.ibtesama.com

ان يظل مضمونه في طى الكتمان وسرا بين رجل ورجل ، وربما يكون من الأفضل أن تحرقه ٠

ان اتجاه كثير من الأشخاص الى نبذ التحفظ ، والتكلم بصراحة فى أشياء يحسن التزام الصمت تجاهها ، قد يكون له ما يبرره بصورة ما ، اذ الواقع أنه يندر العثور على قصة نظيفة أو كتاب جيد فى هذه الأيام ، ولهذا فهم يضطرون الى قراءة أشياء غثة تافهة ٠ اننى لا أقرأ شيئا غير مؤلفات كونراد ، وارشيبولد مارشال ، اذ أننى لا أجد فى الانتاج الأدبى الحديث ما يستحق عناء القراءة ٠

وعلى أى حال فان كثيرا من الكتب الجديدة لا يصح أن تقربها السيدات ، لأنها تضرهن أكثر مما تنفعهن ٠ لقد وجدت أمك أمس تقرأ كتاب هذا المدعو (فرويد) وقد انتابها شيء قليل من الحرج حينما فاجأتها وهى تقرؤه فى غرفة الموسيقى المنعزلة بالمنزل ، وقد بررت ذلك بأنها كانت تريد أن تعرف نوع الكتب التى تقرأها اليانور واننى أقرأ الآن هذا الكتاب للغرض نفسه ٠

انك تعرف ، كما أعرف أنا ، أن مسألة الجنس هذه كلها ، نوع من الدجل الرخيص ، وأستطيع أن أقول بصراحة ان الجنس لم يلعب دورا كبيرا فى حياتى ، وأعتقد أيضا أن الأمر كذلك بالنسبة لك ٠ ان أى رجل سليم التفكير لا يجوز أن يسمح لعقله بالانشغال فى مثل هذه الأشياء ، وهذا ينبغى أن ينطبق أيضا على النساء ٠

لقد قمت فى يوم السبت الماضى برحلة صيد الطيور مع مسز كلارا جودريتش وكانت رحلة ممتعة للغاية ٠

عزيزى جون :

اننى مندهش من كل هذه الأفكار الجديدة التى انتشرت فى هذه الأيام ، وانى لأتساءل : من أين جاءت ؟ انها لاتشغلك كثيرا ولا تثير أعصابك كما تثير أعصابى ٠ اننى أحاول أن أتفهمها وأن أنفذ الى مضمونها ، ولكن تفكيرى فيها يسلبنى لذة النوم ٠ لماذا يعمد كل شخص فى هذه الأيام الى التمرد على كل مانعرف أنه سليم وطيب ومألوف ٠

ان هناك طريقا صحيحا واحدا للحياة ، كما أن هناك طريقة صحيحة واحدة للكتابة والرسم ٠ ان ما يقلقنى على الأخص هو أنكم معشر الشبان تحاولون البحث عن طريق أسهل فى الحياة وأكثر متعة ، ولكن صدقنى،

www.ibtesama.com

ان أى شيء سهل لايمكن أن يبهج القلب. هذا هو ماتحققت منه بالتجربة. ان البهجة تاتى من شعور المرء بأنه بذل جهده فى اتقان عمله ، وبأنه عمل الشيء الوحيد الصحيح الذى ينبغى أن يعمل ، وبأنه متمسك بما يعتقد انه حق . لاتنس ياجون أن السرور الحقيقى فى الحياة ياتى من هذا السبيل .

ولا تظن أنى رجل رجعى ، فاننى أحاول دائما أن أفتح عقلى لكل شيء . لقد دعت أختك بعد ظهر اليوم (هوبكنز بولك) ودعتنى الى مشاهدة معرض الرسم الحديث فى شارع نيروبيرى ، ويبدو أنها تاثرت لما يبدو فيه من لوحات . لقد سمعت بالطبع عن الفن التكعيبى قبل الحرب ، وضحكت عليه كثيرا كما ضحك عليه كثيرون غيرى ، ولكنى فوجئت فى المعرض المشار اليه بأن رجالا يبدو عليهم أنهم على حظ كبير من الذكاء يتطلعون باهتمام الى لوحات الفن التكعيبى وقد فغروا أفواههم من فرط اعجابهم ، وقد أدهشنى هذا كل الدهشة ، وأقنعنى بأن العالم فى طريقه الى الجنون .

ان اليانور التى يبدو أنها قرأت شيئا عن هذا الفن حاولت أن تشرح لى شيئا عن هذه النظرية الجديدة فى الرسم ، ولكنى لم أقتنع بها . ويسرنى أن أقول ان « هوبكنز بولك » يوافقنى على وجهة نظرى . ان « هوبكنز » لطيف جدا مع اليانور ، على الرغم من هذا ، ويحاول أن يشاطرها اهتمامها .

عزيزى جون :

لافائدة ترجى من اللف والمداورة ، أختك اليانور رفضت « هوبكنز بولك » ، لقد اقترح عليها مساء أمس ، بعد أن استأذن منى ، أن يخطبها، ولكنها لم تقبل مطلقا . وقد ظننت أن رفضها يرجع الى عامل المفاجأة ، وانها لن تلبث حتى ترضخ وتوافق كما تفعل النساء فى مثل هذه الأحوال ، ولكنى بعد أن تحدثت معها فى المساء على انفراد فى غرفة المكتبة تبين لى أن رفضها قاطع صريح . اننى لا أستطيع أن أفهم سر ذلك ، ولا أمك أيضا ، لقد كانت الفتاة فى أيامنا تدرك أن واجبها الأول هو العثور على زوج مناسب والاستقرار فى منزلها ، وكان ينبغى على اليانور أن تفهم هذا . ومع ذلك فانى أعتقد أنها شجعته بصورة ما على أن يطلب يدها . وفى يقينى أنه أفضل رجل دخل دارنا ، وأعتقد أنها تستطيع أن تحبه لو أنها حاولت ذلك ، ولا سيما أنهما متفقان فى الطباع

www.ibtesama.com

والأفكار • وبدلا من أن تبحث فى « هوبكنز » عن أفضل مافيه ، فانها سمحت لنفسها باغفال كل مزاياه والاقتصار على ابراز نقائصه الذهنية والجسمانية • نعم ان « هوبكنز بولك » له أنف كبير ، ويضع على عينيه عوينات ، ولكن ماذا فى هذا ؟ ان مايقلقنى أكثر من أى شىء آخر هو أن يؤدى رفضها لمثل هذا الشاب الجاد الرزين الى اعتقاد الناس أنها تفضل الشبان الرقعاء الماجنين الذين يجيدون الغزل ، مما يترتب عليه تجنب الرجال ذوى المقاصد الطيبة لها •

ويجب أن أقول لك بصراحة اننى بنيت آمالا عريضة على زواج اليانور من هوبكنز أكثر مما كان ينبغى • اننى أود أن أرى أولادى سعداء ومستقرين • لقد تزوجت فى مثل سنك ، ويجب أن تدرك أنت واليانور أنه قد حان الوقت الذى يجب أن تستقرا فيه وتتزوجا • ولماذا لاتريد أنت أن تتزوج ؟ اننى أرجو أن تقدم على هذه الخطبة ، لكى ترضى على الأقل أمك التى تعتقد ، ولا أعرف على أى أساس ، أنى المسئول عن ذلك •

اذا سألك أصدقاؤك فى نيويورك ، وهم قطعا سيسألون ، عما تم فى مسألة اليانور وهوبكنز ، فأرجو أن تتبع الموقف نفسه الذى اتبعته أنا ، وأن تخبرهم بأنهم أصدقاء الطفولة ، وأنه لم يكن بينهما شىء غير الزمالة الطبيعية بين الأولاد والبنات الذين كانوا يلعبون معا منذ الصغر •

ان هـذه الخطابات التى التقطت عرضـا من بين أكداس الرسائل والمذكرات ، توضح مدى رغبة جورج آبلى فى هضم الأفكار الجديدة ، ومدى الصعوبة التى عاناها فى تحقيق ذلك • وهذه الصعوبة عاناها غيره من المعـاصرين الذين أصابهم الذعر حينما رءوا طوفانا من النظريات الجديدة الغريبة توشك أن تغرق القيم الأدبية المألوفة لهم ، وأن تدمر مفاهيم الادراك السليم •

والفضل يرجع الى الرجال الذين هم من طابع جورج آبلى ، الذين استطاعوا أن يصمدوا فى خلال فترة التطور الخطيرة هذه التى اتسمت بالتوتر • وأن يفرقوا بين ماهو خطـأ وماهو صـواب ، وأن يمارسوا فلسفتهم العملية فى هذا المجال ، بحيث انقشعت السحب فى النهاية من غير حدوث أضرار ذات بال ، وبقيت الأسس سليمة ثابتة •

لقد أظهر جورج آبلى لمعاصريه بأسلوب حياته ، ان لم يكن بأفكاره ، أنه لم يعش عبثا • لقد كان مثلا يحتذى فى العطف ، والرقة ، والاهتمام

www.ibtesama.com

بمصالح الآخرين ، وكان نموذجا للأمانة التى لا تشوبها أية شائبة • وفى الوقت الذى أخذ فيه كثيرون من الناس ، حتى بين زعمائنـــــا الذين انتخبناهم لقيادة الأمة ، ينكثون بوعودهم ويحنثون بعهودهم ، ظل رجال كثيرون حولنا غيرهم يعرفون كيف يحافظون على كلمتهم،وكيف يتمسكون بعهـودهم ، ولا يترددون عن النضـال من أجل مايعتقدون أنه حق ، ولايهمهم مايمكن أن يترتب على هذا النضال من نتائج ، فهم مستعدون دائما لتقبلها ، سواء أكانت خيرا أم شرا •

وقد كتب جورج آبلى فى أواخر أيامه يقول : « اننى أخشى أن يكون جون واليانور قد أمعنا فى التوغل فى قلب بحار غير مطروقة ، فى حين أننى آمن فى المرفأ » •

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com

الفصل السابع والعشرون

العشرينات المضطربة

اذا كان القارىء قد استنتج من الخطابات السابقة أن جورج آبلى قد بدأ يركن الى الراحة والفراغ ، وأنه ينتقد من غير أن يعمل ، فانه يكون قد أخطأ ، لأن آبلى هو قبل كل شيء رجل عملى • وفى خلال الأعوام المضطربة فى العشرينات ازداد آبلى انهماكا فى الأعمال الاصلاحية بالتعاون مع رجال من طراز هنرى سولتر ومع جمعية انقاذ بوسطن • وقد فعل هذا بحكم الغريزة لما رأى أن التقاليد التى يعتز بها أصبحت فى خطر ، وقد كانت فى خطر فعلا ، وان كانت جهوده فى هذا الشأن قد اتسمت بالحذر والتحفظ •

وقد كتب فى هذا الوقت خطابا قال فيه :

« اننى لا أوافق على كثير من الأساليب التى ينتهجها «هنرى سولتر» لتطهير مدينة بوسطن من عوامل الفساد ، أو الطرق التى يتبعها للمحافظة على الأخلاق العامة ، اذ أننى أعتقد أن هناك حدودا للسلوك ينبغى عدم تجاوزها ، وأنه لاينبغى أن يفرض المرء آراءه وارادته الا بمقدار • ومن رأيى أن التعليم السليم والتوعية الرشيدة أفضل من القهر والارغام ، أو محاولة فرض الرقابة • اننى بطبيعتى أنفر من اثارة الفضائح من غير مبرر ، أو كشف النقاب عن الرذيلة المختفية المتوارية •

وقد يكون هذا ضعفا منى ، ولكنى لا أستطيع أن أحس بالسخط أو الاستفزاز الا اذا وجدت أن الرذيلة تهدد المجتمع كله ، وحينئذ لا أتردد فى أن أكون فى مقدمة المعركة • وأحسب أن « سولتر » يبدد نبوغه العظيم فى تعقب باعة الصور الفخمة الفاضحة واستفزاز رجال الشرطة غير المكترثين ، ضد الحفلات التى تقام فى بعض المسارح مثل مسرح (أولد هاورد أثينوم) • وقد ذهبت عدة مرات ، بايعاز من سولتر ، الى هذا المسرح الجميل القديم ، الذى يعتبر من ذكريات الايام الخوالى ولكنى

www.ibtesama.com

لم أجد أن المناظر التى يقدمها تنطوى على ضرر كبير ، وان كان بعضها يستحق المؤاخذة · وأعتقد أنه ينبغى أن نتمسك بالمبدأ القائل : « عش ودع غيرك يعش » · ومع هذا فانى شديد الاعجاب بجرأة « سولتر » وشجاعته ، وأخلاقه للصالح العام · وحينما يتعلق الأمر بمحاربة الفساد الذى يضرب أطنابه فى دوائر الادارة المحلية ، فانى أضع روحى وقلبى تحت تصرفه · واننى لأشعر بالخزى تجاه كثير من الأشخاص الذين يعرفون الكثير من مواطن الفساد بحكم المناصب الرفيعة التى يتولونها عن غير جدارة ، ومع ذلك لايحركون ساكنا ولا يبذلون أية محاولة ، بسبب جبنهم وخورهم ، للأخذ بتلابيب المفسدين · ولكنى لن أكون واحدا منهم بأى حال ·

وقد آلى جورج آبلى على نفسه فى هذه الفترة من حياته أن يكافح الفساد مااستطاع الى ذلك سبيلا · وقد دخل حينئذ فى صراع مرير مع أحد رجال السياسة المحترفين ، ويدعى (أوريللى) ، وهو محام ، ويشغل أيضا منصبا عاما فى الادارة المحلية ، وذلك بسبب ماعرف عنه من خراب الذمة ، وفقدان الضمير وتشجيعه للرشوة والفساد وابتزاز الأموال ·

وقد ذهل جورج آبلى أيضا من الفساد المنتشر فى ادارة الشرطة المحلية ومن عمليات ابتزاز الأموال التى يقوم بها بعض المخبرين السريين، مما يعد وصمة فى جبين مدينة بوسطن ·

وفى خطاب كتبه فى ذلك الوقت نجده يقول :

« ان الانسان لايكاد يستطيع أن يصدق أن هذه الأمور تجرى هنا ، وتحت أنوفنا ، لقد كنت أظن بعد الاضراب الذى قام به رجال الشرطة ، أن جنود الشرطة الجدد ، الذين كان معظمهم يعملون من قبل فى قوات الجيش فيما وراء البحار سيكونون بمنأى عن الفساد ، وفى مأمن من عوامل الاغراء والرشوة · ولكن ظنى لم يكن فى محله · ان الرائحة التى تتصاعد من مختلف فروع الادارة المحلية تزكم الأنوف ، مثلها فى ذلك مثل مؤلفات الكاتب « سنكلير لويس » الذى دأب على نشر قصص تزخر بحوادث الفساد والانحلال الاجتماعى التى سادت البلاد ، مما يؤذى سمعة أمريكا ويمرغ كرامتها فى الوحل · ولا بد من عمل شىء لوضع حد لكل هـذا » ·

www.ibtesama.com

ولكن فساد الشرطة المحلية فى مدينة بوسطن لم يكن يثير اهتمام كثير من الناس الذين ليسوا من طراز جورج آبلى ، فهم من فرط تعودهم على رؤية هذا الفساد العميق الجذور ، أصبحوا لايأبهون له ، ولايكترثون به ، كأنه أصبح ظاهرة طبيعية تحدث دائما • وكان بعض أفراد أسرة آبلى ذاتهم يرون هذا الرأى ، وكانت حجتهم فى ذلك أن شرطة مدينة بوسطن ليست وحدها التى تعانى من عوامل الفساد ، وأن شرطة كثير من المدن الأخرى ، مثل نيويورك ، وشيكاغو ، لاتقل عنها فسادا ، وأن الموظفين الفاسدين موجودون فى كل مدينة ، وفى كل هيئة ، وكل ادارة •

وكان جون آبلى يؤمن أيضا بهذا الرأى ، وكأنه أشفق على والده الذى أقحم نفسه فى صراع مرير مع الاشخاص الذين لا ضمير ولا خلاق لهم فى بوسطن • فبعث اليه بخطاب فى هذا الشأن هذا نصه :

والدى العزيز :

لقد أثار خطابك قلقى الشديد عليك • لقد كنت أعتقد دائما أن « هنرى سولتر » يريد أن يزج بك فى مشكلات لاتنتهى بسبب أفكاره الاصلاحية المزعومة • ان هذا الرجل الذى يتزعم لجنة انقاذ بوسطن يحاول المستحيل برغبته فى اصلاح العالم ، وكل ما استطاع أن يفعله هو انه استغل طيبة قلبك ، ونزاهة ضميرك ، لكى يقحمك فى مسائل عجز هو نفسه عن حلها • ان الفساد موجود فى كل مكان ، وهو موجود منذ عهد سيدنا نوح فى اعتقادى •

لقد تحدثت فى خطابك عن الحيل التى يلجأ اليها بعض رجال المباحث فى مدينة بوسطن لابتزاز أموال الأثرياء • انهم يلعبون لعبة قديمة ومعروفة ، فهم يدبرون الأمر مع سيدة مشبوهة لكى تغرى الشخص المراد ابتزاز أمواله على مقابلتها فى غرفة يستأجرونها لها فى أحد الفنادق ، وحينئذ يقتحمون المكان ويلقون القبض عليه • وهنا اما أن يدفع واما أن يذهب معهم الى مركز الشرطة • وهو طبعا سيؤثر السلامة ويحاول تحاشى الفضيحة فيدفع لهم مايريدون • فاذا كان هناك شخص قد وقع فى مثل هذه الورطة ، فانه وحده الملوم • انها جنازته وليست جنازتك ، وهو الذى ينبغى أن يدفع ثمن طيشه وتهوره •

هل تعرف لماذا يريد « هنرى سولتر » الزج بك فى مشروعات مكافحة الفساد ؟ اننى سأخبرك : انه لايملك الجرأة الكافية للقيام بها •

www.ibtesama.com

وهو لهذا يستخدمك كمخلب قط · انك لست محاميا جنائيا ، وكل عملك فى مكتب (آبلى وريد) للمحاماة مقتصر على المسائل المدنية ، فاذا أنت أقحمت نفسك فى المسائل المتعلقة بالاجرام والمجرمين فانك ستجلب لنفسك المتاعب من غير شك ·

وفى هذه المرة كان جورج آبلى يشعر باضطراب نفسى كبير ، وقد كتب حينئذ خطابا الى صديقه (ووكر) يعكس حالته من الكمد والحزن اللذين يعانيهما فى ذلك الوقت :

« اننى أرقد فى الفراش منذ عدة أيام بعد أن أصابتنى نوبة برد حادة ، وزوجتى كاترين تقرأ لى ، بين حين وحين ، فصولا من كتاب ـ اضمحلال الدولة الرومانية وسقوطها ، وكان مرضى فرصة أتاحت لى وقتا كافيا لكى أفكر فى نفسى وفى الآخرين · اننى أشعر انى لم أعمل فى حياتى شيئا يستحق الذكر · بل اننى لم أفعل شيئا على الاطلاق وكل مافعلته هو أنى تمسكت ببعض القيم ، ولكن كل ما أتميز به فى الحياة يبدو لى عرضة للخطر والتهديد · واننى لا أشعر بأنى لم أكافح من أجل دعم هذه القيم ، كما ينبغى ، وقد آن الوقت الذى يجب أن يتولى شخص ما هذه المهمة · وقد سنحت لى الآن فرصة لكى أفعل فيهـــا شيئا فى هذا الصدد ، وسأخبرك عنها فيما بعد ·

وقد تلقيت صباح اليوم نبأ استحوذ على انتباهى كله · فقد بعث لى ابنى جون بخطاب أخبرنى فيه أنه تزوج منذ شهرين من سيدة مطلقة اسمها (لويز هوجارت) وكانت متزوجة من شخص اسمه (ماكولا) · لقد حدثنى عنها من قبل عدة مرات ، ولكنى لم أكن أتصور قط أن يقدم جون على هذه الخطوة مع ما عرف عنه من تعقل وادراك سليم · والمعلومات التى لدى تدل على أن هذه السيدة من أسرة طيبة فى نيويورك ، ولكن هذا ليس هو المهم ، ولكن المهم هو أن هذه الســـيدة ذهبت الى مدينة رينو بولاية نيفادا منذ ستة شهور حيث حصلت على حكم بالطلاق من زوجها على أساس شكواها من قسوته وسوء معاملته ، ولكنى لا أعتقد أن جون له دخل بهذا الطلاق · ومع ما سببه لى هذا النبـأ من صـدمة ، فاننى سررت لأن ابنى قد استقر أخيرا وأصبح له منزل · لقد كنت آمـل أن يعود الينا ، ولكن هذا الأمل أصبح تحقيقه متعذرا الآن ، لعدة سنوات بأقل تقدير · ان أمه التى كانت صدمتها أكبر من صـدمتى ، حرجت لتعلن للأقارب والأصدقاء أنها مغتبطة بزواج جون · وقد أضافت الى

www.ibtesama.com

ذلك ، وأرجو أن تضيف هذا أنت أيضا ، أن زوجة جون لطيفة جدا ، ورقيقة للغاية (وان كانت لم ترها حتى الآن) وأن جون حسن الحظ جدا بزواجه منها • وقد وقف أولاد أعمامه وبنات أعمـامه موقفا ينطوى على الشهامة تجاه هذا الزواج ،وانى لأشعر بالفخر بهم حقا •وسيحضر جون غدا من نيويورك لزيارتى ، أما زوجته فانها لن تأتى معه •

لقد كنت أتوقع ، بصراحة ، أن يتصرف جون تصرفا أفضل من ذلك ، ولكن ما دامت الامور قد سارت على هذه الصورة ، وأصـبح من المقطوع به أن جون قدتركنا بصفة عملية ، فأنى أشعر الآن أكثر من أى وقت مضى بجسامة مسئوليتى تجاه الأسرة •

كما أن الوقت قد حان ليقف بعضنا موقفا قويا وحاسما فى الحياة تجاه المفاسد التى استشرت فى كل مكان • وقد أتاح لى « هنرى سولتر » مشكورا هذه الفرصة ، وسأعض عليها بالنواجذ • وبمجرد أن تتحسن صحتى وأستطيع الخروج من المنزل سأبادر الى جمع المعلومات اللازمة لادانة شخص لا ضمير له يعمـل كمحام ويدعى (أوريللى) وادانة اثنين من رجال البوليس السرى ، بتهمة ابتزاز الأموال » •

لقد كتب جورج آبلى هذا الخطاب فى احدى الفترات الحالكة السواد من حياته ، ولهذا فهو ينضح بالمرارة والـكآبة • ولـكن من العجيب أن زواج جون ، الذى لم يحز رضاه فى ذلك الوقت ، كان مصـدر سرور عظيم له فى الأعوام التالية ، فقد أعجب بخلق زوجة ابنه وصفاتها الطيبة اعجابا كان موضع تندر زوجته كاترين وابنته اليانور • والواقع أن لويز زوجة ابنه ، تركت أثرا طيبا فى نفس كل من رآها بجمالها وحسـن تصرفها ، ورقة معاملتها •

وقد بعث جورج آبلى بخطاب فى هـذا الوقت الى ابنـه جون قال فيـه :

« لماذا ، بالله عليك ، لم تخبرنى من قبل بأن زوجتك لويز من أسرة (هوجارت) الغنية المعروفة فى ولاية (كونكتيكت) ، ولو كنت أخبرتنى لكنت نظرت الى الامور بصـورة أخرى ، قد تكون مضـحكة فى نظرك ، ولكنها ليست كذلك فى نظرى • اننى أنظر دائما الى الاشـخاص من زاوية الأسرة التى ينتمون اليها • ان كثيرين منا اتهموا بأنهم يحبون

www.ibtesama.com

المظاهر ، ولكن هذا الاتهام غير سليم ، لأن حب المظاهر يعنى عدم مقدرة الشخص على وضع الامور فى وضعها الاجتماعى الصحيح · وما دامت لويز تنتمى الى اسرة هوجارت ، فان وضعها بالنسبة لنا ، يصبح سليما· ولابد أن زوجها السابق كان شخصا رديئا جدا ·

وقد سرنى فى خطابك خبر آخر ، وهو أن لويز سيكون لها نصيب طيب فى ميراث أسرتها يكفل لها ثروة كبيرة· اننى لاأهتم كثيرا بالمسائل المادية ، اذ أنك تعلم أننا أثرياء ونستطيع أن نعيش فى ميسرة مهما يحدث ، ولكن هذا العامل الجديد يجعل الامور أفضل ، ويؤكد لى أن لويز لم تتزوجك من أجل مالك ·

ان أمك مشغولة الآن باعادة تنسيق غرفتك القديمة فى المنزل ، وقد وضعت فيها سريرين طبقا «للمودة الجديدة» ، لقد طلبت منى أن أكتب خطابا للويز ، وسأفعل هذا من غير شك ، كما أنها ستبعث اليها بخطاب، تدعوكما فيه لزيارتنا فى الاسبوع القادم ·

ان هناك مسألة واحدة تشغلنى فى الوقت الحاضر ، ولا أظن أنك فى مركز يتيح لك الحكم عليها ، أما أنا فقد قررت أن أتخذ فيها اجراء حاسما مهما تكن النتائج · ان الامر يتعلق بذلك الشخص المعدوم الضمير المدعو (أوريللى) ، وقد آليت على نفسى أن أقدمه الى محكمة الجنايات لكى يلقى جزاء ما صنعت يداه ، ولكنى أحذرك من ذكر شىء عن هذا الموضوع لأمك · لقد نجحت الى حد كبير فى اقناع أحد ضحايا هذا الرجل الذى يتزعم جماعة دابها ابتزاز الاموال للادلاء بشهادته فى المحكمة· ويبدو لى أن هذا قد أزعج (اوريللى) لانه يحاول مقابلتى للتفاهم معى ولكنى لن انيله مبتغاه · انه رجل جمجاع مغرم بالمشكلات ، ولكنى سأعرف كيف اضع الحديد فى يديه · اننى أشعر بأننى أصغر سنا بعشر سنوات منذ أن شعرت بأن الامور تسير على ما يرام فيما يتعلق بهذه المسألة ·

وهكذا فان جورج آبلى كانت تغمره البهجة والنشوة حينما يكون فى أوج نشاطه وحينما يشعر أنه يقوم بعمل ايجابى · والواقع أنه وجد نفسه فى خلال الشهور الثلاثة يقوم بدور لم يسبق له أن عرفه ، لقد

www.ibtesama.com

كان دورا مثيرا وممتعا ، وقد صادف فى قلبه هوى ، فأداه بكل حماسة وشغف • فقد انهمك فى التقصى عن عناصر الفساد فى مدينة بوسطن وفى جمع المعلومات التى تدين المرتشين ومحترفى ابتزاز الاموال ونحن نستشف هذه السعادة التى غمرته من الخطابات التى بعث بها حينئذ الى صديقه الحميم « ووكر » والتى قال له فيها انه يشعر أخيرا أنه وقف على قدميه لكى يناضل من جديد :

« اننى كثيرا ما أتمنى لو كنت أحترف مهنة المحاماة الجنائية ، فان المحامى الجنائى يواجه الحياة وجها لوجه ، ويقابل كثيرا من الاحداث المثيرة ويعرف كل يوم أسرارا خطيرة • ان صـديقى « هنرى سولتر » رجل رائع ، فقد وضع اثنين من رجال المباحث الخاصة (١) تحت تصرفى ، وهما ينقبان عن المعلومات التى احتاج اليهـا فى كل مكان ، ويحضران الى مكتبتى أشخاصا من كل نوع • وقد أزعج نشاطى الجديد زميلى المستر (ريد) وقال لى ان هؤلاء الاشخاص الذين يزورون المكتب فى كل ساعات النهار يزعجون عملاء المكتب (مكتب آبلى وريد للمحاماة)الذين يقصدونه لنظر قضاياهم المدنية المتعلقـة بالمواريث واسـتثمار الاموال والشئون التجارية وغير ذلك • ولهذا اضطررت الى الانتقال الى حجرة مجاورة لكى أكون على حريتى مع عملائى الجدد الذين يثيرون الدهشة ، وسأقص لك عنهم حكايات طريفة حين نتقـابل فى المرة القـادمة • انهم يجمعون لى حقائق عجيبة عن هذا الرجل المدعو (أوريللى) وزمرته الفاسدة ، وقد تبينت أنه شخص غير محبوب ، وأن كل من يعرفونه يكرهونه ويتمنون له أن يجد جزاءه على يد القانون • وقد علمت أنه تلقى علومه وهو صغير فى مدرسـة بوسطن اللاتينية ، وهى مدرسـة لاتحسن تربية الاطفال ، ولهذا فلا عجب اذا كان « أوريللى » قد نشأ فيها •

ولكن الشىء الوحيد الذى يثير حيرتى بعض الشىء هو عدم وجود شهود • ان الضحايا موجودون ، ولكنهم لا يريدون الادلاء بشهاداتهم رسميا لأسباب شخصية ويخيل لى انهم يخشون سـطوة « أوريللى » وطيشه ، ويبدو أنه ورطهم فى مواقف معينة بحيث أصبحوا يخشون الفضيحة اذا هم أدلوا بأقوالهم عنها • وعلى هذا فانى أجد نفسى مضطرا

---

(١) فى بعض البلاد الاوربية والامريكية مكاتب خاصة للمباحث ، غير رسمية يستطيع أى شخص أن يلجأ اليها لتجمع له ما يريد من معـلومات عن أى موضوع يهمـه لقاء أجر •

www.ibtesama.com

الى الحصول على ما احتاجه من معلومات عنهم من أصدقائهم أنفسهم ،وهذه طريقة غير مباشرة ولا تفيد كثيرا ٠

غير أنه يبدو أن الامور قد بدأت تنجلى ٠ فقد حضر الى مكتبى بعد ظهر اليوم شخص عن طريق أحد رجال مكتب المباحث الخاصة الذين وضعهم « سولتر » تحت تصرفى وأخبرنى أن له صديقا من الضحايا (ضحايا أوريللى) يعمل كموظف فى أحد الفنادق وأنه يريد أن يقابلنى ليفضى الى بمعلومات تدين أوريللى ٠ ولكن هؤلاء الناس فى منتهى الغرابة، انهم جميعا يشعرون بالخجل أو الخوف الادارى ٠

ان هذا الشخص يخشى أن يحضر الى مكتبى ، ولذا فهو يرجونى أن أذهب اليه فى الفندق غدا بعد الظهر لكى أستمع الى أقواله ٠ وقد أعربت عن استعدادى للقيام بهذه المهمة ، وسأقابله غدا فى الفندق ٠

ان الحياة تكون جميلة حينما يشعر المرء أنه يؤدى عملا هاما يا « ووكر » وانني لأشعر فى هذه الايام بأن الحياة جميلة حقا ٠

www.ibtesama.com

الفصل الثامن والعشرون

الأزمة

ان مؤلف هذا الكتاب يعرف من تجاربه الشخصية أن بعض خيار الناس يتردون أحيانا فى مزالق ، ويرتكبون أخطاء ، تلحق بسمعتهم أذى بليغا ، على الرغم مما يشتهرون به من حصافة وحكمة • ولعل هذا يفسر الخطأ الكبير الذى وقع فيه جورج آبلى ، والذى سنذكره بالتفصيل على الفور ، وهو الرجل الذكى الاريب ، الذى كان يتولى بمقدرة فائقة ادارة ممتلكاته وشركاته وشركات الآخرين ، والذى أحس ببوادر الازمة الخانقة التى أصابت الاسواق العالمية المالية فى الولايات المتحدة عام ١٩٢٩ ، فاستعد لها استعداد الرجل الخبير المجرب ، وانقذ أمواله وأموال الآخرين من الضياع • ومع هذا كله فقد أقدم على خطوة تتسم بالتهور ، ولا نقول بالطيش على الرغم من تحذير كثير من أصدقائه له ، كادت تورده موارد الهلاك ، وتقضى على كيانه قضاء مبرما •

ففى الساعة الخامسة بعد الظهر فى أحد أيام شهر فبراير ، غادر جورج آبلى مكتبه فى شارع ستيت ستريت، وهو موفور الكرامة لا تشوب سمعته النقية البيضاء أية شائبة • وفى الساعة السابعة مساء ، كان مقبوضا عليه فى قسم الشرطة بتهمة خطيرة ، وهى أنه وجد بغرفة نوم فى أحد الفنادق مع امرأة سيئة السمعة •

ان هذا الموقف الخطير دبره ، كما تبين فيما بعد ، السياسى المحترف الشرير (أوريللى) الذى كان يتحين الفرص للانتقام من جورج آبلى ، الرجل النزيه الأمين ، لأنه حاول كشف مفاسده وآثامه ، والاخذ بتلابيب الاشرار الذين يبسط عليهم حمايته • ومع أن أحدا ممن يعرفون جورج آبلى لم يصدق قط هذا الاتهام السخيف ، ولم يحمله مطلقا على محمل الجد ، فان الحادث فى حد ذاته ألقى ظلالا قاتمة على هذا الرجل الشريف ، حتى أن بعض أصدقائه أنفسهم كانوا يتندرون بهذا الحادث ويتفكهون ، ويصفون جورج آبلى بالسذاجة ، وقد سبب له هذا ألما مريرا • ولا شك

www.ibtesama.com

ايضا أن هذا الحادث كان له بعض الأثر فى مركز جورج آبلى ، كرجل أعمال ، ولعل هذا هو سبب اختفاء اسمه من كثير من اللجان التى كان يشترك فى أعمالها ، والتى كان يعتبر الرأس المفكر فيها • ولم يدرك كثير من الناس مدى الخطأ الفـــادح الذى وقعوا فيه فى هذا الصدد ، ومدى الغبن الفاحش الذى ألحقوه به ، الا فى الحقبة الأخيرة من حياته • وقد أتاحت هذه المحنة لجورج آبلى أن يعرف أصدقاءه الحقيقيين الذين أخلصوا له حتى النهاية ، فلم ينس لهم جميل فعلهم مدى حياته • وكان أول عمل قام به بعد اطلاق سراحه ، بموجب كفالة ، هو أن قدم استقالته من نادى الاقليم ، وبيركلى ، وبعث لهذا الغرض بخطابين متشابهين الى أعضاء مجلس ادارتهما ، وهذا نص الاستقالة :

ســادتى :

« لقد وجدت نفسى متهما ، من غير جريرة ارتكبتها ، بجريمة أعتقد أنكم تعرفون أن مثلى لا يقدم عليها • ولما كنت أخشى أن تلوك الصحف اسمى ، فانى أبعث اليكم باستقالتى ، محافظة منى على سمعة النادى الذى أنا عضو فيه وأحد أعضاء مجلس ادارته ، وحتى لايتطرق اليه أى شك» •

وغنى عن الذكر أن هذه الاستقالة لم تقبل ، كما لم تقبلها جميـــع المنظمات والهيئات الأخرى التى يشترك فيها • وقد أخبره كثير من أصدقائه أن هذا الاجراء لم يكن له داع ، وان كانوا قد قدروا فى الرجل نزاهتـــه ورغبته فى عدم احراج الآخرين • وعلى أى حال فان رفض هذه الاستقالة كان بمثابة تحية له فى المحنة التى يجتازها شدت أزره ، وأثلجت قلبه •

لقد صدم اشخاص كثيرون بالمحنة التى أصابت جورج آبلى ، وكان منهم من لايعرفه شخصيا ، وان كانوا يعرفون فضله ومآثره • وكان هناك استياء عام من الاجراءات القضائية البطيئة التى جعلت الاتهام معلقا فوق رأسه ، والثغرات القانونية يمكن أن تتيح لمدبرى هذا الحادث البشع الافلات من قبضة القانون • وكان من دواعى العجب والسخرية ، فى رأى الكثيرين ، أن يؤخذ كلام رجلين مرتشيين من رجال الشرطة السريين قضية مسلما بها ، مع ما فى أقوالهما من شبهة ، ضد رجال فى وزن جورج آبلى ومركزه الاجتماعى •

وقد شكلت على الفور لجنة غير رسمية ، وسرية من رجال الاعمال البارزين الذين لهم نفوذ سياسى ، للدفاع عن جورج آبلى ، كما أعرب عدد من الصحف المحلية عن الرغبة فى التعـــاون معهم • ومن سوء الحظ أن

www.ibtesama.com

« هنرى سولتر » لم يكن موجودا فى بوسطن فى ذلك الوقت لأنه كان يقوم بجولة يزور فيها سجون ولاية فلوريدا للاطلاع على أحوالها ٠

ومع أن العناصر الطيبة فى مدينة بوسطن كانت ساخطة كل السخط على « أوريللى » وأتباعه ، فان العجيب فى الأمر أن هؤلاء حاولوا الدفاع عن جرائمهم بالدس والوقيعة ، واثارة النعرات الطبقية ، وبث الشائعات التى تهدف الى خلق صراع سياسى ودينى فى المدينـــة ، وتأليب الفقراء على الأغنياء ٠

وكان السؤال الذى يتردد على ألسنة الجميع هو : كيف وقع جورج آبلى فى هذه الورطة ، وكيف تردى فى هذه السقطة ٠ وقد أجاب جورج آبلى ، الذى ظل طوال هذه المحنة ثابت الجنان مرفوع الرأس ، على هـــذا السؤال بصراحة فى خطبة ألقاها فى حفلة حضرها جميـــــع الأقارب والأصدقاء ، وأعاد قراءتها بعد ذلك فى عدد من النوادى ، وقد جاء فيها ما يلى :

« ٠٠ هناك أوقات يجب أن يتكلم فيها الانســـان بصراحة ، وأن يعترف فيها بأخطائه ، وانى لأعترف الآن بأننى ارتكبت غلطة شنيعة ، وان تكن غير مقصودة ، ولكنها تدل على الاهمال الشديد والغفلة ٠ ان الذى حدث هو أنه حضر الى مكتبى رجل قال ان اسمه « موريس » ، وأبلغنى أن له صديقا بأحد الفنادق يريد أن يبث لى شـــــكواه من « أوريللى » وعصابته ، ولكنه يخشى أن يأتى الى مكتبى بنفسه خشية أن يراه أحد أفراد هذه العصابة فيبطشوا به ، وعلى هذا قبلت أن أذهب مع هذا المدعو « موريس » الى الفندق ، ولاحظت أنه معروف هناك من جميـــع الموظفين جيدا ، وان كانوا أنكروا فيما بعد باصرار أنهـــم يعرفونه ٠ وقد قادنى بموافقة ضمنية من هؤلاء الموظفين ، الى الطـــــابق الاول وسرنا فى ردهة كانت تترامى اليها أصوات موسيقى من جهاز الجرامفون ، ثم فتح غرفة فى وسط هذه الردهة من غير أن يطرق الباب ، ودعانى الى الدخول ٠ وانى لاعترف انى كنت فى غاية الغباوة ، اذ قبلت دعوته ، الى الدخول اذ بمجرد أن دخلت الغرفة استأذننى وقال انه سيعود بعد لحظـة واحدة ، وخرج ، بعد أن أغلق الباب وراءه ٠ وتطلعت حوالى فوجدت أنى فى غرفة فاخرة الأثاث والرياش ، ولكنى لم أجد الرجل الذى أتيت خصيصـــا لمقابلته ، وانما رأيت أمامى امرأة لا أعرفها ، فى ملابس النوم ، وقبل أن أفتح فمى لأقول كلمة واحدة أعتذر فيها لها عن وجـــــودى فى الغرفة سمعت طرقا على الباب ، وصيحات عالية تطالب بفتحه ، وحتى قبل أن

www.ibtesama.com

يتاح لى الرد عليها ،فوجئت بالباب يفتح على مصراعيه ، ودخل اثنان من رجال الشرطة ، وقد رفضا باستياء وازدراء ، بل بفظاظة وخشونة أيضا ، أن يستمعا الى تفسيرى عن سبب وجودى فى الغرفة • هذا هو ما حدث ، من غير أقل تحريف أو مبالغة •

وبعد خمس دقائق ، وقبل أن أغادر الفندق ، ظهر هذا الشخص المدعو « أوريللى » ، وتقدم نحوى ، واقترح فى عبارات سريعة مشوشة استعداده لتسوية الموضوع وديا ! وقد رفضت الاقتراح بالطبع ، وطلبت الذهاب الى أقرب قسم شرطة ، وسرنى أن رأيت على المستر « أوريللى » أمارات الدهشة ، بل الضيق ، من هذا الطلب • وقلت له حينئذ انه لا يعرف من أكون •

وقد أدرك المستر « أوريللى » فى الأيام التالية بصفة قاطعة نوع الرجل الذى اختار أن ينازله • فقد بدا جورج آبلى رابط الجأش ، شجاعا، هادئا ، كالعهد به دائما • وقد أعرب منذ بداية هذا الموضوع الشائك عن تصميمه فى المضى فيه حتى النهاية ، وعلى عرضه على القضاء ، لاثبات براءته مما نسب اليه • وقد حاول أصدقاؤه بذل وساطتهم لتسوية المسألة ، لاسباب وجيهة ، ليس أقلها رغبتهم فى حصر النار فى أضيق نطاق ممكن • واخمادها فى مهدها ، منعا للقيل والقال ، وقطعا لدابر الشائعات المغرضة •

وقد استطاع هؤلاء الأصدقاء الاتفاق على عقد اجتماع مع جورج آبلى، وأوريللى ، فى مكتب أحد المحامين فى محاولة أخيرة لوضع حد للنزاع القائم بينهما • ولكن فى اللحظة الاخيرة علم جورج آبلى أن احدى الجماعات السياسية التى يناصرها « أوريللى » تذيع عنه افتراءات كاذبة ، فرفض حضور الاجتماعات •

ولكن العجيب فى الأمر أن جورج آبلى توقف بعد ذلك فجأة عن المضى فى الاجراءات التى كان قد اتخذها لتقديم أوريللى الى المحاكمة • أما سبب ذلك فالمؤلف يعرفه ، ولكن الكثيرين فى ذلك الوقت لم يكونوا يعرفونه • ولكن السر يكمن فى الخطاب ، التالى الذى تلقاه جورج آبلى من صديقة قديمة كان يعرفها فى مطلع شبابه تدعى (مارى موناهان) ، وقد عثر عليه المؤلف فى درج سرى بمكتب جورج آبلى ، الذى شرح سبب هذا التحول المفاجىء الذى طرأ على موقفه فى خطاب بعث به الى صديقه الدائم « ووكر » وسننشره فى مكان آخر •

وهذا هو نص الخطاب الذى تلقاه من مارى موناهان :

www.ibtesama.com

عزيزى المستر آبلى :

اننى أتساءل : ألا تزال تذكرنى ؟ لقد مضى منذ تعارفنا لأول مرة وقت طويل جدا ، ولكنى مازلت أتذكرك ، وقد فكرت فيك كثيرا جدا ، وكنت مسرورة دائما لأنى عرفتك • وانى أتذكرك كرجل « جنتلمان » ، وأعتقد أنك لاتزال كذلك • لقد سار كل منا منذ زمن طويل فى طريق آخر ، ولكن جاء الوقت الذى يجب أن أراك فيه لأتحدث معك فى موضوع يهمك ، وفيه مصلحة لك ، لانى ــ وقد عرفتك ــ ، لا أحب أن أرى أذى يلحقك • فهل أستطيع أن أقابلك فى منزلك فى الساعة الخامسة من بعد ظهر غد ؟

اننى سأوقع هذا الخطاب بالاسم الذى أرجـــو أن تكون قد ظللت تتذكره •

« مارى موناهان »

واذا كان جورج آبلى كان قد غير موقفه بعد مقابلته لهذه السيدة فان ذلك يرجع الى أسباب شخصية ، وخاصة ، ولا يرجع لتحول من جانبـه عن المبدأ ، وينبغى أن نزيد هذا وضوحا فنقول ان هذا التغيير يعود الى أسباب انسانية استجـــــاب لها جورج آبلى بدافع من روح الفروسية والمروءة • ومن حسن الحظ أنه كشف عن هذا السر فى خطاب بعث به الى صديقه « ووكر » :

«لقد حدث بعد ظهر اليوم شىء ترك فى نفسى أثرا عميقا ، وما زلت حتى الآن مذهولا بعض الشىء مما حدث • وكأنما مدت الأيام الماضـــية ذراعها الطويلة لكى تلمسنى فى خاطرى وتهزنى هزا ، فأرسلت الى من أغوارها شبحا ، ولكنه شبح حى ، وكان هذا بمثابة تجربة غريبة جديدة فى هذه الحياة الكئيبة التى نعيشها • لعلك تذكر الفتاة (مارى ماناهان) التى كنت أعرفها حينما كنت طالبا فى جامعة هارفارد ، والتى أخبرتك حينئذ عن علاقتى بها ، ومن حقك أن تدهش الآن اذا علمت أنهـا جاءت لزيارتى بعد ظهر اليوم ، وفى وقت الشدة ، وأننا جلسنـــا وحدنا مدة ساعتين فى مكتبتى بشارع بيكون • لقد أمضينا معـا فيما مضى أوقاتا جميلة على شاطىء البحر ، وقد ذكرتنى زيارتها بأيام شبابى السعيدة التى ولت وانقضت ، وأيقظت روحى التى أصـابهـا الملل والكلل فى هـذه الايام الراكدة • وفى خلال هاتين الساعتين شعرت بأن الحيـــاة تدب فى جسدى من جديد بعد أن طرأ عليه ما يشبه الشلل فى الآونة الأخيرة ،

www.ibtesama.com

واعتقد أنها كانت تحس بمثل احساسى أيضا • لقد جاءت لكى تمد لى يد العون فى وقت الشدة ، ولكن سرنى أنى أنا الذى استطعت أن أساعدها، ولم يكن فى وسعى الا أن أفعل ذلك •

ان الانسان يجب أن يخلص الود لمن يخلصون له الود ، اننى أعتقد أنها بذلت من أجلى كثيرا من الود والاخلاص • ولما أخبرتنى بأن هـــذا الرجل المدعو « أوريللى » هو ابن عم زوجها ، كان فى هذا الكفاية ، اننى لن أرفع يدى ضد أى شىء يهمها الا أرفع ضده يدى • ومع أنى لا أوافقها على وجهة نظرها التى شرحتها لى فانى ليس فى وســعى مع ذلك الا أن أعطف على رأيها • يضاف الى ذلك أنها تمت بصـــلة القرابة الى بعض موظفى شركاتنا • لقد جاءت لتحذرنى من « أوريللى » ومؤامراته ضدى ، ولكننى أخبرتها بأننى أعددت العدة للامساك بتلابيبه وتقديمه الى القضاء لكى يقتص منه القصاص العادل ولكن مادامت هى تمت اليه بصـــــلة المصاهرة ، فاننى لن أناله بأذى ، ولن أفعل شيئا قد يؤلم شعور زوجها لأنه ابن عم « أوريللى » •

ان هذا الخطاب ، الذى لايخلو من الغموض ، يلقى ضـــوءا على أحد الجوانب الانسانية فى نفسية جورج آبلى التى حاول المؤلف مخلصا أن يجلوها ويوضحها ، وربما بغير نجاح كبير ،وهى نفسية رجل من لحم ودم ، ولكنه كريم ومتسامح ، وعطوف ، وان كان يخفى كل هـــــذه السماحة فى رداء من المرح أحيانا ، والحزن أيضا أحيـانا أخرى • وقد شرح نتيجة مقابلته الوحيدة لمارى موناهان فى خطاب بعث به الى صديقه (ووكر) هذا نصه :

« لقد أمضيت بعد ظهر اليوم فى حديث طويل مع أوريللى • انه يبدو فى كثير من النواحى ، شـخصا رائعـا ، وهو يعرف الـكثير عن شئون الملاكمة والرياضة ويبدو أنه دهش عندما عرف أننى كنت أهتم فى يوم ما بالملاكمة • وقد ازداد دهشة من أشياء أخرى أبلغها له ابن عمه • وقد اجتمعنا نحن الثلاثة فى منطقة جنوب بوسطن التى يقيم فيها، ودارت بيننا محادثات ودية • ان ما أخبرك به الآن سر لايعرفه أحد ، ولا ينبغى أن يعرفه مخلوق ، بما فى ذلك زوجتى كاترين ، ويسرنى أن أعهد الى « أوريللى » بأعمال ، ولكن من غير النوع الذى يقوم به • وفى خلال مقابلتنا بعد ظهر اليوم مر علينا عدد من أصدقائه ، وقد كانوا أيضا رجالا على قدر كبير من دماثة الخلق والآن ــ وقد أصـــبح كل منا يعرف الآخر ــ فأظن أن جميع المصاعب قد زالت • وقد قررت أن أتبرع بمبلغ من المال ، من غير أن أعلن اسمى ، لانشاء بعض الملاعب الرياضـــية فى جنوب

www.ibtesama.com

بوسطن ، وتجهيزها ، كما أثلج صدرى أنى استطعت تقديم بعض المساعدة الى « أوريللى » للتغلب على بعض المصاعب المالية التى يعانيها ٠

وقد حضر الاجتماع أيضا رجلا الشرطة اللذان اعتقلانى فى الفندق وقد تبين لى أنهما لطيفان أيضا للغاية ، وأن لكل منهما زوجة وأولادا ٠ وقد وافقا بناء على الحاحى على الاستقالة من عملهما فى الشرطة ، للعمل كملاحظين فى مصانع آبلى ، اذ أعتقد أنهما سيكونان نافعين جدا ٠ ومن المدهش أن أحدهما كان جنديا فى الكتيبة التى كان يحـــارب ابنى « جون » معها فى فرنسا وأنه كان حاضرا حينما أصـــيب « جون » فى المعركة ٠ ان العالم ضيق حقا ، فالناس مهما يذهبوا شرقا أو غربا ، فانهم يتقابلون مرة ثانية ٠

وقد قبل « أوريللى » فى سماحة رائعة ، أن يكتب خطابا لنشره فى جميع الصحف ويعلن فيه أن المشكلة كلها نتجت عن خطأ فى رقم غرفة الفندق ، ويعرب فيه فى النهاية عن اعتذاره وأسفه العميق ٠

ان تفاصيل المفاوضات التى دارت بين جورج آبلى وبين أوريللى لم تذع ، وليس ثمة حاجة الى محاولة التكهن بها ،ولكن يكفى أن نقول انها كانت نتيجة مباشرة لكرم جورج آبلى وانسانيته ٠

وقد ازدادت شعبية جورج آبلى بعد هذه الأزمة ، ولكنه بدأ يقلل من نشاطه فى النواحى العامة بالتدريج ، وقد أوضح ســبب ذلك فى خطاب ألقاه فى أحد الاجتماعات السياسية التى عقدت فى ذلك الوقت بمناسبة حملة الانتخابات الخاصة بمجلس بلدى المدينة :

« من دواعى سرورى أن أشاهد عددا كبيرا من الشبان فى هذا المكان ، لأن هذا يدل على أنكم ، يا معشر الشباب ، تدركون أنكم أصبحتم مسئولين ــ ولسنا نحن أبناء الجيل القديم ــ ، عن النضال من أجل تحسين أحوال بوسطن وجعلها مكانا طيبا يروق للانسان أن يعيش فيه ٠ وأعتقد أن الوقت قد حان لنسلمكم الامانة التى اضطلعنا بحملها زمنـــا طويلا وأن نلقى عليكم أعباء تصريف الامور وأن نفسح أمامكم الطريق ٠ ولعل هذا هو السبب فى أنى رفضت أن أشترك فى أعمال هذه اللجنة اشـــتراكا عمليا ، ولكنى مستعد دائما ــ كما كنت فى الماضى ــ أن أقدم لكم النصح والمشورة ، وان أساهم ماليا فى أى مشروع تجدونه مفيدا للمدينة ويعود بالخير على أبنائها ٠ »

www.ibtesama.com

الفصل التاسع والعشرون

سنة التطور

فى خريف عام ١٩٢٨ ، وقع حادث سعيد ملأ حياة جورج آبلى بهجة وجعله يشعر بسعادة قلما شعر بمثلها من قبل ، فقد أنجب ولده «جون» ولدا ٠

وقبيل هذا الحادث السعيد بأيام بعث لابنه خطابا قال فيه :

عزيزى جـــون :

مازلت لا أستطيع أن أفهم لماذا تصر على أن يولد حفيدى ــ وانى أقول حفيدى لأنى أعلم أنه سيكون ولدا ــ فى مستشفى ٠ اننى أعجب من هذه الأفكار الجديدة ، فقد ولدت أنت وأنا وأجدادك جميعا فى المنزل من غير أن يحدث لنا أو لهم أى سوء ٠ وقد كنت أؤمل أن تقنع زوجتك (لويز) بأن تحضر الى قصر هيلكرست لكى تلد فيه تحت اشراف الدكتور «هارلى» الذى أتى بك الى هذا العالم ٠ وانى واثق انها كانت ستجد فيه أقصى قدر من العناية والرعاية ، هذا فضلا على أنى كنت سأقدم ما أستطيعه من مساعدة فى مثل هذه الفترة العصيبة التى يمر بها كل زوج ، ولاسيما حينما ينجب مولوده الاول ٠ وبهذه المناسبة أود أن أقول لك ان النساء فى مثل هذه الظروف يكن عصبيات بعض الشىء ، فأرجو أن تكون رفيقا بلويز ٠

اننى سأرسل لك « القصعة » و « السطل » التقليديين ؟ اللذين استخدما فى ولادة جميع أعضاء أسرتنا منذ عهد مؤسس أسرتنا (جون) ٠ الذى أرجو أن تطلق اسمه على المولود الجديد ، الا اذا كنت تريد أن تطلق عليه اسم جدك (توماس) ٠

وستقام حفلة التعميد فى قصر هيلكرست بالطبع ، وسيشرف عليها صديق أمى العزيز القديم القس (بتنجيل) ، اذا سمحت صحته بذلك ، وتتولى أمك الآن اعداد وتزيين قاعة الاستقبال الـــكبرى فى القصر لهذا الغرض ٠ وستعد حجرتك الصغيرة التى فى نهاية الدرج لاقامة المولود

www.ibtesama.com

الصغير • وقد صعدت بنفسي الى الحجرة العليا التي تحفظ فيها الأدوات القديمة ، وأحضرت منها « اللعب والدمى » القديمة التى كنت ألعب بها وأنا صغير ، لكى تكون تحت تصرف حفيدى ، وأرجو أن تخبر « لويز » أنى قمت بتطهير هذه الدمى بالمواد المطهرة ، وان كنت فى الواقع لا أجد مبررا لذلك ، لأن أفراد الأسرة القدامى كانوا يلعبون بها وهم صغار من غير أن تطهر • وسأجرى مايجب لتعديل الطريق الذى يؤدى من البوابة الكبرى للقصر الى مدخل القصر حيث انه لا يصلح بوضعه الحالى لمرور السيارات ، وانما يستخدم فقط كما تعرف لمرور العربات التى تجرها الخيول ، وعلى هذا فانه أصبح من الضرورى ازالة احدى الأشجار الكبيرة التى تعترض الممر ، وقد بدأ البستانيون فعلا بعد ظهر اليوم فى رفع هذه الشجرة ، وسيضعونها فى مكان آخر بالحديقة • وقد اتصلت بمدرسة (جروتون) لكى تحجز مكانا فيها للمولود الجديد تمهيدا للالتحاق بها فى المستقبل • وقد بعثت ببرقية الى اليانور ، التى تقوم برحلة الآن الى باريس ، لتقطع رحلتها وتعود الى بوسطن •

هل هناك شيء آخر أستطيع أن أعمله ؟ سأشترى غدا بعض الأسهم والسندات باسم المولود الجديد • ولاشك أن حفيدى سيعمد فى الثوب نفسه الذى أعدته أم جدك لجدك ، والذى عمدت أنا فيه ، وأنت أيضا •

عزيزى جون :

لقد تأثرت غاية التأثر ببرقيتك التى وصلتنى اليوم • يبدو أن الحياة لاتزال جميلة وانها لاتزال تستحق أن تعاش • لقد كانت أفكارى معك طوال اليوم ، لأنى أعرف من تجاربى الكثيرة أنه ليست هناك تجربة أعظم أو أخطر من تجـــربة الأبوة • إننى مسرور مما قلته من أن صحة العزيزة « لويز » جيدة • اننى سأرسل لها التاج المرصع باللؤلؤ فى أقرب وقت ممكن ، وقد أخرجته خصيصا بهذه المناسبة السارة من صندوق الحلى • ان بعض لآلىء هذا التاج قد خبا لمعانها بسبب طول مدة حفظه فى الصندوق ، ولكنها ستستبدل بغيرها •

هذا وقد أرسلت برقية ، وخطاب تأييد ، الى مدرسة « جروتون » لاعتماد ادراج اسم حفيدى فى سجلاتها لحجز مكان له فى المدرسة • وقد ظللت اليوم أتلقى برقيات التهنئة بالمولود الجديد الذى أشعر أنه ابنى أنا ، وستحس يوما ما ، حينما تتقـــدم بك السن ، بمثل هذا الشعور ذاته •

ولكن هناك شيئا واحدا يسبب لى قلقا شـــديدا • فقد علمت أن

www.ibtesama.com

المستشفى ، الذى ولد فيه ابنك ، يضع الأطفال الحديثى العهد بالولادة على أرفف فى غرفة دافئة مع غيرهم من الاطفال الذين يولدون فى المستشفى ، وأعتقد أنه من الممكن أن يحدث خطأ فى التمييز بين طفل وطفل ، وان يختلط الامر على ادارة المستشفى بسبب تشابه الاطفال الحديثى العهد بالولادة • ولهذا أرجو أن تتخذ جميع الاحتياطات اللازمة لتحاشى وقوع هذا الخطأ ، وأن تبادر الى نقله من هذا المكان فى أقرب وقت ممكن • اننى لا أحب أن أرى حفيدى فى هذا (العنبر) مع عدد كبير من الأطفال الآخرين الذين يصرخون ، معرضا لاحتمال الاصابة بأى مرض ، أو بوضعه خطأ فى مهد آخر •• فأرجو أن تطمئننى على هذا الموضوع فى أقرب وقت تصل فيه الى قصر هيلكرست ••

وليس ثمة حاجة الى القول بأن رغبات جورج آبلى قد نفذها ابنه جون بدقة • وقد أقيمت حفلة التعميد للوليد الجديد ، فى قصر هيلكرست يوم ١٥ من يناير ١٩٢٩ • وقد سمى الطفل باسم « جون » وهو اسم أبيه أيضا ، كذلك اسم مؤسس الأسرة •

وبعد عودة جون آبلى الى نيويورك ، بعث اليه أبوه بخطاب قال فيه :

عزيزى جون :

لم أنم جيدا ليلة أمس ، فالانسان كلما كبرت سنه ، كلما أصبح النوم عزيز المنال • وارتديت حينئذ ملابسى وتوجهت الى غرفة التطريز الخاصة بأمك لكى أقرأ هناك بهدوء ، ولكنى لم استطع ان أركز ذهنى فى الصفحات التى اقرؤها ، مع أنى كنت أقرأ للكاتب المؤرخ (امرسون) الذى اعتقد انه واحد من أعظم المفكرين الذين أنجبتهم بلادنا ، وقد تخرج من جامعة هارفارد بالطبع • لقد كانت أفكارى مشتتة ، مبعثرة ، وكنت قد تناولت مساء أمس قدحين من القهوة بعد العشاء ، قبيل المحاضرة التى القاها البروفسور (سباير) فى نادى (الساعة الثامنة) ، عن (بعض الاتجاهات العصرية الخطيرة) ، وذلك لأنبه ذهنى وأستعد ، بصفتى سكرتيرا لهذا النادى ، لتلخيص المحاضرة لجمهور المستمعين ، والتعقيب عليها ، بعد انتهاء المحاضر من القائها • ان بعض سكرتيرى النوادى الأخرى اعتادوا أن يستعينوا بأوراق المحاضرة ذاتها فى التعقيب عليها ــ ولكنى لا أسير على هذه القاعدة غير المستحبة ، ولهذا فانى أضطر الى تركيز ذهنى فى خلال القاء المحاضرة لكى أقف على كل تفصيلاتها ، ثم أعقب عليها بعد ذلك ارتجالا ، وهذا الجهد يرهقنى بحيث يجعل النوم متعذرا على فى الليلة التالية •

www.ibtesama.com

لقد قلت لك ان ذهني كان مشتتا ، كصفحات كتاب ، حينما ذهبت لأقرأ للمؤرخ (أمرسون) مع أن المنزل كان هادئا . وأخذت أتطلع الى شارع بيكون ، والى الأنوار الممتدة على طول الشارع ، التى كانت تنعكس على أرصفته فتحدث بريقا لامعا . وبدأت أفكر فيك وفى المولود الجديد العزيز الذى انضم الى الأسرة ، وفى العالم المتغير الذى جئت اليه أنت أيضا وأنت صغير . ان هذا العالم المتغير الذى كانت له نتائج عميقة الأثر على الأفكار ، بشكل لايتصوره العقل ، ربما كان السبب فى أنه جعلك شخصا آخر يختلف اختلافا تاما عما كنت أتوقعه ، وجعلنى أشعر أحيانا بأنك أشبه بلغز ، بالنسبة لى ، يستعصى علىّ الحل ، انك جزء من هذا العالم الجديد المخيف ، عالم (فرنكشتاين) الذى أجد صعوبة كبيرة فى فهمه ، وفى هضمه .

هل فكرت فى مدى هذه الثورة المادية التى طرأت على العالم ؟ لعلك لم تفكر كثيرا فى ذلك ، فالانسان جبل على أن يقبل الأمر الواقع بسهولة. لكى أعطيك فكرة عن هذه الثورة التى أحدثت انقلابا شاملا فى أساليب الحياة ، أخبرك بأنى حينما كنت صغيرا . كنت أذهب الى غرفة النوم مستعينا بضوء شمعة وكنت أغسل وجهى أو أستحم بالاستعانة بالابريق والحوض (الطشت) . لقد تغير الآن كل شىء . فقد أصبح صوت الانسان يصل الى أقصى الارض فى ثانية واحدة ، وأصبح قطع ثمانين أو تسعين ميلا فى نزهة بالسيارة بعد الظهر شيئا مألوفا وسهلا ، وكانت هذه المسافة تقطع فى زمننا فى عدة أيام أحيانا . وقد عبر البطلان (بيرد) و (لندبرج) المحيط الاطلنطى بالطائرة . وبهذه المناسبة سرنى ماعلمته من أن « بيرد » يزور بوسطن فى الوقت الحاضر ، وقد وجهت اليه الدعوة لزيارة نادى بيركلى .

ان هذه الأمثلة ، التى توضح ما طرأ على العالم من تغير ، تفسر أيضا التغير الذى أصابكم أنتم أيضا ، معشر الجيل الجديد . ان التغير المادى جعلكم ماديين كلكم ، ومع هذا فانه لم يساعدكم على الوصول الى الحقيقة . انكم تعتمدون فقط على الحواس ، وأصبحت الملذات نفسها حسية فى جوهرها . انكم تعبدون المادة ، اله العصر الجديد وفى هذا العالم المادى أصبح كل شىء سهلا ، وفى متناول أيديكم ، فلم تعودوا تبذلون من الجهد للحصول على ما تريدون ما كان يبذله أبناء الأجيال السالفة . ان الحرارة تأتيكم بسهولة ، وكذلك البرودة ، والمال يأتى أيضا سهلا ، ولا تنس أنه يذهب أيضا بسهولة . حتى الحب أصبح يأتى بسهولة ، وكذلك النجاح . وهذه السهولة فى كل شىء أشاعت فيكم الليونة والرخاوة . لقد تغيرت

www.ibtesama.com

القيم والمفاهيم أيضا ، ولا أعتقد أن الحياة أصبحت مع ذلك أكثر بهجة وهناء مما كانت فيما مضى ٠

وانى لأرجو ، من أجل حفيدى الصغير ، أن يكون هذا التغير الذى أصاب العالم ، قد أوشك على النهاية ، كما أرجو ، حينما يكبر أن يدرك هؤلاء الذين يعيشون فى رخاء وثراء واجبهم نحو المجتمع ٠ وأرجو ، اذ يصبح شابا يافعا ، أن يستطيع تمييز السيدة الفاضلة من تصرفاتها ، ومن ثيابها ، وأن يتذكر مانسيه كثير منكم ، وهو أنه ينبغى أن تكون هناك مقاييس ومعـــايير للمجتمع ، وأن تكون هناك قواعد للغة والفكر والسلوك ٠

لقد لعبت أمس فى النادى لعبة « الكرة الخشبية » ، وقد أصابنى عقبها وجع شديد فى ظهرى ٠

وكنت أقرأ فى الأيام الأخيرة كتابا سبب لى حزنا بالغـــا ٠ وهذا الكتاب اسمه (الشمس تشرق أيضا) ومؤلفه يدعى (همنجواى) ويبدو أن هذا « الهمنجواى » ليس رجلا « جنتلمان » وكذلك شخصيات أبطاله وبطلاته ٠ ومع هذا فانى رحب الصدر بحيث أعترف بأن هذا الرجل له موهبة خارقة ، وان كنت أعتقد أنه يلجأ الى أساليب الاثارة غير اللائقة والى الخدع والحيل المصطنعة ٠

وفى الاجتماع الدورى ، الذى عقدته لجنة مكتبة شارع بيكون ، امتدحت هذا الكتاب ووقفت ضـــد جميع من انتقدوه ، فيما عدا مسز (سيل) التى تحب المعارضة من أجل المعـــارضة ٠ وقد فعلت هذا لأن الكتاب ، وان يكن غير خلقى ويتجه الى مسائل الجنس ، فانه يحوى قيما أدبية معينة ٠

وفى رأيى أن مثل هذه الكتب المليئة بالأفكار المشوشة المضطربة التى يضـــعها كثير من المؤلفين فى هذه الأيام أقل من المستوى المنشود ، ولا تفيد كثيرا ، هذا فضلا على أنها تدل على مـــدى التعس الذى يعانيه مؤلفوها ٠ ويبدو لى أيضـــا أن همنجواى يبالغ بعض الشىء فى تصوير شخصيات كتبه ٠

عزيزى جون :

من بواعث سرورى أن أكتب لك دائما ، لأنى أعرف أنى أستطيع أن أتحدث اليك بحرية ، وهو شىء متعذر أحيانا مع الآخرين ٠ لقد أحضرت أختك اليانور معها رجلا غريبا أمس لتناول العشاء فى دارنا ، ويبدو أنها

www.ibtesama.com

عرفته عرضا لأنها تهربت من الاجابة حينما سألناها أين قابلته • ولكن يبدو أنه خريج جامعة هارفارد ، وتدل طريقة حديثه غير المألوفة على أنه أتى من مكان بعيد ، وربما كان موطنه وسط الغرب الأمريكى وهى منطقة لم أرها ولا أريد أن أراها •

ويبدو أنه لا يعرف مطلقا مركزنا المالى ، وكان هذا موضع تسلية لنا ، أنا ، وأمك ، وأنت تعرف أننا نحاول أن نعيش دائما حياة بسيطة ، وأنا لا أحب تكديس أنواع الأثاث والرياش فى الغرف ، ولهذا فقد ظن أننا لسنا على سعة من العيش • ويبدو أنه وقع فعلا تحت تأثير هذا الوهم لأنه أخذ يتكلم بحرارة عن ضرورة تقسيم الملكيات الكبيرة الموروثة • ولم أشأ أنا أن أخرجه من نطاق أوهامه ، فوافقته على ما يقول ونحن ندخن السيجار فى المكتبة •

اننى أنا نفسى أحبذ أن تستولى الحكومة على الثروات الضخمة التى جمعها أشخاص غير مثقفين • ولكن هذا لاينطبق بالطبع على الأشخاص الذين تعـــودوا على تحمل المسئولية التى اكتسبوهـا من ادارة أملاكهم الموروثة ، وهم يؤلفون طبقة صغيرة ، ولكنها على قدر كبير من الأهمية • اننا نحمل على أكتافنا مستقبل جميع المؤسسات التعليمية والخيرية ، التى تعتبر أساس العـــالم الذى نعرفه ، واذا فقدت طبقتنا هذا الاحساس بالمسئولية ، فان كل شىء مصيره الى الضياع • ان عمالنا فى مصانع آبلى يطعمون جيدا ويرتدون ثيابا جيدة ، ويجب أن يظلوا كذلك دائما • وينبغى علينا أيضا أن نبذل ما نستطيع لمساعدة من هم أقل حظا منـا ، والذين لا يملكون مثلما نملك ، ولكن يجب ألا يغيب عن البال فى الوقت نفسه ان هؤلاء الناس يملكون حرية فى العمل والتصرف لا نملكها ان كل هذه الأشياء يجب أن تتذكرها حينما يوارينى الثرى •

ان من أهم الأشياء ، ولا سيما فى هذه الأيام ، أن يبتعد الانسان عن المظاهر ، وأن يتحاشى الترف ، وان يتوخى البساطة فى حياته ، ولهذا فقد اغتبطت جيدا حينما اعتقد صديق اليانور الجديد اننـا أسرة رقيقة الحال •

عزيزى جون :

لقد عانيت بعض المتاعب لأنى اتخذت موقفا يدهشك حينما أقصه عليك • لقد سمعت بعض اعضاء الشبان فى النادى يتحدثون عن كتاب قالوا انه فاضح ، اسمه (عشيق اللادى تشاترلى) ، ومؤلفه أحد هؤلاء

www.ibtesama.com

الكتاب الجدد ويدعى (لورنس) وهو غير لورنس ، البطل البريطاني الذى قام بمغامراته المعروفة فى شبه الجزيرة العربية • وقد بدأت أقرأ هذا الكتاب ، وأنا أتوقع أن أصدم كما صدمت مع معظم المؤلفات الأدبية التى ظهرت أخيرا • وأعترف أنى ذهلت فى البداية ، ولكنى حينما انتهيت من قراءته شعرت أنى أمام عمل فنى • وقد تشاجرنا ، أنا وأمك ، شجارا عنيفا حول هذا الموضوع ، وهو شىء لم يحدث بيننا منذ بضع سنوات • وقد ارتكبت غلطة كبيرة بسماحى لأمك بقراءته • لقد وضعته الآن فى مكان أمين ، فى صندوق الحلى والمجوهرات ، حتى لا تتمكن اليانور من قراءته •

ان الأمور هنا تجرى فى مجراها المعتاد ، وهذا شىء يبعث الغبطة فى نفسى ، ويجعلنى أحس أن بوسطن مكان طيب يلذ للمرء أن يعيش فيه •

لقد أخذ جورج آبلى فى أخريات أيام حيـاته ينظر الى الأمور نظرة تتسم بسعة الأفق ، ولم يعد يتشدد فى أشياء كان يتمسك تجاهها بموقف صلب فيما مضى، وبدا أكثر تسامحا ازاء نزوات الشباب وطيشه• وليس أدل على هذه النظرة الجديدة للأشياء من أنه أعجب بقصة « عشيق اللادى تشاترلى » واستطاع أن يكتشف فيها أشياء جيدة وان كان قد استهجن فى الوقت نفسه ما حوته من عناصر غير طيبة • ويبدو هذا الاتجاه فى الخطاب الذى بعث به الى صديقه (ووكر) :

« •• لقد دعتنى دوروثى وزوجها جونى ستيلويل لحضور حفل زواج ابنتهما جين فى نادى سمرست • لقد ذهبت خصيصا الى هذا الحفل لأنى معجب بالعروسين الشابين وبخلقهما الرائع ، وكانت هذه أول مرة أحضر فيها مثل هذه الحفلات منذ انتهـاء الحرب • لقد كنت مستعدا لجميع المفاجآت ، ولكنى لم أكن مستعدا للمفاجأة التى رأيتها • لقد كان الشبان والفتيات يرقصون على نغمات موسيقى يقصد بها اثارة الرغبة ، وليس كبتها • اننى لا أعترض على رؤية براعم الحب تنمو فى قاعات الرقص التى يعزى اليها الفضل فى عقد كثير من زيجاتنا الناجحة • ومع هذا فانى لا أعتقد أنه يمكن أن ينشأ حب حقيقى على نغمات مثل هذه الموسيقى ، ولاسيما حينما يرفع قائد الفرقة الموسيقية عقيرته ليلقى أغنيات تملؤها التعبيرات الماجنة والألفاظ البذيئة • وكانت القـاعة تفتقر الى النظام ، وكانت مكتظة بالشبان نصف النائمين ، وكان بعضهم يدخن والبعض الآخر مخمور ، ومعظمهم ماضيهم موضع شك •

ومنذ أعوام قليلة كان مثل هذا المنظر كفيلا بأن يجعل الدماء تغلى

www.ibtesama.com

في عروقي ، ويجعلني أعتقد أن العالم على وشك أن ينتهي ، ولكن يبدو أننا معشر الكهول لم نعد نصدم أو نفزع من شيء كما كان العهد بنا من قبل • انني أعرف الآن ، بعد أن تحدثت مع عدد كبير من الشبان في النادي ، انهم يعتقدون أن كل ما يحدث في قاعات الموسيقى الراقصة من دعابة ومجون لا يمثل حقيقة خلق الشباب ، ويكفي أن ننظر الى وجوه هؤلاء الشبان الصرحاء لكي توقن أن لهم من الخلق الرفيع والمثل العليا مثلما كان لنا من قبل • فاذا كان بعضهم لا يكتم اعجابه بالفتيات ، وهن جميلات جدا في الواقع في فساتينهن الزاهية ، ويتحدث في صراحة عما يعتلج في قلبه تجاههن من مشاعر ، فان هذه الصراحة لا تنم عن سوء ، بل انها قد تنطوي على كثير من البوادر الطيبة • وكما قال الشاعر كبلنج: (ان قبلة أو قبلتين لا تحدثان ضررا •)

انني أعتقد أن العلاقات بين هؤلاء الشباب ، من الجنسين ، علاقات سليمة تقوم على الزمالة والصداقة كما كانت العلاقات في أيامنا• بل انه ليخامرني الظن الآن ، يا «ووكر» وقد يكون هذا الظن من قبيل النزوة ، أنه فاتتنا في أيام شبابنا أشياء جميلة •• فاتنا أن نبهج قلبينا بها • واني لأحسد هؤلاء الاطفال على الحرية والصداقة اللتين يستمتعون بهما ، واعتقد أن كل شيء سيتحول في نهاية المطاف الى ما فيه خيرهم كما حدث أيضا في الماضي بالنسبة لنا ، وربما أصبحوا أزواجا وزوجات أكثر سعادة وهناء مما كان عليه أسلافهم • وعلى أي حال فان هذا هو زمنهم ، وليس زمننا ، وقد حان الوقت الذي ينبغي أن نجلس فيه الى جانب الطريق ونقنع بمراقبة الموكب وهو يسير فيه •

وعلى أي حال فانني موقن بشيء واحد ، وهو أن هذا الحال لن يدوم، وان موجة التطرف التي تسود العالم الآن في جميع المجالات ستنحسر عما قريب ، وسيتعلم الناس كيف يتخلون عن تبذير المال فيما لا طائل وراءه ، وعن امتهان الفكر والحط من شأنه •

www.ibtesama.com

الفصل الثلاثون

الرحلة الاخيرة

فى خريف عام ١٩٢٩ دخلت حيـــاة جورج آبلى فى مرحلة جديدة بهيجة ، ففى هذا الوقت قرر أن يأخذ فترة طويلة من الراحة يستجم فى خلالها مما عاناه من تعب ومشقة فى خلال الاعوام الاخيرة ، فغادر بوسطن فى رحلة الى أوربا ، وقرر أن يعرج فى خلالها بصفة خاصـــة على روما مدينـــة أحلامه التى لم يزرها من قبل • وكان من ضمن الاســباب التى دفعته الى القيام بهذه الرحلة رغبته فى زيارة أحد أبنـــاء عمه ، ويدعى (هوراشيو آبلى) الذى عين فى منصب مرموق بالســفارة الامريكية فى روما ، مع أنه كانت قد مضت سنوات لم يره فى خلالها ، ولكن النجاح غير المتوقع الذى حققه قريبه جعله يبادر بزيارته فى مقر عمله الجديد •

وقد بعث قبل سفره بخطاب الى ابنه جون فى نيويورك ، يتحدث فيه بود عن هوراشيو آبلى :

عزيزى جون ••

لقد سمعت من غير شك عن المنصب الهـام الذى يشغله الآن ابن عمنا « هوراشيو آبلى » فى سفارة الولايات المتحدة فى العاصمة الايطالية، وقد قررت بناء على ذلك أن أزور روما حيث أمضى فيها بضعة شهور لكى يعرف أن الاسرة مبتهجة بما حصل عليه من نجاح • ولم يحدث منذ أن تزوجت ابنة عمك (أبليجات) من السير جورج أن حصلت أسرتنـا على مثل هذا المركز المرموق •

وبجانب هذا فان هذه الرحلة ستتيح لأختك اليانور الفرصة لكى ترى العالم • وقد أرسلت الى « هوراشيو » برقية أخبره فيها بقدومنا ، وطلبت منه أن يمهد لنا السبيل للتعرف الى الاوســـاط الاجتماعية فى روما ، وأن يرتب لنا مقابلة مع قداسة البابا ، أما فيما يتعلق بهذا الرجل العظيم ، موسولينى ، الذى يبدو أنه استطاع القضاء على موجة التطرف

www.ibtesama.com

فى ايطاليا ، فهذه مسألة أخرى · ولا شك أن « هوارشيو » سيعنى بترتيب كل هذا · ونحن لا ننوى أن نقيم معه فى داره ، وانما سنقيم فى فندق على مقربة منه ·

وبينى وبينك ، فانى أؤمل أن تؤدى هذه الرحلة الى تحويل أفكار أختك اليانور الى وجهة أخرى · لقد سألتك من قبل عن رأيك فى هذا الرجل المدعو (وليام بود) ولكنك لم تلتزم برأى حتى الآن · أما من جهتى فانى مستريح من هذا الرجل · لقد كان من رأيى دائما ، وان كنت لم أعلنه من قبل ، ان اليانور تعتبر من أجمل وأرق وأبدع زهرات أسرتنا ، ولهذا فانى لا أستطيع ان أتصور أن يأتى صحفى مفلس ليس له عمل بارز ، لكى يقتطف بأصابعه هذه الزهرة التى أدخلت الفرح فى قلبى ردحا طويلا من الزمن · وحينما جاء هذا الرجل لمقابلتى فى الاسبوع الماضى ، اعتذرت عن مقابلته مدعيا المرض · ومن الواضح أنه شخص أفاق ، مغامر ، ويريد الاقتران باليانور طمعا فى مالها وفى مركزها · واننى لا أدرى كيف تبدو اليانور مسرورة منه ، كما لا أدرى ، ودعنى أكلمك بصراحة ، كيف لم تتخذ أنت موقفا حاسما فى هذا الشأن · ان من واجبك أن تكره هذا الرجل (بود) ، كراهية عميقة ، كما أفعل أنا ، لان اليانور هى ، فى نهاية المطاف ، أختك ·

وقد وقع الانهيار الاقتصادى الذى أصاب السوق المالية الامريكية بأفدح الاضرار فى خلال غياب جورج آبلى عن الولايات المتحدة ، ولكن غيابه عن الوطن لم يمنعه من التفكير فى شئون بلاده · وقد أرسل الى ابنه جون بهذه المناسبة خطابا هذا نصه :

·· ···

لقد عدت توا من نزهة ممتعة قمت بها مع «كلارا جودريتش» فى التلال المجاورة لروما حيث توجد هياكل بعض القصور الامبراطورية القديمة · وقد فضلت أمك واليانور وأسرة تشيكرنج ، وكذلك المستر جودريتش ، أن يذهبوا الى حفلة شاى أقيمت فى السفارة · وهكذا قمت أنا وكلارا بزيارة هذه القصور الاثرية وحدنا ، باستثناء دليل ايطالى ثرثار تقاضى منى عشر ليرات أكثر مما يستحق ، ومازلت لا أعرف لماذا ·

وبعد عودتى من هذه النزهة علمت بالانباء السيئة الخاصة بانهيار الاسواق المالية فى الولايات المتحدة · وانى أرسل لك مع هذا كشفا يحوى أسماء بعض الاصدقاء الذين أعتقد أنهم سيتأثرون ماليا بصورة

www.ibtesama.com

خطيرة من هذا الانهيار ، وارجو أن تخبرهم بأنى مستعد لمساعدتهم ولكنى لا اريد ان يذاع شيء من هذا الصدد • ورب ضارة نافعة ، وقد تعطى هذه الكارثة درسا لشعبنا العامل فى ضرورة الاقتصاد فى السنوات السمان ، للسنوات العجاف ، بدلا من تبذير المال فى شراء أشياء لا فائدة منها ، والانغماس فى حياة رخوة لينة • يجب علينا أن نتمسك بالمبادىء الاساسية للحياة السليمة فهذا شيء ضرورى تحتمه طبيعة الاشياء •

ان روما مكان بهيج حقا ، ولا سيما حينما يذهب الانسان اليها مع جماعة من أهله وأصدقائه • ان السفر مع مثل هذه الجماعة يحمى المرء مما يمكن أن نسميه خطر السفر الذى يترتب على الابتعاد عن الوطن فترة من الوقت • ان رؤية وجوه جديدة ومناظر جديدة والاحتكاك بأفكار جديدة يخلق أحيانا شعورا بالتوتر اذا كان المرء مسافرا وحده ، وهو شعور يشبه ما كنت تحس به حينما عدت من الحرب •

ان روما هى المدينة الخالدة حقا ، فمبانيها الصفراء القديمة ، ومقابرها القديمة المنتشرة فى الضواحى تعطى المرء احساسا قويا بالقدم• ان الناس كلهم يحبون روما ، ولعل هذا هو السبب فى أن الامريكيين جلبوا الى بلادهم كثيرا من آثارها •• اننى أشعر بأنى أصبحت عجوزا ، وربما كان هذا هو السبب فى أنى أشعر بحنين شديد لوطنى • لقد رأيت فى روما حطام آمال أكبر كثيرا من حطام آمالى • اننى أنا نفسى أريد أن أعود الى بوسطن ، لولا أنى أعتقد ان تغيير المناظر سيفيد اليانور كثيرا • ومع أن «هوراشيو» مشغول جدا ، فانه يفعل كل ما يستطيع من أجلنا ، وقد اقام لنا حفلة غداء وحفلتى شاى ، قابلنا فى خلالها كل الشخصيات التى تستحق الذكر فى روما •

ان اليانور تبعث اليك بتحياتها • وعلى قدر ما أعلم ، فانها لم تبعث الى (بود) بخطابات منذ ثلاثة أيام ، وهذا يجعلنا نعتقد ، أنا وأمك ، انها فى طريقها الى نسيانه ، وهذا يبرر التضحية التى نقوم بها بالبقاء هنا •

عزيزى جون ••

كنت مريضا جدا فى خلال الاسابيع الثلاثة الماضية ، وهذه احدى المرات القلائل التى أصبت فيها بالمرض فى خلال حياتى • وقد بدأ المرض ببرد خفيف نتيجة لتطلعى فترة طويلة من الوقت الى منظر غروب الشمس ، ثم تحول الى أنفلونزا • اننى لا أزال أشعر بضعف شديد ، وقد لازمتنى أمك واليانور طوال فترة مرضى • ان الشيء الذى يقلقنى ،

www.ibtesama.com

وربما كتبت اليك أمك أيضا فى هذا الشأن وان كنت أرجو ألا تصدق كل ما تقوله فى ذلك ، هو أن أحد الاطباء هنا صرح عقب الكشف على بأن قلبى طرأ عليه شيء من الضعف • ان قلبى كان دائما قويا ، ثم أنى لست كهلا الى هذا الحد • وعلى أى حال فان الاطباء الايطاليين لم يتحسن مستواهم منذ العهد الرومانى وعلى هذا فان تشخيصهم لا يمكن أخذه قضية مسلما بها وسأجرى فحصا شاملا حينما أعود الى الوطن • أرجو ألا تخبر أى مخلوق بحكاية مرض القلب هذه ، فاننى أنا نفسى لا أصدقها •

لقد كان هذا أول نذير بتدهور صحة جورج آبلى ، الذى واجه هذا الموقف الجديد بشجاعة • ومع أنه كان ينظر الى هذه المسألة بعدم اكتراث ، فان زوجته وابنته لم تكونا تشاركانه هذا الرأى ، وانما ساورهما تجاهها قلق حقيقى •• فى الفترة التى تلت ذلك بدأ يستسلم لما تأتى به الايام ، ويرقب مرور الزمن كمتفرج ، ويعيش على الذكريات حتى زواج ابنته اليانور من (وليام بود) ، وهو الزواج الذى حاول بكل ما أوتى من قوة أن يمنع وقوعه ، لم يزعجه كثيرا بالقدر الذى كان يمكن أن يشعر به لو أن هذا حدث منذ بضع سنوات • وكان تعقيبه الوحيد على هذا الزواج هو أنه بذل جهده لكى يمنعه •

وقد بعث بخطاب فى هذا الوقت الى صديقه (ووكر) جاء فيه :

ان الاطباء ، الذين يبدوا أنهم على قدر كبير من الجهل ، قد أمروا بأن ألزم قصر هليكرست فى خلال هذا الصيف ، ولكن أصررت على أن أستمر فى القيام بجولة صيد الطيور كل يوم سبت مع كلارا جودريتش•

أما فيما يتعلق باليانور فانى أود أن أقول : ان من بواعث سرورى أنى لم أحاول قط التأثير على أولادى • فهى يجب أن تختار بنفسها الحياة التى تريدها ، مثلما فعلت أنا بحياتى • لقد ذهبت هى وزوجها (وليام بود) الى مكان ما على الساحل الغربى وبالطبع قلت لكل الناس هنا انى مسرور من هذا الزواج وعلى أى حال فان هذا يبدو لى نهاية فصل فى الرواية •

اننى سعيد بوجود حفيدى هنا معى • لقد بدأ يمشى • ان له عينى اسرة آبلى ، والشعر الاصفر الذى تميز به أفرادها •

ان السبب الحقيقى الذى دعانى لكتابة هذا الخطاب هو أن أطلب

www.ibtesama.com

هلك الحضور لزيارتي . انني لم أرك منذ مدة طويلة يا «ووكر» ، واشتعر بشوق شديد للتحدث معك ، فبالله لا تجعلني أنتظر طويلا .

عزيزي جون ..

أصبحت أملك في هذه الايام وقت فراغ طويلا لا أتذكر أني كنت أملكه من قبل . وباستثناء ساعتين أمضيهما في الصباح في الاطلاع على الرسائل التي تحضرها «سكرتيرتي» مس (فيرنج) ، فانني أنفق باقي الوقت طيلة النهار في مراقبة حفيدي ، جون الصغير ، وهو يلعب في كوم من الرمل الذي أعددناه له . وقد لاحظت اليوم أنه يكرر عمل الشيء نفسه في خلال لعبه ، وليس هذا شيئا غريبا ، فاننا نحن أيضا معشر الكبار نكرر ما نفعله باستمرار .

كنت أتسلى اليوم بقراءة موضوع امرسون عن (الاعتماد على النفس) . ان كلمات هذا الموضوع تلهم الشجاعة وتوحي بالجرأة . انني أحب أن أتصور اننا جميعا نعتمد على أنفسنا ، ولكن امرسون يقود افكار القارىء في مسالك مزعجة أحيانا . وقد أزعجني امرسون بعد ظهر اليوم .

لقد جعلني أفعل شيئا لم افعله من قبل . فقد حملني على أن أفحص حياتي من الوجهة الموضوعية ، ولكنني لا أستطيع أن أقول اني حققت في خلالها الكثير من الاعمال ، ويبدو لي مع أني بذلت قصارى جهدي ، اني لم أفعل ما كان ينبغي أن افعله ، بالنسبة لما فعله أبي وجدي مثلا . وليس ثمة حاجة للقول بأن هذه النتيجة السلبية لا ترجع الى أني لم أحاول ، وانما كنت أواجه منذ طفولتي ، قوة العرف والتقاليد التي صنعها آخرون ، والتي خلقها الماضي ، وكنت أحس دائما بأن هذه القوة تقف في طريقي وتمنعني من عمل أشياء كثيرة كنت اريد أن أعملها ، وكان يخيل لي أن هذه القوة وجدت لتحقيق هذا الغرض . ان قوة العرف والتقاليد قد خلقها المجتمع فيما أعتقد لاشاعة الاستقرار والمحافظة على ميراث الانسانية ، ولكن من رأيي أن هذه القوة تتجاوز حدودها أحيانا أكثر مما ينبغي .

لقد كنت أحس بمشاعر عجيبة أحيانا ، حيثما أكون على مقربة من الغابات ، أو ماء البحر أو النهر حين الغروب . في هذه اللحظات كنت أشعر بسلام وطمأنينة وسعادة ترجع الى اعتقادي بأني على وفاق مع الكون ، وهو شعور يشبه ذلك الذي كنت أحس به حيثما أكون الى

www.ibtesama.com

جوارك أنت واليانور فى صغركما • لقد عرفت مسرات الصداقة والزمالة، وذقت طعم الرضاء الذى ينبع من انجاز عمل ركزت عليه نشاطى وآمالى، واستمتعت بدفء الارض وبأجراس الكنائس وهى تدق فى أيام الشتاء • كل هذا كان جميلا جدا ، ولكن يساورنى احساس بانى لم أستمتع بكل هذه المسرات كما ينبغى ، لانه يبدو أنه لم يكن لدى وقت كاف لأستمتع بها • وهناك شىء آخر أقوله لك بصراحة ، وهو أنى أحيانا كنت أتعمد ألا أستمتع بها ، فقد كنت أشيح عنها بوجهى لأنى كنت أعتقد أن معظم هذه المسرات حسية وليست ذهنية • وقد لقنت منذ صغرى ألا أستسلم للحواس • لقد فكرت فى كل هذا بعد ظهر اليوم ، بعد أن فات الأوان تقريبا ، وربما كانت وجهة نظرى غير صائبة • لقد كانت حياتى مليئة بالكلام ، ولم يكن حظ العمل فيها كثيرا •

كانت كل هذه الافكار لاتزال تخطر فى ذهنى حينما جئت الى هنا فى مكتبى ، لكى أكتب لك هذا الخطاب ، وانى أشعر الآن بأنى أحسن حالا • ان جميع صور الاسرة معلقة حولى على الجدران ، فهذه صورة جدى فى احدى زياراته لباريس ، وتلك صورة أبى حينما كان شابا ، وغيرها ، وغيرها • وحولى أيضا قطع الاثاث والتحف التى ورثناها من الاجداد ، فهنا المقاعد المزخرفة بالحفر ، وهناك الساعة الطويلة الموضوعة فى الصوان الخشبى ، وكذلك المنضدة ذات الارجل الضخمة • اننى أدرك الآن أن مثل هذه الاشياء هى التى تملى على مثلك ومثلى قواعد معينة فى السلوك ، فهى تمثل التقاليد التى تحكمنا حكما مستبدا طاغيا لانستطيع الهرب منه ، ولكن هذا الحكم ينطوى على بعض الفائدة بشكل ما • ان الذاكرة والتقاليد هم من أشد الطغاة الذين يتحكمون فى البيئة • انك لا تستطيع أن تمعن فى التطرف أو فى الخطأ اذا نظرت الى وجه جدنا الكبير « موسى آبلى » لقد جعلنى أفكر بطريقة أخرى فى بعض مراحل حياتى • لقد قلت دائما الحقيقة ، ولم أتراجع قط عن التمسك بما أعتقد أنه حق ، وكنت أدرك ان مركزى يتطلب منى أن أمد يد المساعدة للآخرين ، وحاولت على قدر استطاعتى أن أتصرف تجاه الناس بطريقة لاتشين مركزى • وانى لأشعر الآن بشىء من الفخر لانى فعلت ذلك •

اننى أسمع فى هذه الايام صيحات عالية حزينة فى هذه البلاد غير السعيدة تطالب بالسعادة • وقد كان من الافضل للناس أن يدركوا أن السعادة انما تأتى بطريق غير مباشر ، وليس ببذل جهد ارادى متعمق للحصول عليها •

www.ibtesama.com

وعلى أى حال فانى أشعر باننى كنت وسيلة فى استمرار شيء اعظم قيمة من السعادة • لقد وقفت بجانب قيم كثيرة أؤمل ألا تختفى من الارض أبدا • ان العالم الذى عشت فيه كان عالما طيبا وعادلا ، مع ماكان يشوبه من نقائص ، وقد بنى على أسس تهدف الى تحقيق أمنه وسلامته، وان كان هذا الامن والسلام أصبحا الآن مهددين بأخطار كثيرة ، ولكنه بنى أيضا على أسس لن تزول : فقد بنى على الشرف والجرأة والحقيقة •

لقد كنت منهمكا فى خلال الاسبوعين الماضيين فى وضع تفاصيل وصيتى ، فانه يهمنى الا يحدث بينك وبين اليانور نزاع على الميراث ، كما يهمنى أن أخصص مبالغ من المال لبعض الناس • أما الحلى والمجوهرات والأثاث فانه يجرى جردها بدقة وستقيد فى قوائم خاصة • وانى أرجو أن يحظى (نورمان راد) حارس جزيرة (بيكود) برعاية خاصة من جانبك، كما انى خصصت مبالغ معينة للخدم ، اننى حائر فيما يتعلق ببعض خطابات الاسرة ، ولا أدرى ما أفعله بشأنها ، وأعتقد أن بقاءها لا يضر ، ولست أريد أن أحرقها • ان هذه الخطابات موضوعة فى خمسة صناديق تجدها فى الناحية اليسرى بحجرة الأثاث القديم بالطابق العلوى •

أما فيما يتعلق بالتفاصيل الاخرى فانى أرجو أن تحضر الى بوسطن لكى نناقشها معا • وقد وضعت نسخا من خطاباتى ومذكراتى وأوراقى فى صناديق مناسبة ، بعد أن رتبت ودونت عليها بيانات وأرقام •

ان أناسا كثيرين يحضرون لزيارتى بعد ظهر كل يوم ، بينهم كثير من شبان الاسرة ومن أصدقائى القدماء • اننى لم أكن أعرف انى محبوب الى هذا الحد •

www.ibtesama.com

الفصل الحادى والثلاثون

جورج آبلى يودع الحياة

عزيزى جون :

ان هذا الخطاب قد يبدو قاتما محزنا فى نظرك ، ولكنه ليس كذلك فى نظرى ، وقد دفعنى الى كتابته حديث جرى بينى وبين الدكتور مينوت ونجيت ، الذى أعتقد أنه يميل الى اثارة الذعر والفزع ، ولكنى لا أصدق ما يقوله ، لانى لم أحس من قبل بمثل العافية التى أحس بها الآن . ومع هذا فانه من الضرورى فى بعض الاحيان اتخاذ بعض الترتيبات من قبيل الاحتياط . والاقتراحات والطلبات التى سأذكرها لك الآن ليست عاجلة بأى حال ، وانما يمكن تنفيذها فى خلال أعوام كثيرة .

فى حالة وفاتى قد تجد نفسك مضطرا الى اتخاذ الترتيبات اللازمة لمواجهة التعقيدات التى تنشأ عن اقامة جنازة كبيرة . فكل الجمعيات ، التى أنا عضو فيها ، وكذلك الهيئات الخيرية ، سترسل بطبيعة الحال مندوبين عنها ، ومن الأرجح أن يطالب كل منهم بأن يكون له مركز خاص فى الجنازة . وعلى هذا فانه يبدو أن قاعة الكنيسة ستكون مزدحمة جدا بصورة تقلق الراحة ، وهذا ما لاحظته فى الجنازات التى قمت بتشييعها أخيرا . ومن جانبى ، فاننى لا أريد أن يحدث أى ازعاج لأحد ، ولهذا فانى أرجو تخصيص وسط القاعة لهؤلاء المندوبين ، وأن توضع طاقات الورد التى يحضرونها فى أحد جوانب القاعة ، بكل عناية وأدب .

والنظام الذى ينبغى ان يجلس بموجبه أعضاء الاسرة فى الكنيسة قد يثير حيرتك بعض الشىء ، لانك لم تكن على صلة وثيقة ببعض فروع الاسرة كما كنت أنا ، ولهذا فانى سأوضح لك بعض ما ينبغى أن تفعله فى هذا الشأن ، وغنى عن الذكر أنه يجب حجز مكان خاص لنورمان راد ، حارس جزيرة بيكود ، ولسائق العربة العجوز اذا ظل على قيد الحياة ، وكذلك لمندوب عن العمال فى مصانع آبلى ، ورجائى الخاص أن يعامل كل هؤلاء بالتقدير والاحترام الذى يعامل به باقى المشيعين ، وبعد تشييع

www.ibtesama.com

الجنازة أرجو تقديم المرطبات لهؤلاء الثـــلاثة السالفى الذكر فى غرفة خاصة ، وذلك بقصد عدم احراجهم اذا اشتركوا فى تناول المرطبات مع غيرهم من الناس ، وأرجو أن تمضى معهم خمس عشرة دقيقة تعاملهم فى خلالها بكل تكريم وتبجيل وأن تعنى بتحقيق كل ما يريدون ، ثم تعطى كلا منهم قطعة ذهبية من فئة العشرين دولارا ، على اعتبار أنها هدية منى، مع أخلص تحياتى ٠

كما أرجو أن تعنى عناية خاصة بأساتذة جامعة هارفارد وموظفيها ، وأن تقدم لهم الويسكى والسيجار ٠ وأرجو أيضا أن تعنى بأصدقائى الذين يحضرون الجنازة وهم فى ملابس غير لائقة قد تثير حرجهم ، وأن تشكرهم بنفسك ، أو بوساطة من يمثلك ، على تجشمهم عناء الحضور ، ولا بأس من أن تضيف الى ذلك أن هذه كانت رغبتى الخاصة ٠

لقد تبين لى بالتجربة ان مثل هذه المناسبات تكون مصدرا للاحتكاك وسوء التفاهم بين أفراد أسرة الفقيد ، وقد تستمر الضغينة بينهم لهذا السبب سنوات طويلة ٠ ويرجع هذا فى الغالب الى الغيرة ورغبة كل منهم فى أن يظهر للباقين أنه كان موضع رعاية خاصة من المرحوم ، وستساعدك أمك وأختى أميليا فى تقدير درجات الاهتمام الذى ينبغى أن تظهره تجاه كل فرد منهم ٠ ان أعضاء أسرة دوجلاس آبلى ٠ وهم أحد فروع أسرتنا ، يميلون الى التداخل فى شئون غيرهم واحداث جلبة وضوضـــاء ، ولهذا فأرجو أن تجلسهم معا على مقعد طويل فى الجزء الخلفى من قاعة الكنيسة وأؤمل أن تستطيع عمتك « جين » حضور الجنازة ، اذا كانت على قيد الحياة ، ولكن يجب أن تترك القرار الاخير فى هذا الشأن للأطباء الذين يشرفون على علاجها فى المصحة ٠ وباختصار ، فانى أريد أن يسير كل شىء بسهولة ونظام كما لو كنت أنا موجودا هناك بنفسى للاشراف على جميع الترتيبات ٠

وأرجو أن تتـــذكر أن الارضية الخشبية لغرفة المخزن ، التى تقع أسفل حجرة غسل الملابس بقصر هيلكرست ، أصبحت فى حالة سيئة جدا ، ويجب أن تبادر الى تغييرها اذا لم يسمح لى الوقت بأن أفعل ذلك، فاذا كان من نصيبك أن تشرف على هذا العمل ، فأرجو أن تعهد بذلك الى نجار جديد ، لان النجار السابق غالطنى فى بعض الفواتير ، ويجب أن تتعلم كيف تراقب هذا النوع من الناس جيدا ٠

ولست فى حاجة لأن أوصيك خيرا بالكلاب الاربعة والخيول ، لانى أعرف أنك كنت دائمـــا مغرما بالحيوانات ٠ وقد لاحظت أن جاكوب ،

www.ibtesama.com

السائس ، يشرب كثيرا فى الايام الاخيرة ، وانى أرجو أن تغض الطرف عن ذلك بقدر ما تستطيع ، فهو الذى علمك كيف تمتطى الخيل ، ويبدو أن ركوب الخيل والشراب صفتان متلازمتان ، وليس ثمة ما يدعونا الى البحث فى سبب ذلك .

اننا نتخذ الاستعدادات اللازمة لاقامة الحفلة التقليدية بمناسبة عيد الشكر ، وستكون حفلة كبيرة ، لانى أرغب فى أن يشترك فيها أكبر عدد من أفراد الاسرة . انى أرجو أن تأتى أنت ولويز قبل اقامتها باسبوع ، لاننا فى حاجة الى أفكارك وآرائك . وسنقيم حفلة تمثيلية عائلية صغيرة، أرجو أن تقوم فيها بدور مؤسس الاسرة جون آبلى ، وقد وجدت بعض ملابسه القديمة فى غرفة المخزن وأرجو أن تلائم قوامك . كما أرجو أن تظهر فى مهرجان هذا العام من الحماسة والشغف أكثر مما بدا منك فى الاعوام السابقة .

وغنى عن القول أنك ستواجه هنا حين عودتك كثيرا من المصاعب بسبب طول غيابك عن المدينة ، ولكنها سوف تحل ، وانى أنوى الاستقالة من مناصبى التى أشغلها فى بعض مجالس ادارات الشركات ، وسأعينك فيها بدلا منى .

ستجد أمامك عملا شاقا فى كل من نادى الاقليم ونادى بيركلى ، لكى تستعيد فيهما مركزك القديم وسيتطلب منك هذا بعض الوقت ، وبعض الصبر وينبغى أن تظهر فى كلا الناديين كثيرا ، وأن تجعل أعين الاعضاء تقع عليك دائما ، وأن تواظب على الذهاب الى هناك ، ولو ضحيت فى سبيل ذلك ببعض التزاماتك الاجتماعية الاخرى ، ولكن عليك أن تلزم الصمت وأن تكتفى بالمراقبة ، طوال خمس سنوات ، قبل أن تدخل فى مناقشة جدية مع أحد الاعضاء المنتظمين . ان محاولة الظهور قبل الوقت المناسب تترك فى النفوس أثرا سيئا جدا . ان نادى بيركلى يقوم على أسس أقل تزمتا من الاسس التى يقوم عليها نادى الاقليم ، وهناك قد تدعى فى احدى الامسيات لكى تقص حكاية ، أو لكى تغنى أغنية ، فعليك أن تعنى بأن تقص قصة جيدة أو تغنى أغنية لطيفة لانك ستعرف فيما بعد بالاثر الاول الذى تتركه فى نفوس الاعضاء ، وثق أنهم سيطلبون منك فيما بعد أن تعيد سرد هذه الحكاية ذاتها أو القاء هذه الاغنية ، فى أية مناسبة أخرى .

وقد لاحظت أنك تهتم ببعض المسائل الاجتماعية ، فأرجو اذا ناقشت مثل هذه المسائل فى أحد هذين الناديين أن تفعل ذلك بطريقة خفيفة

www.ibtesama.com

جدا ، والافضل ألا تناقشها على الاطلاق ، اذ يجب أن تدرك أن الاعضاء يلجئون فى آخر النهار الى هذين الناديين لكى يريحوا أنفسهم من عناء العالم الخارجى الصاخب وليس لمناقشة مشكلات تثير عواطفهم وتزعج سكينتهم ٠

اننا نستطيع أن نتحدث فى كل ذلك بطريقة أجدى حينما تأتى الى هنا ، فان فى عقلى وقلبى أشياء كثيرة أريد أن أقولهـــا لك ، وليس من المنـــاسب كثيرا أن أسطرها على الورق ، فالاحاديث تحلو فى مكتبتى الهادئة ، على دخان السيجار الجيد ــ وليباركك الله ٠

ومات جورج آبلى فى منزله بشارع بيكون بعد وصول ابنه جون الى بوسطن بأسبوعين ، يوم ١٣ من ديسمبر عام ١٩٣٣ ٠

www.ibtesama.com

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

الدار القومية للطباعة والنشر

www.ibtesama.com

تصويب

رقم الصفحة	السطر	خطأ	صـــواب
	٤	البوليتز	البوليتزر
٤٤	١ ٢	السطر الاول محل الثانى	السطر الثانى محل الأول
٤٧	٤	تتحق	تتحقق
٩٨	٥	شيء عادى	شيء غير عادى
١٣٥	٢٨	هذه	هذا
١٤٥	١٢	الثورة	الثروة
١٨٠	١٩	أول	آمل
١٩١	١٦	الجدية	الجديدة
٢١٥	١٣	تجاهلها	تجاهها

تم تصويب هذه الأخطاء في هذه النسخة الإلكترونية
من قبل أخوكم معرفتي

www.ibtesama.com

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

مجلة الابتسامة
www.ibtesama.com

الدار القومية للطباعة والنشر

الثمن ٢٥ ـ
١٩٦٥/٧/١١

www.ibtesama.com

GREAT IS OUR GOD

حصريات مجلة الابتسامة

WWW.IBTESAMA.COM

www.ibtesama.com